تصوير أبو عبدالرحمن الكردي

«دِرَاسَاتٌ لُغَوِيَّةٌ»

مَبَادِئُ أَسَاسِيَّة
فِي
فَهْمِ الْجُمْلَةِ العَرَبِيَّة

إعداد
الدكتور أيمن عبد الرزّاق الشوّا

دار اقرأ

مبادئ أساسية في فهم الجملة العربية

اسم الكتاب: مبادئ أساسية في فهم الجملة العربية

المؤلف: د. أيمن عبد الرزاق الشوا

عدد الصفحات: ٢٢١

قياس الصفحة: ١٧×٢٤ سم

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

رقم الطبعة: الأولى

تاريخ الطبع: ٢٠٠٦م

موافقة الطباعة: ٧٩٧٩٥

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة ممغنطة، أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذنٍ خطّي من النّاشر.

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ص.ب: ٥٩٥٧

تلفاكس: ٢٢٣٩٠٣١ - ١١ - ٩٦٣++

لبنان - بيروت - هاتف: ٦٥١٣٢٧ - ١ - ٩٦١++

البريد الألكتروني: iqraa@scs-net.org

«دِرَاسَاتٌ لُغَوِيَّةٌ»

مَبَادِئُ أَسَاسِيَّة
فِي
فَهْمِ الْجُمْلَةِ العَرَبِيَّة

إعداد
الدكتور أيمن عبد الرزاق الشوا

دار اقرأ

البحث الأوّل

أهميَّـــةُ دراســـةِ الجملة العربيَّة

الجملة في الدراسات اللغوية الحديثة.

أهمية فهم الجملة العربيّة.

تكامل علوم العربيّة.

حاجة المكتبة العربيّة إلى إغناء الحديث عن الجملة.

بلاغة القرآن من خلال بلاغة الجملة.

البلاغة العربيّة بلاغة الجملة.

بين النحو وعلم المعاني.

النحوي ودراسة الجملة.

معنى الجملة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد، فهذه مبادئُ أساسيَّةٌ لفهم الجملة العربية، جمعتُ شُذُورَها مما كنتُ أقرؤه في كتب اللغة، والنحو، والمعاني، والتفسير...

ولعلَّ الفائدةَ الكبرى والنفعَ المرجُوَّ من دراسة هذه المبادئ وقضاياها يكمنُ في نظرةٍ مجملةٍ لتركيب الكلام العربيّ أولاً، ثم العلم بأجزاء التَّركيب بنظرةٍ فاحصةٍ مفصَّلة، لا يقنعنا إلَّا النظر الثاقب في زوايا كلِّ جملة، والتَّغلغل في البُنى العميقة لها؛ لمعرفة بنائها، وتلمُّس معانيها وإيضاح أسرارها، حتى نكونَ كمن تتبَّع الماء حتى عَرَف منبعَهُ، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يُصنَعُ فيه إلى أن يعرفَ مَنبِتَه، ومجرى عُروق الشَّجر الذي هو منه[1].

قال الإمامُ الفيروز آبادي وهو يتحدَّث عن الجَمال:

«واعتُبِرَ من هذه المادّة معنى الكثرة، فقيل لكل جماعةٍ غير منفصلة جُمْلَة»[2]. فالجُمْلَةُ من الجَمال، وحديثُ الجمال يطول، وكلَّما طال ازداد حُسْناً، كالجمال نفسه؛ كلَّمَا أمعنتَ النظر فيه ازدادتْ مَعَالِمُ حسنه:

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً إذا ما زِدْتَهُ نَظَرا

الجملة في الدراسات اللغوية الحديثة:

من الأمور المؤكَّدة في الدراسة اللغوية البُنْيَويّة اليومَ تخصُّصُ النحو بدراسة الجملة، وذلك باعتبار هذا النحو أفضلَ نموذجٍ نحويّ في الوقت الرّاهن، وظهور فاعليته الحقيقيَّة في تحليل الجملة وتحديد خصائصها استحساناً ورفضاً، ولهذا فإنّ معرفة الراوي اللغوي بأساليب صياغة الجملة صياغةً مستحسنة تَضْمَنُ تفعيلَ العمل في هذا المجال، وتَضْمَنُ تحقيقَ نتائجَ دقيقةٍ في حدود الجملة، وهو ما ينظر إليه أيضاً عالِمُ البلاغة، وهو يوجّه أنظارنا إلى أسرار البلاغة في الجملة، ويشير إلى مواطن الجمال في النَّص من تقديمٍ وتأخيرٍ وحذفٍ ووصلٍ.

وما تركيزُ عالم النحو على الجملة واقتصار تحليلاته عليها سوى نتيجةٍ حقيقيةٍ لنظرته إليها بوصفها أعلى وَحْدَةِ تحليلٍ لغوية، ولكونه هو ذاته نموذجاً متخصّصاً بوصف الكفاية اللغوية الباطنة للمتكلّم والمستمعِ المثالي؛ نموذجاً يصف قدرةَ المتكلّم على إنتاج جملٍ كثيرةٍ غير محدّدة في لغته، وقدرته على فهمها، ولهذا تجلّى موقف هذا الاتجاه البُنْيَوي في أمرين مهمَّيْن:

أولهما: أن اللغة هي إجمالُ الجملِ كلِّها.

والثاني: أن النحو هو آلية يقتصر دورها على إنتاج جمل صحيحة في هذه اللغة[٣].

أهميّة فهم الجملة العربية:

الحديثُ عن المبادئ الأساسيةِ لفهم الجملة له أكبرُ أهمية في الدِّراسة النَّحوية؛ ذلك أن تعلّقَ الجُمل بعضِها ببعض، وبيانَ أوجه إعرابها، وما تتضمَّنه من المعاني الدقيقة؛ لا يُدرَكُ إلاَّ بثاقب الرَّأي، ودقيق النَّظر، وقُوَّة الطَّبع، وجَوْدَة القَريحة، واستقامة الذِّهن، وليس لهذا الباب قانونٌ يُحفَظ، فهو واسعٌ وُسْعَ

العربية، غنيٌّ غِنى أساليبها وبيانها، ولا يحيطُ بأسرار اللغة وبيانها إنسانٌ. ولكنه لا يذهبُ منها شيءٌ على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها، ومن هنا نهضتْ عزائمُ الغُيُرِ من العلماء نحاةً وبلاغيين ومفسِّرين نحو فَهْم العربية، لغةِ القرآنِ المبين.

تكامل علوم العربية:

قَيَّض اللهُ لهذه اللغة الشريفة علماءَ عاملين، رَزَقَهُمُ الإخلاصَ، فقاموا عليها رُعاةً وحَفَظةً، يفنون لها الأعمار، ويملؤون بها الأسفار التي أغنتِ المكتبةَ العربية بما دوَّنوه من مختصراتٍ ومطوَّلات، سلكوا فيها مذاهبَ شتَّى، فمنهم من أولى المعانيَ اهتمامَهُ؛ فقيَّد معنى الكلمة، وضبط مدلولاتها، وبيَّن اشتقاقها وتصاريفها، ومنهم من اتجهتْ عنايتُه إلى الألفاظ دون المعاني؛ فقيَّد الكلمةَ بالحرف والحركة والشكل، وذكر إلى جانبها المعاني التي تحملُها، وهو ما صنعه أصحابُ المعاجم من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب «العين»، والجوهري في «الصّحاح»، وابن منظور في «لسان العرب»، والفيروزآبادي في «القاموس».

وكلُّ ذلك كان ممَّا جمعه علماء اللغة، وتواضعوا عليه في لغتهم، على سبيل الفَهْم والإفهام لنصوص القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشَّريف.

وقد أثمرت جُهودُ المخلصين من العلماء الذين عكفوا على دراسة لغة القرآن الكريم، وإعرابه، وبيانه، عن ذخيرة ثمينة، تجلَّتْ من خلال التصنيف لمئات المؤلفات في علوم النحو والتصريف، والمعاني، والبيان، وغيرها.

- فعِلْمُ التصريف: يبحثُ عن أحوال أبنية الكلمة، وهيئاتها.
- وعلمُ المعاني: يُعرف به أحوالُ اللفظ العربي الذي يطابقُ مقتضى الحال، وهو يُبَيِّنُ معاني النحو العربي.
- وعلمُ البيان: يُعرف به إيرادُ المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة في وضوح الدّلالة عليه.

والعلاقةُ بين هذه العلوم أصيلة، ما قُسِّمَتْ هذا التقسيم إلا من أجل توضيحها ودراستها؛ بنظرة تطبيقية ذوقية جمالية للأسلوب العربي المشرق.

حاجة المكتبة العربية إلى إغناء الحديث عن الجملة:

يحتاجُ المُعْرِبُ إلى معرفة علم اللغة: اسماً وفعلاً وحرفاً؛ فالحروفُ لِقلَّتها تكلَّم النحاةُ عن معانيها، ومن مؤلَّفاتهم منها: «الألِفات» لابن الأنباري (٣٢٨)هـ، «اللَّامات» للزجاجي (٣٣٩) هـ، «رصف المباني في حروف المعاني» للمالقي (٧٠٢) هـ، «الأزهية» للهروي (٧٦٤) هـ، «الجنى الداني في حروف المعاني» للمرادي (٧٤٩) هـ، و«مغني اللبيب» لابن هشام (٧٦١) هـ، الذي عقد البابَ الأول لهذا الحديث، وغيرها.

وأما الأسماءُ والأفعالُ فيُؤخَذُ ذلك من كتب اللغة، وأكثر الموضوعات في علم اللغة كتاب «تهذيب اللغة» (٣٩٣) هـ للأزهري، و«المحكم» لابن سيده الأندلسي (٤٥٨) هـ، و«الصحاح» للجوهري (٣٩٣) هـ، وغيرها.

ومن الموضوعات في الأفعال كتاب «الأفعال» لابن القُوطِيَّة (٣٦٧) هـ، وكتاب «تهذيب الأفعال» لابن القَطَّاع (٥١٥) هـ.

ومن الكتب المعاصرة: المغني في تصريف الأفعال للدكتور عضيمة، وتصريف الأفعال والأسماء للدكتور محمد سالم محيسن، ونظرات في الفعل وتقسيماته في النحو العربي للدكتورة أميرة توفيق وغيرها [٤].

ومع هذا فما زالت مكتبتنا العربية مفتقرةً إلى مَنْ يغني جانبَ الحديث عن الجملة؛ ذلك أنّ الحديثَ عن الجملة لم يُفرِدْ له القدماءُ من النحاة والبلاغيين كالإمام سيبويه (١٨٠) هـ والمبرد (٢٨٥) هـ وابن السراج (٣١٦) هـ كتاباً مفرداً، وإنما كانت مباحثُ الجملة تتدرجُ في أثناء المباحث النحوية التي يدرسها العالم، واستمر الأمرُ في القرون التي تلت عصر الفارسي (٣٧٧) هـ وابن جني (٣٩٢) هـ حتى وجدنا بعضَ الإشارات لتحديد إعراب الجمل عند الجرجاني (٤٧١) هـ في كتابه «الجمل في النحو».

وجاء ابن هشام المصري (٧٦١) هـ فوضع كتابه «الإعراب عن قواعد الإعراب»، وذكر فيه أقسام الجملة وإعرابها، مُوْجِزاً الحديثَ عنها، واستكمل هذا الإيجازَ في كتابه «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، فخصّص البابَ الثانيَ للحديث عن تفسير الجملة، وأقسامها، وإعرابها.

وكنتُ زماناً أرى أن كتاب «مغني اللبيب» قد جمع معالم الجملة جمعاً كافياً يستغني الناظرُ فيه به، ثم تعقّبتُ ذلك بالنظر والتفتيش، والمذاكرة في كتب النحو، بدءاً من «الكتاب» لسيبويه، و«الأصول» لابن السراج، ثم كتب النحو المؤلَّفة في القرن الثامن الهجري، فعثرتُ على تقسيمٍ منهجيٍّ للجملةِ وإعرابها عند الإمام أبي حيّان أثير الدين الأندلسي في كتابه القيّم: «ارتشاف الضَّرَب»؛ إذ وصل تقسيمُ الجمل عنده إلى اثنين وأربعين قسماً بالمتفق عليه والمختلف عليه، وقد سجّلْتُها بتقسيمها الواضح في هذا البحث، وراجعتُ النظر في كُتُب المعاصرين كـ«النحو الوافي» للأستاذ عباس حسن، و«المذكرات» و«الموجز» للأستاذ سعيد الأفغاني ــ رحمه الله ــ وقد وجدتُ أنَّ دراسةَ الجملة في معانيها التي ندرسُها الآن لم تَلْقَ حظَّها الكامل؛ فسيبويه ــ وهو إمامُ النحاة ــ لم يخصِّصْ لها بحثاً ببابٍ أو فصل مستقلّ، وإنما جاء الحديثُ عنها متعلِّقاً بمباحث الكتاب التي كان يعالجها، وكذلك وجدتُ في كتاب «المقتضب» للمبرد أشتاتاً متفرقة، ولم أجدِ المبرد ركّزَ من خلالها على بحث الجملة أو عقد لها باباً أو فصلاً[٥].

أما بقيةُ النُّحاة من القدماء والمحدثين فكان حديثُهم عن الجملة من خلال المباحث النحوية الكبرى التي عقدوها، فالجملةُ التي لها محلٌّ من الإعراب كجملة الخبر تُدرَسُ في باب المبتدأ والخبر، والجملة الحالية في باب الحال، والجملة الواقعة صفةً في باب الصفة، وهكذا...

أما فِقْهُ الحديث عن الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب كالجملة الاستئنافية، والاعتراضية، والواقعة جواباً للقسم، فكان أغلبُ النحاة بمنأًى عن الحديث عنها، ولعلَّ انصرافَهم عنها إنما هو لتصوُّرهم أنّ الحديثَ عن هذه

الجمل خاصةً مجالُه علمُ المعاني وعلمُ التفسير اللّذان يضيئان معالم هذه الجمل، ويبرزان بلاغتها، وتذوّق معانيها.

وفي يقيني أنّه لا يتكـــاملُ التّذوّقُ الفني للكلام العربي، ويبلغ ذِروته حتى نضعَ أيدينَا على تركيب الجملة العربية، نتبيّنُ ارتباطَها في سياق الكلام ونظمِ التعبير اللغوي، ونتفهمُ أسرارها اللغوية، وبلاغة صياغتها في أرقى أساليب الأدب والشعر العربي، وفي البيان القرآني.

بلاغة القرآن من خلال بلاغة الجملة:

إنَّ فصاحةَ القرآن الكريم تنطلقُ من دور الكلمة المفردة في بنائها ووزنها ومعناها.

يقول ضياء الدين بن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر):

«وإذا نظرنا إلى كتاب الله تعالى، الذي هو أفصح الكلام، وجدناه سهلاً سلساً، وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جداً. هذا، وقد أُنزل في زمن العرب العرباء، وألفاظه كلُّها من أسهل الألفاظ، وأقربها استعمالاً، وكفى به قدوةً في هذا الباب قولُ النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أنزل اللهُ في التوراة ولا في الإنجيل مثلَ أمِّ القرآن، وهي السبع المثاني»، يريد بها فاتحة الكتاب[٦].

ولعلنا بعد قول ابن الأثير نتبين دور الكلمة المفردة إنمّا يكون من خلال:

أ ــ صوتها وحسن وقعها ووَزنها، [أي: حسن إمتاع صوتها، وجمال وقعه في الأذن]، وليس بالضرورة أن تكونَ الكلمة مؤلفة من أقَلِّ الأوزان تركيباً حتى تكونَ جميلةً، فقد ورد في القرآن ألفاظ طوال، وهي مع ذلك حسنة، نحو قوله تعالى: «فسيكفيكهم الله» [البقرة: ١٣٧]، فإنَّ هذه اللفظة تسعة أحرف، وكقوله تعالى: «ليستخلفنّهم في الأرض» [النور: ٥٥]، فإنها عشرة أحرف، وكلتاهما حسنة رائقة، وجاءت عذوبتها كذلك من تنوع مخارجها، ونظم حركاتها، فإنّها

بذلك قد صارت في النطق كأنّها أربع كلمات؛ إذ تنطق على أربعة مقاطع، وقوله «فسيكفيكهم الله» فإنها كلمة من تسعة أحرف، وهي ثلاثة مقاطع، وقد تكررت فيها الياء والكاف، وتوسط بين الكافين هذا المدُّ الذي هو سر الفصاحة في الكلمة كلها[٧].

ب ــ وكذلك دورها من خلال عيار سهولة نطقها.

جـ ــ وعيار الجِدَّة فيها وعدم الابتذال.

د ــ وعيار الملاءمة للمقام.

هـ ــ عيار الملاءمة للسياق.

ثم تعرُج لتأتلف مع كلمة أخرى لأجل قوة المعاني التي عليها مدار الفائدة الكبرى، ولا تتحقق إلا في بلاغة الجملة.

فجماليةُ الألفاظ لا تكمن في ذاتها فقط، بمعايير سهولتها، وجمال وقعها وجرسها، وعذوبة حروفها وتآلفها، وإنما أحرزتها بموافقتها لجاراتها في الإيقاع، وهنا يبرزُ رأيٌ رآه بعض الذين قد سقُم حِسُّهم النقديّ، في أنّ لفظة «ضِيْزَى»، الواردة في سورة النجم قد جانبت الذوق، وخرجت عما يقتضيه البيان العالي، ونبرأ إلى الله من قول كهذا، ومما هو أصغر منه!.

وهنا نجد ضياءَ الدِّين يردُّ عليهم حذلَقتهم، وسقمَ ذوقهم يقول: «وهذه اللفظة التي أنكرتها في القرآن، وهي لفظة «ضيزى» فإنّها في موضع لا يسدُّ غيرها مسدّها، ألا ترى أنّ السورة كلها ــ التي هي سورة النجم ــ مسجوعة على حرف الياء غير المنقوطة، فقال: (والنجم إذا هوى. ما ضلّ صاحبكم وما غوى) [النّجم: ١ــ٢]، وكذلك إلى آخر السورة، فلما ذكر الأصنام وقسمة الأولاد وما كان يزعمه الكفار، فقال: «ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذن قسمة ضيزى» [النّجم: ٢١ــ٢٢]، فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه، وغيرها لا يسدّ مسدّها في مكانها، وإذا نزلنا معك ــ أيها المعاند ــ على ما تريد قلنا: إنَّ غيرَ هذه اللفظة أحسنُ منها، ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها ولا مناسبة؛ لأنّها تكون خارجة عن حروف السورة[٨].

وقد وقف الرافعي عند هذه اللفظة وتبيَّنَ من جمالها مظاهرَ كثيرةً، ومخايلَ لا يملك من يطَّلِع عليها إلا أن يخفض جناح الإقرار والتأييد، ذلك إذا أمْعَنَ المرء النظر ولاطفه، وترك الضجر وتحاماه، فإذا كان ذلك لم يكد يعدِمُ قرب بعضها من بعض(٩).

البلاغة العربية بلاغة الجملة:

البلاغةُ العربيةُ في أبرز دلائلها بلاغةُ الجملة، ثم هي بلاغةُ النَّظم والأسلوب. وأوفرُ مصدرٍ، وأغنى تقسيم لهذه الجملة هو ما نجده في البيان القرآني، ومن الأَولَى في دراسة الجملة العربية استقراءُ أساليب الجمل، واستعمالاتها، وبيان آراء علماء التفسير والمعربين في ضوء أساليب القرآن العظيم، ومن ثَمّ نُمهِّد لوضع القواعد والقوانين، و نُصحِّح النحوَ على أساس القرآن وشواهده الغنية في الوجوه الإعرابية التي تشعُّ في الآية القرآنية؛ لتبرزَ أن أبلغَ الكلام ما تعدَّدت وجوه إفادته، وتحقَّقُ الفائدةِ منوطٌ بتضافر علم المعاني مع علم النحو العربي بصلةٍ قويةٍ.

بين النحو وعلم المعاني:

الدرسُ النَّحوي الحقّ قام واستأثر به علماء المعاني، وهم النحاة الحقيقيون فيما أزعم؛ ذلك أنهم نظروا نظرةً كليَّةً إلى تراكيب الكلام، وإسنادِ الألفاظِ بعضِها مع بعض، مما يكوِّن الجملة العربية، فدرسوا هذه الجملة من حيث نوعُها، ومن حيثُ ما يطرأ على أركانها من تقديمٍ وتأخير، أو ذكر وحذف، أو إضمار وإظهار، ومن حيثُ ما يطرأ عليها من استفهام، أو نفي، أو توكيد، مؤكدين أنَّ النحو نظمٌ وتأليفٌ، غايته إبرازُ المعنى بوضوح.

قال أستاذنا الدكتور مازن المبارك: «فالنحويُّ الذي يُخرِّجُ وجهاً من وجوه الإعراب غيرَ مراعٍ إصابةَ المعنى المقصود، هو نحويٌّ لم يفهم صنعته، ولم يتمثّلِ الغايةَ من علمه»(١٠).

و«على الرَّغم من أنّ علماء العربية كانوا قد فرّقوا بين اختصاص النحاة واختصـــاص أهل المعاني، فإننا نرى الاختصاصَ واحداً، والتفرقة بين صحة الكلام وفصاحته مبنيّاً على اعتبارات عقلية محضة».

يقول الإمام أبو الفتح عثمان بن جنّي متحدثاً عن الفرق ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى: «فإذا مرّ بك شيءٌ من هذا عن أصحابنا ــ أي: عن الفرق ــ فاحفظ نفسك منه، ولا تسترسل إليه، فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفســير المعنى فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تقبّلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصحّحتَ طريق تقدير الإعراب، حتى لا يشذّ شيءٌ منها عليك، وإيّاك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه».(١١)

النحويّ ودراسة الجملة:

النحوي الحقّ هو ذلك الذي يجري وراء اللغة يتتبَّع سيرتها، ويفقه أساليبها. ووظيفة النحوي: أن يسجلَ لنا ملاحظاتِه، ونتائجَ اختباراتِه في صورة أصولٍ وقواعدَ تمليها عليه طبيعةُ هذه اللغة واســتعمالات أصحابها، وأن يصفَ لنا مثــلاً ما يطرأ على الكلمة أو الجملة وأوضاعها المختلفة، مستنداً إلى استقراء واعٍ، وملاحظة دقيقة، ونظرٍ صائبٍ في الأساليب العربية.

معنى الجملة:

لاشَكَّ أن تحديدَ المصطلحات، وبيانَ مدلولاتها من أهم مبادئ العلوم والفنون، وقد قيل:

إنَّ مباديَ كلِّ فنٍّ عَشَرَه ... الحدُّ والموضوعُ ثمَّ الثَّمَرَه

ومن هنا حاولتُ التّحريَ بجمع كلِّ تعريفٍ أو وصف وتقسيمٍ يتعلق بالجملة، وبيان مدلولاتها من بطون كتب اللغة والمعاجم وكتب النحو وعلم المعاني؛ لنقفَ معها عند المبادئ الرئيسية لمفاهيمها التي تضيء لنا دربَ

الحديث عن معالم الجملة في اللغة العربية من الوجهة النحوية والبلاغية.

قال ابنُ منظور في «لسان العرب»:[١٢]

جَمَلَ الشيءَ: جَمَعَهُ. والجملةُ: واحدةُ الجمل. والجملةُ: جَمَاعَةُ الشيء. وأجملَ الشيءَ: جَمَعَهُ عن تَفْرِقَةٍ.

وقال الزمخشري في «أساس البلاغة»:[١٣]

ــ أَجْمِلِ الحسابَ والكلامَ، ثم فصّله، وبيّنه.

ــ أخذ الشيء جملةً.

وفي «مقاييس اللغة» قال ابن فارس:[١٤]

ــ الجيم والميم تدلاّن على كثرة الشيء واجتماعه.

ــ الجيم والميم واللام.. تجمّع وعظم الخلق.

ــ أجملتُ الشيء، وهذه جملةُ الشيء، وأجملتُه: حصّلْتُه.

وقال العُكْبَري في «اللباب»: والجملةُ هي الكلامُ الذي تحصلُ منه فائدةٌ تامَّة، واشتقاقها من: أجملتُ الشيء إذا جمعته، وكلٌ محتمل للتفصيل جملة، والمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل بهذه الصفة.[١٥]

وقال الراغبُ الأصبهاني في كتابه المفردات:[١٦]

وأجملتُ في كذا، وجَمالَكَ، أي: أجملْ. و اعتُبِر منه معنى الكثرة، فقيل لكلّ جماعةٍ غير منفصلة: جُملةً.

قال تعالى: «وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملةً واحدةً» [الفرقان: ٣٢]، أي: مجتمعاً، لا كما أُنزل نجوماً مفترقة. وحقيقةُ المجمَل: هو المشتمل على جملةِ أشياءٍ كثيرةٍ غيرِ مُلَخَّصة.

ونقل الفيروز آبادي وهو يتحدث عن الجمال كلام الراغب السابق:

واعتبر من هذه المادّة معنى الكثرة، فقيل لكل جماعة غير منفصلة: جُمْلَة.[١٧]

وقال ابن القواس في «شرح ألفية ابن معطي»:

«الجملة والكلام مترادفان في عُرف النحاة، وهي من أجملت الشيءَ إذا جمعتَ أجزاءه، وكلُّ ما احتمل التفصيل هو مجمل وجملة».[١٨]

وقال الشريف الجرجاني في «التعريفات»:[١٩]

«الجملةُ: عبارةٌ عن مركّب من كلمتين أُسنِدت إحداهما إلى الأخرى، سواءٌ أفاد، كقولك: زيد قائم، أو لم يفد، كقولك: إنْ يكرمني، فإنه جملةٌ لا تفيدُ إلاّ بعد مجيء جوابه، فتكون الجملةُ أعمَّ من الكلام مطلقاً».

* * *

الحواشي:

١ ــ دلائل الإعجاز ٢٠٠ ــ ٢٠١.

٢ ــ بصائر ذوي التمييز ٣٩٥/٢، والمفردات للراغب الأصبهاني ٩٨.

٣ ــ نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساندرس، ص ١٤٥.

٤ ــ من الكتب المعاصرة في هذا المجال: الأفعال في القرآن الكريم، د. عبد الحميد السيد.

٥ ــ انظر ملامح الجملة عند سيبويه وعند المبرد في البحث السادس من هذا الكتاب.

٦ ــ المثل السائر ١٥٥/١.

٧ ــ انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ٢٢٩.

٨ ــ المثل السائر ١٥٧/١.

٩ ــ إعجاز القرآن ٢٣٠ ــ ٢٣١.

١٠ ــ النحو العربي ١٦٠.

١١ ــ الخصائص ٢٣٨/١ و٢٨٤.

١٢ ــ لسان العرب: جمل ٢٤٠/١.

١٣ ــ أساس البلاغة: جمل ٩٦.

١٤ ــ مقاييس اللغة: جمل ٢٢٤/١.

١٥ ــ اللباب في علل البناء والإعراب ١٣٨/١.

١٦ ــ المفردات ٩٨.

١٧ ــ بصائر ذوي التمييز ٣٩٥/٢.

١٨ ــ شرح ألفية ابن معطي ٨٢٩/٢.

١٩ ــ التعريفات للجرجاني ٧٨.

البحث الثاني

معنى التّأليف
و
التّركيب
في العربيَّة

أولاً ــ بين الترتيب والتأليف.

ثانياً ــ بين التأليف والتركيب.

ثالثاً ــ التركيب والتوجيه النحوي.

رابعاً ــ أنواع التراكيب في العربيّة.

خامساً ــ التركيب على نوعين.

سادساً ــ صور تراكيب الكلام مفصّلة في أقسام.

سابعاً ــ صور ارتباط الجمل.

ثامناً ــ مراتب تأليف الكلام.

تاسعاً ــ العامّ والخاص بين الجملة والكلام.

اتّسعَتْ آراءُ اللغويين وتنوَّعَتْ في تحديد الفروق الدقيقة بين المصطلحات المتشـــابهة؛ كالترتيب والتأليف والتركيب والجملة والكلام ونحو ذلك، ولا بدّ من بيانها:

أولاً ــ بين الترتيب والتأليف:

الترتيبُ: هو جمعُ الأشياء المختلفة؛ بحيث يُطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعضها نسبةٌ إلى بعضٍ بالتقديم والتأخير في النسبة العقلية، وإن لم تكن مؤلّفة، فهو أعم من التأليف من وجه؛ لأنّ التأليف ضمُّ الأشياء مؤتلفةً، يرشدك إليه اشتقاقه من الألفة سواء أكانت مرتبة الوضع أم لا، وهما أخصُّ من التركيب مطلقاً؛ لأنه ضم الأشياء مؤتلفةً كانت أم لا، مرتبة الوضع كانت أم لا.

وقد يُستعمل الترتيبُ أخصَّ مطلقاً من التأليف، وقد يُجْعَلانِ مترادفين.[1]

ثانياً ــ بين التأليف والتركيب:

قال الإمام بهاء الدين بن النحاس في «التعليقة»:

الفرق بين التأليف والتركيب أنه لا بد في التأليف من نسبة تحصّل فائدةً تامةً مع التركيب، فالمركب أعمُّ من المؤلَّف. وقال ابن القواس: التأليف أخص من التركيب، وهو من الألفة، وهي الملائمة[2].

ثالثاً ــ التركيب والتوجيه النحوي:

احتلّ التركيب حيزاً كبيراً من مساحة اللغة عموماً، ومن الميدان النحوي والصرفي خصوصاً، فقد قُعّد للنسب إليه، وتغيره، ومتى ينسب إلى صدره، ومتى ينسب إلى عجزه كما في (عبد مناف) و (عبد شمس) وغيرهما. وجاءت أنواع التركيب على شكل الربط الإضافي أو العطفي، والاستغناء بالتركيب عنهما، كما استغنى بالتثنية والجمع عن العطف كذلك.

ووقوع المركَّب حالاً على التأويل، أو ظرفاً أو غيرهما، وتوجه ألفاظ التوكيد مجتمعة على أنّها نوع من الإتباع، والمركب يبنى على الفتح كما سبق في الأحوال والظروف والمزج، فللكمة في التركيب جوازُ ما لا يكون لها في بنية الكلمة المفردة، ويتبع ذلك اختلاف الإعراب، وقد وجّه كثير من المركبات نحوياً، كقوله تعالى: «ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو» [البقرة: ٢١٩]. فقد قرأها أبو عمرو بالرفع «العفوُ» على جعل «ذا» موصولاً، وقرأها الباقون بالنصب «العفوَ» على الإلغاء ، تقول: ما الذي فعلْتَ: أخيراً أم شراً؟، وماذا فعلت: أخيرٌ أم شرٌ؟، بناء على الإلغاء وعدمه.

ــ وحالات بناء «لا» مع اسمها معروفة.

ــ وتأمّل قوله تعالى: «إنّه لحقٌّ مِثْلَ ما أنّكم تنطقون»، [الذّاريات: ٢٣]. فمن قرأ بالفتح في «مثل» بنى ذلك على القول بالتركيب، وإنْ كانت القراءة سنة متبعة يحكم على النحو بها لا العكس لأنها نقل وتواتر، في حين جاءت قراءة رفع «مثل» بناءً على البساطة والقول بها(٤).

والتركيب بعامّةٍ يُراد به التركيب الحادث من أقسام الكلم بضمِّ بعضها إلى بعض بقصد الإفادة، كتركيب الجملة من اسمين، أو من فعل واسم، إلى آخر صُوَر التركيب المفيد التي عدَّدها النحاة.

والنحو في حقيقته: هو علم التركيب ــ على نحو ما فطن إليه عبد القاهر الجرجاني ــ فيما عُرِف بنظرية «النَّظم» التي هي عماد الإعجاز البلاغي وأساسه، إذ يتعلق بالتأليف بين الكلمات على هيئة مخصوصة بغرض اكتساب معنى جديد لم يكن للكلمة قبل التركيب، فإن كان هذا النوع العام يستعمل كلَّ كلمة في معناها، فإنّ هذا النوع الخاص من التركيب ينقلهما إلى معنىً جديدٍ يفيدانه معاً.

وإذا كان كلُّ مركب له علل أربع:

١ ــ مادية: وهي أجزاؤه.

٢ ــ فاعلية: وهي الفاعل المركب له.

٣ ــ صورية: وهي هيئته.

٤ ــ غائية: وهي ثمرته المترتبة عليه فإنَّ هذه العلل موجودة فيما يركب وفيما ينحت على السواء.

قالوا: إنَّ الفعل مركب من المادة والهيئة، فالمادة هي حروفه، والهيئة هي الحركات والسكنات، وتقديم بعض الحروف على بعض، فيدلُّ بمادته على الحدث، وبهيئته على الزمن.

رابعاً ــ أنواع التراكيب في العربية:

التراكيب أنواع: منها المركب الإضافي، والمزجي، والإسنادي، فإذا أطلقت كلمة التركيب انصرفت إليها، وأصل التركيب ــ غالباً ــ التركيب الإضافي.

قال ابنُ هشام في كلامه عن أصل المركبات الظرفية[٥]: الأصل في نحو: صباحَ مساءَ ــ بالتركيب والبناء على الفتح ــ: صباحَ مساءٍ، أي: صباحاً ذا مساءٍ، ثمّ رُكِّبَ بعد ذلك كما ترى، فاكتسب بالتركيب معنىً غير معنى الإضافة، إذ بالتركيب دلّ على الإتيان في الصباح والمساء، بخلافه مع الإضافة فإنّه دلَّ على الإتيان في الصباح وحده.

وأصل التركيب إنّما يكون بالواو العاطفة التي حذفت عند التركيب، ويصير كقولنا: يأتينا فلانٌ غدوةً وعشيةً، أي: في كلِّ وقت.

فكما يبطل الإتباع عند العطف بالواو، يبطل التركيب كذلك عند العَطف بالواو، فحكم الإتباع والتركيب واحدٌ من هذه الجهة، وهذا يتوضح كثيراً في الظروف المكانية والأحوال ومثلَ: حَيْصَ بَيْصَ، وشَذَرَ مَذَرَ، وغيرها.

ويدخل التركيبُ الأعلامَ والأعدادَ، والظروف بنوعيها، والأحوال، والأسماء العامّة، والأفعال وأسماءها، والحروف.

١ ــ في الأعلام: منها ما ركّب:

أ ــ تركيب إسناد: كتأبط شرّاً.

ب ــ تركيب إضافة: كعبد الله.

جـ ــ تركيب مزج: وهو كلُّ اسمين جعلا اسماً واحداً مُنــزّلاً ثانيهما من الأول منــزلةَ تاء التأنيث مما قبلها: كبعلبك، وحضرموت، ومعد يكرب، وسيبويه.

٢ ــ في الظروف: وهي إمّا مكانية، مثل: حيثما، و إنّ للحاق «ما» التي زيدت معها فرقاً بين حالة جزمها، وحالة عدم الجزم، فالتركيب إذاً أحدث أثراً بتغير المعنى الذي ترتب على التركيب، وإما زمانيّــة نحو: «لمّا» وهي ظرف زمان فهي مركبة من «لم» النافية و«ما»، فحصل فيها بالتركيب معنىً لم يكن لها، وخرجت بذلك إلى حيّز الأسماء، فاستحالت بالتركيب من الاسمية إلى الفعلية، كما استحالت «إذ» بدخول «ما» عليها من الاسمية إلى الحرفية، وتغير معناها بالتركيب من المضيّ إلى الاستقبال فهنا نَقَلَ التركيبُ الكلمة من الحرفية إلى الاسمية، ومن الاسمية إلى الحرفية، كما نقلها من الفعلية إلى الاسمية مع ملاحظة تغير العمل ونوعه، وهذا تصرف من العرب لاتساع اللغة.

٣ ــ في الأحوال: قُدِّمت الظروف في التركيب على الأحوال؛ لأنّ التركيب في الظروف أكثر وقوعاً، فكان أولى بالتقديم، ولم يقع في التنــزيل تركيب الأحوال ولا تركيب الظروف، وإنّما وقع فيه تركيب الأعداد نحو: «إنّي رأيت أَحَدَ عَشَرَ كوكباً» [يوسف:٤]. و «فانفجرت منه اثنتا عشْرةَ عيناً» [البقرة:٦٠].

ومجيء التراكيب في الأحوال قليل بالنسبة إلى مجيئه في الظروف، والحال بينها وبين الظرف شبه، فلذا قيل عنها: إنّها مفعول فيها في المعنى، وهي على معنى «في»، فإذا قلت: جاء محمد ضاحكاً، فمعناه: جاء محمد في حال ووقت ضحك، وقال سيبويه: «أخولَ أخولَ يجوز أن يكون كشَغَر بَغَرَ، أو أن يكون كيومَ يومَ».

٤ ــ في الأسماء: عدّد ابن هشـــام في الباب الثالث من «شذور الذهب» من المبنيات مالزم البناء على الفتح، وهو سبعة، قال: «... النوع الثالث: ماركب تركيب المزْج...» وتحدث فيه حديثاً لطيفاً، ذَكَر فيه مثال: حضرموت وبعلبك وأذربيجان.

٥ ــ في أسماء الأفعال: وهي أسماء حقيقيّة على الرأي الصحيح من مذهب البصريين، أو أنها أفعال استعملت استعمال الأسماء، وقد رأى الكوفيون أنّها أفعال حقيقة، مثل: حيّهل(٧).

٦ ــ في الأفعال: كما نجدُ «حبَّذا» و«هَلُمَّ» في صيغ الأفعال المركبة نجد: الفعل (قلَّ) إذا ركب مع «ما» صار: «قلّما»، واستغنى عن الفاعل كما قال كثير من النحاة، أو قالوا بمصدرية «ما» والمصدر المؤول فاعل، ودخل بذلك على فعل مثله، وأفاد معنى النفي، تقول: قلَّما يدوم الصفاء، فبدخول «ما» أشبه حرف النفي وساغ دخوله على الفعل، وكل ذلك حدث له بالتركيب، وهذا شأن نظائره من: كَثُر، وطال.

ومن ناحية ثانية أنّك تبني الفعل المضارع عند تركيبه مع النون المباشـــرة على الفتح للخفة: كخمسةَ عشرَ، إذِ التركيب ثقيل، فاختير معه أخف الحركات وهي الفتحة.

٧ ــ في الحروف: كَثُرَ التركيب في الأدوات الحرفية، ومن ذلك «كأنّ» فهي من أخوات (إنّ)، وكذلك (لكنّ)، فقيل: إنّها مركبة من: (لا) و (أنّ) والكاف

الزائدة، ثمَّ حذفت الهمزة، أو: هي من «لا» و«كن» التي هي بمعنى هكذا في السّاميات، وهي عند الفراء مركبة، أصلها: (لكن أنا) وطرحت الهمزة للتخفيف، ونون (لكن) للساكنين. وقد تعمّقَ الخليلُ بدراسة التركيب الذي عليه أغلب الحروف، كـ: لن وليس...

خامساً: التركيب على نوعين:

قال ابن يعيش: التركيب نوعان: تركيب إفراد، وتركيب إسناد؛ فتركيب الإفراد: أن تأتيَ بكلمتين فتركبهما وتجعلهما كلمةً واحدةً، بإزاء حقيقة واحدة، بعد أن كانتا بإزاء حقيقتين، وهو من قبيل النقل، ويكون في الأعلام، نحو: معد يكرب، وحضرموت، وقالي قلا. ولاتفيدُ هذه الكَلِمُ بعد التركيب حتى يخبر عنها بكلمة أخرى، نحو: معد يكرب مقبلٌ، وحضرموت طيبةٌ.

وتركيب الإسناد: أن تركِّبَ كلمةً مع كلمةٍ تنسب إحداهما إلى الأخرى، على سبيل يحسن به موقع الخبرُ، وتمام الفائدة[٨].

سادساً: صورُ تراكيب الكلام مُفَصَّلةً في أقسام:

لعلَّ أهم عمل للنحويين هو: إبراز تراكيب الكلام، من خلال الإسناد، وارتباط مفردات الألفاظ بعضها ببعض، ويتجلّى هذا الارتباط في الأقسام التالية:

أولاً: ارتباط اسم مع اسم نحو: العلمُ نورٌ؛ فإنهما اسمان: الأول مبتدأ والثاني خبر.

ثانياً: ارتباط فعل واسم نحو: قام زيد.

ثالثاً: ارتباط فعل واسمين نحو: كان زيد قائماً.

رابعاً: ارتباط فعل وثلاثة أسماء نحو: ظننتُ زيداً قائماً.

خامساً: ارتباط فعل وأربعة أسماء نحو: أعلمتُ زيداً عمراً قائماً.

سادساً: ارتباط فعل القسم وجوابه نحو: أقسم بالله إنَّ زيداً قائم.

سابعاً: ارتباط الشرط وجوابه نحو: إنْ قام زيد قمت.

ثامناً: ارتباط اسم وجملة نحو: زيد أبوه قائم.

سابعاً: صور ارتباط الجمل:

قال أبو البقاء الكفوي في «الكليّات»:

اتّفاق الجملتين يرتقي إلى صور، تبرز واضحة في التقسيم التالي:

١ ــ الجملتان خبران لفظاً ومعنىً، نحو قوله تعالى: «إنَّ الأبرارَ لفي نعيم. وإنّ الفجّارَ لفي جحيم» [الانفطار: ١٣ــ١٤].

٢ ــ الجملتان إنشائيتان لفظاً ومعنى، نحو قوله تعالى: «وكلوا واشربوا ولاتسرفوا» [الأعراف: ٣١].

٣ ــ الجملتان خبران معنىً وإنشائيتان لفظاً، نحو قولك للفخور: ألم تكن نطفةً؟ وألا تكون جيفة؟.

٤ ــ الجملتان مختلفتان لفظاً، بأن يكون لفظ الأولى إنشاء والثانية خبراً، نحو قوله تعالى: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلّا الحقّ ودرسوا ما فيه» [الأعراف: ١٦٩]. أي: أخذ عليهم.

٥ ــ أو بالعكس نحو: قال: «إني أُشهدُ الله، واشهدوا أني بريء مما تشركون» [هود: ٥٤]. أي: وأشهِدُكم.

٦ ــ ٧ ــ الجملتان إنشــائيتان معنىً وخبران لفظاً، أو مختلفتان كذلك، نحو قوله تعالى: «وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلاّ الله وبالوالدين إحساناً» [البقرة: ٨٣]. على اختلاف القراءة والتقدير[٩].

والمقصود قراءة ابن عباس: لا تعبدوا إلا الله؛ بحذف النون.

ثامناً: مراتب تأليف الكلام خمس:

نظر السُّيوطي إلى الصور الشاملة لأنواع الكلام العربي فوجدها:

الأولى: ضمّ الحروف المبسوطة بعضِها إلى بعضٍ لتحصُّل الكلمات الثلاث:

الاسم والفعل والحرف.

و الثانية: تأليفُ هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجملُ المفيدة؛ وهو النوع الذي يتداوله الناسُ جميعاً في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنثور من الكلام.

والثالثة: يضمُّ بعض ذلك إلى بعض ضمّاً لـه مبادٍ ومقاطعُ ومداخلُ ومخارجُ، ويقال له: المنظوم.

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له: المُسَجَّع.

والخامسة: أن يُجْعَلَ مع ذلك وزن، ويقال له: الشعر والمنظوم؛ إمّا محاورة ويقال له: الخطابة، وإما مكاتبة ويقال له: الرسالة.

فأنواعُ الكلام لاتخرجُ عن هذه الأقسام. ولكلٍّ من ذلك نظم مخصوص، والقرآن الكريم جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها، يدلّ على ذلك أنه لايصحّ أن يقال له: رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يصح أن يقال: هو كلام، والبليغ إذا قرع سمعَه فصلَ بينَه وبَيْن ماعداه من النظم، ولهذا قال تعالى: «وإنّه لكتابٌ عزيزٌ لايأتيه الباطلُ من بين يديه ولامن خلفه» [فصلت: ٤١ ــ٤٢]؛ تنبيهاً على أنَّ تأليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر، فيمكن أن يغيّر بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخرى(١٠).

وقال الراغب في مفردات القرآن:

جملة الكلام المركب ثلاثة أضرب:

ضرب لاختصار الكلام، نحو: «وإن خفتم أن لاتقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء» [النساء: ٣].

وضرب لبسطه نحو: «ليس كمثله شيء» [الشورى: ١١]. لأنه لو قيل: ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع.

وضرب لنظم الكلام، نحو: «أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً» [الكهف: ١ــ٢]. تقديره: أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً[١١].

وقال السيوطي في «الأشباه والنظائر»:

«ماخرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت، وإن اشتمل على حرف ولم يفد معنى فلفظ، وإن أفاد معنى فقول، فإن كان مفرداً فكلمة، أو مركباً من اثنين ولم يفدْ نسبة مقصودة لذاتها فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكَلِم».[١٢]

تاسعاً: العامّ والخاص بين الجملة والكلام:

بين الجملة والكلام عمومٌ وخصوص مُطْلَق؛ لأنَّ الجملةَ أعمُّ من الكلام، لصدقها من دونه، فكل كلامٍ جملة، لوجود التركيب الإسنادي، ولاينعكس؛ لأن الكلامَ تُعَدُّ فيه الفائدة بخلاف الجملة.

والظاهر من كلامهم أنهم يشترطون الإفادة في الجملة. بل عرَّف ابن الحاجب الجملة بتعريف الكلام، فقال: والجملة ما وُضِع لإفادة نسبة[١٣].

قال ابن جني في الفرق بين الجملة والكلام:

أما الكلامُ: فكلُّ لفظٍ مستقلٍّ بنفسه، مفيدٍ لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجُمَل، نحو: زيدٌ أخوك، قام محمد، ضُرِبَ سعيد، في الدار أبوك، صَهْ، ومَه، ورويدَ، وحاءِ وعاءِ في الأصوات، ولَبّ وأف وَأوّه، فكل لفظ استقل بنفسه، وجُنيتْ منه ثمرةُ معناه فهو كلام.

وأما القولُ: فأصله أنه كلُّ لفظ نطقَ به اللسانُ، تامّاً كان أو ناقصاً. فالتامّ هو المفيد، أعني: الجملة، وما كان في معناها، من نحو: صهٍ وإيهٍ، والناقص ماكان بضدّ ذلك، نحو: زيد، محمد، إن، كان أخوك.

فكل كلامٍ قول، وليس كل قول كلاماً، هذا أصله، ثم يتَّسع فيه؛ فيوضع القول على الاعتقادات والآراء، وذلك نحو قولك: فلان يقول بقول أبي حنيفة، ويذهب إلى قول مالك، ونحو ذلك، أي: يعتقد ماكانا يريانه، ويقولان به.

قال ابن جنّي: من أدلّ الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أن يقولوا: القرآن كلام الله، ولايقال: القرآن قول الله[١٤].

وقال ابن يعيش في «شرح المفصل»:

«الكلامُ عبارةٌ عن الجمل المفيدة، وهو جنس لها؛ فكلُّ واحدةٍ من الجمل الفعلية والاسمية نوع له، يصدق إطلاقه عليها. كما أنّ الكلمة جنس للمفردات، وأما الكلام فجماعة كلمة وهو يقع على ماكان جمعاً، مفيداً كان أو غير مفيدٍ»[١٥].

وقال التفتازاني في «المُطَوَّل»:

«الاصطلاحُ المشهور أنَّ الجملة أعمُّ من الكلام؛ لأنّ الكلام ماتضمَّن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته. والجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواءٌ أكان مقصوداً لذاته أم لا. والجملة الواقعة خبراً أو وصفاً أو حالاً أو شرطاً أو صلة أو نحو ذلك جملة وليست بكلام؛ لأن إسنادها ليس بمقصود لذاته»[١٦].

وقال الجزولي:

«الكلام غير المفيد: هو الذي لايفيدُ معنى يحسن السكوت عليه. نحو قولك: إن قام زيد، لأن (إنْ) الشرطية أخرجته عن صلاحيته لذلك؛ لأنّ السامعَ ينتظرُ الجواب، فيسمَّى جملة لاشتماله على المسند والمسند إليه، ولا يُسمَّى كلاماً».[١٧]

وقال السّمين الحلبي في «الدر المصون»:

«وفرَّق النحاة بين الكَلام والكَلِم بأن الكلام شرطه الإفادة، والكلم شرطه التركيب من ثلاثِ فصاعداً؛ لأنه جَمْعٌ في المعنى، وأقل الجمع ثلاثة، فيكون بينهما عموم وخصوص من وجه»[١٨].

ويطلق الكلام لغةً على الخط والإشارة كقوله:

إذا كلمتني بالعيون الفواتر ... رَددْتُ عليها بالدموع البوادر

وعلى النفساني كقول الشاعر:

إنَّ الكلامَ لفي الفؤاد وإنما ... جُعل اللسانُ على الفؤاد دليلا

وقال ابنُ هشام:

«الكلام أخصّ من الجملة لامرادف لها، فإن الكلامَ هو القولُ المفيدُ بالقصد، والمرادُ بالمفيد مادلّ على معنى يحسن السكوت عليه، والجملةُ عبارةٌ عن الفعل وفاعله، «كقام زيد»، والمبتدأ وخبره، «كزيد قائم» وما كان بمنزلة أحدهما، نحو: «ضُرب اللصّ»، و«أقائم الزيدان»، و «كان زيد قائماً»، و«ظننته قائماً».[١٩]

وقال الشيخ محبُّ الدين ناظر الجيش:

«الذي يقتضيه كلام النحاة تساوي الكلام والجملة في الدلالة، يعني كلّما صدق أحدهما صدق الآخر، فليس بينهما عموم وخصوص، وأما إطلاق الجملة

على ماذكر من الواقعة شرطاً أو جواباً أو صلة فإطلاق مجازي؛ لأنَّ كُلاًّ منهما كان جملة قبلُ، فأُطلِقَت الجملة عليه باعتبار ماكان، كإطلاق اليتامى على البالغين، نظراً إلى أنهم كانوا كذلك».

وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس:

«الفرق بين الكلام والجملة أن الكلامَ يقالُ باعتبار الوحدة الحاصلة بالإسناد بين الكلمتين، ويسمى الهيئة الاجتماعية وصورة التركيب، وإنَّ الجملةَ تقالُ باعتبار كثرة الأجزاء التي يقع فيها التركيب؛ لأن لكلٍّ مركب اعتبارين: اعتبارَ الكثرة واعتبار الوحدة، فالكثرة باعتبار أجزائه، والوحدة باعتبار هيئته الحاصلة في تلك الكثرة، والأجزاء الكثيرة تسمى مادة، والهيئة الاجتماعية الموحّدة تسمى صورة»[٢٠].

ويطلق على الجملة المفيدة في اللغة (الكلمة)، قال الله تعالى: (كلا إنها كلمة هو قائلها) [المؤمنون: ١٠٠]، إشارة إلى قول القائل: (ربِّ ارجعون. لعلِّي أعملُ صالحاً فيما تركت) [المؤمنون: ٩٩ ــ ١٠٠][٢١].

الحواشي:

١ ــ فروق اللغات للحسيني ٨٣.

٢ ــ الأشباه والنظائر للسيوطي ٩٢/١ ــ ٩٣.

٣ ــ انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ٢٩٢/١ ــ ٢٩٣. معاني القرآن للفراء ٣٩/١. مغني اللبيب ٣٠٠.

٤ ــ انظر الكشف ٢٨٧/٢.

٥ ــ شرح شذور الذهب ٢٦.

٦ ــ انظر شرح المفصل، ٢٣/٢، ١٢٤/٤ ــ ١٢٥. حاشية الخضري ١٤٢/٢ ــ ١٤٣.

٧ ــ شرح الكافية ٧٢/٢. شرح المفصل ٤٥/٤ ــ ٤٧. شرح الأُشْموني ١٤٧/١.

٨ ــ شرح المفصل ٢٠/١.

٩ ــ الكُلِّيات ١٥٦/٢.

١٠ ــ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٢٠/٢. معترك الأقران للسيوطي ٦/١.

١١ ــ انظر الإتقان ٥/٢.

١٢ ــ الأشباه والنظائر ٢/٢.

١٣ ــ انظر مبرز القواعد الإعرابية ٧٨ ــ ٧٩.

١٤ ــ الخصائص ١٧/١ ــ ١٨.

١٥ ــ شرح المفصل ٢١/١.

١٦ ــ المُطَوَّل ٢٤٧.

١٧ ــ مبرز القواعد الإعرابية ٦٠.

١٨ ــ الدرّ المصون ٤٤٠/١.

١٩ ــ مغني اللبيب ٣٦٣.

٢٠ ــ الأشباه والنظائر ١٢٠/٢.

٢١ ــ أوضح المسالك ٧/١.

البحث الثالث

دلالـــــة الجمـــــلة

فـــي

ســـــــــياق الكـــــــــلام

- الجملة التّامة.
- أهميّة الترابط بين الدلالة والنص.
- بين دراسة اللفظ المفرد ودراسة الجملة.
- تقسيم الكلام إلى مستقيم ومحال.
- الكلام المفيد.
- المفرد أصل والجملة فرع.
- الشَّبَه بين المفرد والجملة.
- أسرار الإخبار بالجملة مكان المفرد.
- روابط الجمل.
- الجمل التي تحتاج إلى رابط.

تمهيد:

الجملةُ: هي الصُّورةُ اللفظيةُ الصُّغرى للكلام المفيد في أيِّ لغةٍ من اللغات، وهي المركَّبُ الذي يبيّنُ المتكلِّمُ به صورةً ذهنية كانت قد تألَّفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلةُ التي تنقلُ ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع.

الجملة التّامة:

الجملةُ التَّامةُ التي تعبر عن أبسط الصور الذهنية التامة التي يصحّ السكوت عليها، تتألفُ من ثلاثةِ عناصرَ رئيسية هي:

١ ــ المسند إليه، أو المتحدَّثُ عنه، أو المبني عليه.

٢ ــ المسنَدُ الذي يُبنى على المسند إليه، ويتحدّث به عنه.

٣ ــ والإسناد، أو ارتباط المسند بالمسند إليه.

فقولنا: (هبَّ النسيم). جملة تامة، تعبر عما تمَّ في الذهن من صورة تامةٍ، قوامها المسند إليه؛ وهو (النسيم)، والمسند؛ وهو (هَبَّ)، ثم إسناد الهبوب إلى النسيم.

والإسناد عملية ذهنية تعملُ على ربط المسند بالمسند إليه، كما عملت هنا على ربط الهبوب بالنسيم[1].

والجملة في أقصر صورها هي أقلُّ قدْر من الكلام يفيد السّامَع معنىً مستقلاً بنفســـه، وليس لازماً أن تحتوي العناصرَ المطلوبة كلَّها، فقد تخلو الجملة من المسند إليه لفظاً، أو من المسند؛ لوضوحه وسهولة تقديره، كخلوها من المسند إليه في نحو قول المُستَهِلّ: الهلالَ والله. ومن المسند في نحو قولك: خرجت فإذا الثلوجُ، أو نحو قولك: زيدٌ. في جواب من قال لك: مَنْ كان معك أمسِ؟ ونحو قولك: لولا المطرُ لَيَبِسَ الزرع.

أهمية الترابط بين الدلالة والنص:

لعلّ خيرَ مَنْ بيّنَ أهمية الترابط بين النص والدلالة المنبثقة منه هو الجرجاني الذي بيّن دلالة الألفاظ على المعاني فقال: ليس الغرض بنظـم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بـل أن تناسقت دلالاتها وتلاقـت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل.

بين دراسة اللفظ المفرد ودراسة الجملة:

قال أستاذنا العلامة سعيد الأفغاني:

«للجمل في نصٍّ ما، ما للكلمات في الجملة، فهي أجزاء تؤلِّفُ النَّصَ، وإعرابُها هو معرفةُ علاقاتها بعضها ببعض، العلاقَة التي يُحدِّدها المعنى، وعلى المعرب أن يلتفتَ إلى الروابط اللفظية بين الجمل التفاتَه إلى العلاقات المعنوية، فمتى استوعب المعنى وأجزاءه اسـتطاع أن يطبِّقَ القواعدَ تطبيقاً سديداً يزيدُ المعنى وضوحاً وتحديداً في ذهنه.

وعليه ــ حين تقسيم الفقرة إلى جملها ــ ألا يحكم على ابتداء جملة إلاّ بعد استيفاء الجملة السابقة ركنيها (المسندُ والمسندُ إليه: المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل) وعندئذٍ ينظر في علاقاتها بما قبلها ليتبيّنَ إعرابها بناء على ذلك»[٢].

ونلفتُ الانتباهَ إلى أنه كما يكونُ للجملة الواحدة إعرابٌ يكونُ لمجموع من الجمل إعراب كذلك؛ فمقولُ القول مثلاً مجموعُهُ في محل نصب مفعول به لـ(قال)، لكنَّ كلَّ جملةٍ فيه يجبُ أن ينظرَ إليها مُستَقِلَّةً؛ فجملته الأولى ابتدائية لأنها أول ما تكلم به القائل، والتي بعدها بحسب علاقتها بها وهكذا[٣].

ومن هنا تبرز غايةُ عمل النحوي في بيان القاعدة اللغوية والنحوية؛ وهو الاستقراءُ السليمُ لموارد العربية أولاً، ثم بيان هذا الاستقراء وتعليله وَفْق المعنى الحقّ الذي عليه مدار الكلام. فطريقُه هو الاستقراء لا العقل، ولايذهبُ عليك أن الغرضَ من الاستدلالات النحوية هو التوجيه، وإيجاد الأوجه المرضية والمقبولة

للمسألة أو العبارة؛ بعد الوقوع على طريق الإيضاح، لا الإثبات على طريق العقل، فإنَّ ذلك غيرُ جائز.

فاللفظ المفردُ مستقلٌّ بالدلالة على المعنى بنفسه من غير احتياج إلى أمر آخَر يُذكَر معه يتعلَّق به، فيكون الحرفُ محتاجاً في الدلالة إلى غيره، والاسمُ والفعل مستقلان في الدلالة من غير احتياج إلى غيرهما، هذا في دلالة المفردات. وأما النسب المفيدة فلا تكونُ إلَّا من تركيب اسمين، أو من فعل واسم، ونحو ذلك...

وإنَّ فهم المعاني لايحصل بمجرد وجودها، بل لابدَّ من التّوجه إليها وتدبرها والالتفات إليها وتصوّر ألفاظها من خلال النظم الذي يحقق الفائدة.

قال ابن جني في «الخصائص»:

«إن الكلام إنما وضع للفائدة، والفائدة لاتُجنَى من الكلمة الواحدة، وإنما تُجنَى من الجمل ومدارج القول».[٤]

تقسيم الكلام إلى مستقيم ومُحَال:

إنَّ الحكمَ على معرفة ما يتمّه الكلام وما يستحيل معه هو ما عليه مدار الفائدة، ومن هنا وجدنا الإمامَ سيبويه يقسم الكلامَ إلى مستقيم ومحال:

فالكلام المحال: وهو أن تنقض أوّلَ كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمسِ.

والكلام المستقيم الكذبِ: وهو ما جاء على سياق تركيب عربي صحيحٍ صنعةً، كذبٍ معنىً، كقولك: حملت الجبلَ، وشربت ماءَ البحر.

الكلام المحال الكذب: وهو ما تناقض فيه المعنى وبَعُدَ عن صحة التركيب العربي، كقولك: سوف أشربُ ماء البحر أمس[٥].

الكلام المفيد:

قال ابنُ مالك: كلامنا لفظٌ مفيد ك: استقم[٦]...

قال العمريطي: كلامُهم لفظ مفيد مسند. والمفيدُ: المفهم معنى يحسن سكوتُ المتكلم عليه، بحيث لايبقى للسامع انتظارٌ مقيّد به، فلا يضرُّ احتياجُه إلى المتعلقات من المفاعيل ونحوها.

على أنّ ما لا يُفهِمُ معنى يحسنُ سكوتُ المتكلّم عليه كجملة الصلة، والصفة، والحال، والخبر، وجملة الشرط، والقسم وحدها، وجملة الجواب وحدها لايُسمَّى كلاماً؛ لأن الفائدة إنما تحصلُ بمجموع الجملتين، فنحو:

«إن قام زيد» لايُسمَّى كلاماً؛ لعدم حصول الفائدة،[٧] وتمام الفائدة بجواب الشرط.

قال أبو البقاء في «الكليَّات»:

الجملةُ هي أعمُّ من الكلام، على الاصطلاح المشهور؛ لأنَّ الكلامَ ما تضمَّن الإسناد الأصليّ، سواءٌ كان مقصوداً لذاته أو لا، فالمصدر والصفات المسندة إلى فاعلها ليست كلاماً ولا جملة؛ لأنَّ إسنادَها ليس أصلاً.

والجملةُ الواقعةُ خبراً، أو وصفاً، أو حالاً، أو شرطاً، أو صلةً، أو نحوَ ذلك، هي جملةٌ، وليست بكلام؛ لأنَّ إسنادَها ليس مقصوداً لذاته.

والجملةُ من حيث هي جملة مستقلة بإفادةٍ هي النسبة التَّامّة بين طرفيها، وإن كانت غير مستقلة باعتبار ما عرض لها من وقوعها موقع المفرد وقيداً للفعل مثلاً.[٨]

وكثيراً ما كنْتُ أُردِّد على مسامع أهل العلم ضرورةَ ربط الصناعة النحوية بالمعاني، فإذا ذهبتْ أصولُ الصنعة النحوية غيرَ مرتبطة بمبادئ علم المعاني، رأيتَ كلاماً مقلوباً عن جهته، ومغيَّراً عن صورته، ورأيت اللفظَ قد نبا عن

معناه، ورأيت الطبعَ يأبى أن يرضاه. ويعضُد هذا القولَ ما أرشدنا إليه أستاذُنا العلاّمة الدكتور مازن المبارك بقوله:

«إنَّ النحويَّ الذي يُخرِّج وجهاً من وجوه الإعراب غيرَ مراعٍ إصابةَ المعنى المقصود هو نحويٌّ لم يفهمْ صنعته، ولم يتمثَّلِ الغايةَ من علمه»[٩].

المفرد أصل والجملة فرع:

ثمة مسألة صناعية في تحديد الأصل من الكلام: أهو المفرد أم الجملة، قال ابن يعيش: «الذي يدلُّ على أن المفردَ أصلٌ والجملةَ فرعٌ عليه أمران: أحدهما: أن المفرد بسيط والجملة مركب، والبسيط أول والمركب ثان؛ فإذا استقل المعنى بالاسم المفرد ثم وقعت الجملة موقعه، فالاسمُ المفرد هو الأصلُ، والجملة فرع عليه» والثاني أن المبتدأ نظير الفاعل في الإخبار عنهما، والخبر فيهما هو الجزء المستفاد، فكما أن الفعل مفرد فكذلك خبر المبتدأ مفرد [١٠].

الشَّبَهُ بين المفرد والجملة:

قال ابن جنّي: «إن بين المفرد والجملة أشباهاً:

منها: وقوع الجملة موقع المفرد في الصفة، والخبر، والحال؛ فالصفة نحو: مررت برجلٍ وجهُهُ حَسَنٌ، والخبر نحو: زيد قام أخوه، والحال كقولنا: مررت بزيد فرسُه واقفةٌ.

ومنها: أنّ بعضَ الجمل قد تحتاجُ إلى جملة ثانية احتياج المفرد إلى المفرد، وذلك في الشرط وجزائه، والقسم وجوابه.

فالشرط نحو قولك: إن قام زيد (قام عمرو)، والقَسَم نحو قولك: أقسم ليقومنَّ زيد، فحاجة الجملة الأولى إلى الجملة الثانية كحاجة الجزء الأول من الجملة إلى الجزء الثاني، نحو: زيد أخوك، وقام أبوك.

ومنها: أن المفردَ قد أُوقع موقعَ الجملة في مواضع؛ كَنَعَمْ، ولا، ولأنّ كل واحد من هذين الحرفين نائب عن الجملة؛ ألا ترى إلى قولك: (نعم) في موضع:

(قد كان ذاك)، و(لا) في موضع (لم يكن ذاك). وكذلك: صَهْ ومَهْ وإيهِ وأفّ وأوّتاه، وهيهات: كلُّ واحد منها جزء مفرد وهو قائم برأسه، وليس للضمير الذي فيه استحكام الضمير في الفعل، يدل على ذلك أنّه لما ظهر في بعض أحواله ظهر مخالفاً للضمير في الفعل، وذلك قول الله سبحانه: (هاؤم اقرؤوا كتابيه) [الحاقة: ١٩]. وأنت لاتقول في الفعل: اضربُمْ ولا ادخُلْمْ ولا اخرجُمْ، ولا نحو ذلك.(١١)

أسرار الإخبار بالجملة مكان المفرد:

الأصل في الخبر أن يكون مفرداً؛ لأنّ الخبر المفرد هو المبتدأ في المعنى أو مُنَزّلٌ منــزلته، وإنما أُخبر بالجملة مكان المفرد لثلاثة أشياء:

أحدها: الحاجة إلى توسيع العبارة في النظم والنثر.

والثاني: أن ذلك قد يزيل اللّبس في بعض المواضع، كقولك: زيد قام أبوه، لو قلت: قام أبو زيد، لجاز أن يظن أن هذه كنية له، لا أن له ولداً، فإذا قدمت بطل كونه كنية.

والثالث: أن في ذكر الشيء مظهراً ومضمراً تفخيماً(١٢).

روابط الجمل:

إنَّ تكاملَ الكلام العربي يتحقّق في الارتباط الوثيق بين أجزائه، فالخبر يرتبط بالمبتدأ، وكذا الصفة بالموصوف، والحال بصاحب الحال، والجزاء بالشرط، والصلة بالموصول، وهكذا.

فجملة الخبر إن كانت هي المبتدأ في المعنى لم تحتج إلى رابط، كقولك: (نُطقِيَ اللهُ حسبي) فـــ(نطقي) مبتدأ أول، والاسم الكريم (اللهُ) مبتدأ ثانٍ، و(حسبي) خبر عن المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن المبتدأ الأول، واستغنى عن الرابط؛ لأنّ قولك: الله حسبي، هو معنى (نطقي)، كذلك: قولي لا إله إلا اللهُ(١٣).

وإن لم تكن الجملة هي المبتدأ في المعنى فلابدَّ لها من رابط يربطها بالمبتدأ، وأشهر الروابط: الضمير، واسم الإشارة إلى المبتدأ، أو تكرار المبتدأ بلفظه، أو عموم يدخل تحته المبتدأ..

الجمل التي تحتاج إلى رابط:

الجملُ التي تحتاج إلى رابطٍ من الروابط المذكورة سابقاً ستٌّ، هي:

١ ــ الجملةُ المخبَرُ بها: كقوله تعالى (اللهُ يعلمُ ما تحملُ كلُّ أنثى) [الرعد: ٨] أي: يعلم هو.. ومنه قوله تعالى: (أنَّ الأمر كلُّه لله) [آل عمران: ١٥٤] ، بقراءة أبي عمرو يعقوب: (كلُّه) بالرفع مبتدأ.. وقوله تعالى (والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار) [الأعراف: ٣٦]، ومنه: (الحاقّة، ما الحاقة) [الحاقة: ١-٢].

٢ ــ الجملة الموصُوفُ بها: ولا يربطها إلا الضمير، إما مذكوراً نحو: (حتى تنــزّل علينا كتاباً نقرؤه) [آل سراء: ٩٣]، أو مقدراً نحو: (واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً) [البقرة: ٤٨].

٣ ــ الجملة الموصولُ بها الأسماءُ:

ولا يربطها غالباً إلا الضمير، إما مذكوراً، نحو (هدىً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) [البقرة: ٢ــ٣]، وإما مقدّراً نحو: (وفيها ما تشتهي الأنفُسُ) [الزخرف: ٧١] في قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

هذا وقد يربطها ظاهر يخلُف الضمير، كقول الشاعر:

فيارَبَّ ليلى أنتَ في كل موطنٍ

وأنتَ الذي في رحمةِ الله أطمعُ

وهو قليل، تقديره: وأنتَ الذي في رحمته أطمع، ومنه:

سعادُ الّتي أضناكَ حبُّ سعادَا

وإعراضُها عنك استمرَّ وزادا

يريد: وحبُّها، وهذا في الصلة نادر.

٤ ــ الجملة الواقعةُ حالاً:

يربطها الضميرُ والواو الحالية، نحو (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) [النساء: ٤٣]، وهذا الوجه أوسع أشكال هذه الجملة.

أو يربطها الواو الحالية فقط نحو: (لئن أكله الذئب ونحن عصبةٌ) [يوسف: ١٤].

أو يربطها الضمير فقط، نحو: (اهبطوا بعضُكم لبعضٍ عَدُوٌّ) [البقرة:٣٦].

قال ابنُ هشام في المغني:

«قلت يوماً: ترد الجملة الاسمية الحالية بغير واوٍ في فصيح الكلامِ، خلافاً للزمخشري، كقوله تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهم مسوَدَّة) [الزمر: ٦٠]، فقال بعض من حضر: هذه الواو في أوّلها!!

٥ ــ الجملة المفسِّرَة لعامل الاسم المشتغل عنه:

نحو: (والسماءَ رفعَها) [الرحمن: ٧] ومنه:

(وكُلاًّ ضَرَبنا له الأمثال) [الفرقان: ٣٩].

جملة «رفعها» تفسيرية.. وفيها الضمير المتصل عائد على السماء.

٦ ــ جملة جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء:

ولا يربطه أيضاً إلّا الضمير، مذكوراً نحو: (من جاء بالحسنة فله عشْر أمثالها) [الأنعام: ١٦٠]، أو مقدّراً مَنْوِيّاً عنه نحو: (فمن فرض فيهنَّ الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَال في الحجّ) [البقرة: ١٩٧] أي: منه، أو الأصل: في حَجِّه[١٥].

الحواشي:

١ ــ النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي مخزومي ٣١.

٢ ــ الموجز في قواعد اللغة العربية ٤٠٤.

٣ ــ المصدر نفسه.

٤ ــ الخصائص ٢٨/١.

٥ ــ الكتاب ٨/١.

٦ ــ الخلاصة الألفية لابن مالك ١.

٧ ــ الكواكب الدريّة ٦/١ ــ ٧. وانظر مبادئ اللسانيات د. أحمد قدور ٢١٧.

٨ ــ الكليّات ١٥٢/٢ ــ ١٥٤.

٩ ــ النحو العربي ١٦٠.

١٠ ــ شرح المفصّل ٨٨/١.

١١ ــ الخصائص ١٧٧/٣ ــ ١٧٨.

١٢ ــ اللباب في علل البناء والإعراب. ١٣٩/١

١٣ ــ شرح ابن عقيل. ٢٠٤/١

١٤ ــ الأشباه والنظائر للسيوطي ٢٠٥/١.

١٥ ــ مغني اللبيب: ٦٥٣ ــ ٦٥٧.

البحث الرابع

دِراسَـــةُ الجمْـــلَة

فـــي

التـــُّراثِ النـــَّحـــْويِّ

ـ تمهيد.

ـ بوادر الحديث عن إعراب الجمل.

ـ الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب.

ـ الجمل التي لها محلّ من الإعراب.

- الجمل التي في محل رفع.
- الجمل التي في محل نصب.
- الجمل التي في محلّ جر.
- الجمل التي في محل جزم.

ـ وجهات نظر في إعراب بعضِ الجمل.

ـ جمل جديرة بالنظر والدراسة.

تمهيد:

لم تَنَلِ الجملةُ العربيةُ حظها الأكمل في دراسة قدماء النحاة، وإنما كانت تظهر العناية بها على استحياء، ولعل رصيدها الأوفر جاء في عناية علماء معاني القرآن والمفسرين، الذين أبرزوا دور الجملة، وما تنطوي عليه من الأسرار واللطائف التي تُظْهِر عظمةَ القرآن وإعجازه.

أما النّحاة فلم نجدْ في مظانِّ تراجمهم أنهم خصَّصوا كتاباً مفرداً سمَّوه الجملة، على غِرار ما نجد في تآليفهم حول الحروف وعنايتهم بها، كذلك حول الأسماء والأفعال معتمدين دورها ومعناها اللغوي، ولعلّ دراستهم التكاملية لقواعد العربية تشـــفع لهم أن لا يقتطعوا حديث الجملة وإفراده عن أجزاء الكلام وتركيبه، والقدامى منهم الذين كانوا روَّاداً في التأليف النحوي كسيبويه والمبرد كانوا أقدرَ الناس على تحليل الكلام العربي وفقْهِ أسراره، أمّا سيبويه فقد بلغ الغايَة في حديثه عن المفردات اللغوية عامة؛ فدرس معاني الأدوات والحروف، وبيَّن أصلها وتركيبها في سياق كلام العرب، وعُني بالحديث عن الأسماء والأفعال وأبنيتهما، إلّا أنّه لم يفردِ الجملةَ بدراسةٍ مستوعبة مخصصة، فإذا ما أراد الباحثُ الاطلاعَ على أنواع الجمل مثلاً، فإنّه لا يظفر إلّا بجملة الخبر والصفة والحال والموصول والقسم والشرط بِقسمٍ مستقلٍّ؛ كما سنراها في حديث ابن هشام الذي أفرد الباب الثاني من (مغني اللبيب) للحديث الشامل عن الجملة[1]. ولن يظفر الباحث في كتاب سيبويه على التقاط الجملة إلاّ بعد الرجوعِ إلى مظانّ كل جملة في بحثها المستقل، وكذلك صنيع الإمام المبرّد في (المقتضب)[2].

بوادر الحديث عن إعراب الجمل:

ومن بوادر الحديث عن إعراب الجملة ما نجده عند الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة (٤٧١ هـــ)، فقد عقد الباب الأخير من كتابه المشهور

(الجمل في النحو) للحديث عن: المفرد والجملة، فذكر أنّ الواحدَ من الاسم والفعل والحرف يُسمَّى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: (خرج زيد) يسمّى كلاماً، ويسمّى جملة، وذكر أنّ الائتلاف يكونُ بين الاسم والفعل، وبين الاسمين كقولك: (زيد منطلق)، وبين الحرف والاسم في النداء خاصةً، نحو: (يا زيد)[٣].

وما يهمُّنا في هذا الباب أنّه صرَّح أن الجملةَ تقعُ موقع المفرد في ستة مواضع:

أحدها: خبر المبتدأ، والثاني: خبر كان وأخواتها، والثالث: خبر (إنَّ) وأخواتها، والرابع: المفعول الثاني من باب ظننت وأخواتها، والخامس: في صفة النكرة، والسادس: الحال.

وقد تصدّى لشرح هذا الكتاب الإمام ابنُ الخشَّاب المتوفى سنة (٥٦٧ هـ). فقال:

(اعلم أنَّ أصلَ الجملة الاستقلالُ بنفسها، والمفرد ليس كذلك، ويُحكمُ عليها بإعراب في موضعها بحسب إعراب المفرد الذي وقعت موقعه، وتلك المواضع محصورة، وهي ستة:

الأولى: خبرُ المبتدأ .. في موضع رفع.

الثانية: خبرُ (كان وأخواتها) في موضع نصب.

الثالثة: خبرُ (إنَّ) وأخواتها في موضع رفع.

الرابعة: الجملة الواقعة في موضع المفعول الثاني لـ (ظننتُ) وأخواتها في موضع نصب.

الخامسة: الجملة الواقعة وصفاً للنكرة.. وهذه الجملةُ لم تُقْصر على إعرابٍ دون إعراب؛ لأنّ الموصوف بها قد يكون مرفوعاً فتكون في موضع رفع، وقد يكون منصوباً فتكون في موضع نصب، وقد يكون مجروراً فتكون في موضع جرّ.

السادسة: الجملة الواقعة موقع الحال، وهذه الجملةُ منصوبةُ الموضع، مقصورة على النصب دون غيره من ضروب الإعراب؛ لأنّ المفرد الذي وقعت موقعه ــ وهو الحال ــ لا يكون إلا منصوباً.

قال ابنُ الخشّاب: وهذه الجملُ الستُّ ذواتُ الموضع لا خلافَ فيما بينهم، وهناك جملٌ اختلفوا فيها خلافاً لم يشِعْ وهي:

الجملة الواقعة بعد (حتّى) الابتدائية، ذهب الزجّاج إلى أنها في موضع جر بحتى، ووافقه فيما ذهب إليه في هذه المسألة أبو محمد بن درستويه. وبخلافهما نقول، فهي عند الجمهور ابتدائية.[٤]

وتوسّع أبو حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ) في كتبه المطوّلة كـ(ارتشاف الضَّرب) و (البحر المحيط) في الحديث عن الجملة، فهو يذكرُ الجملةَ حسب مظانّ البحث النحوي الذي يخوض فيه، فجملةُ خبر المبتدأ في باب المبتدأ[٥]، والجملة الحالية في باب الحال[٦]، وجملة المضاف إليه في باب الإضافة[٧].

وذكر الإمام السّمين الحلبي (٧٥٦هـ) في الدُّر المصون ما نصُّه:

«الجمل التي لا محل لها من الإعراب أربع لا تزيد على ذلك ــ وإن تَوَهَّمَ بعضهم ذلك ــ وهي: المبتدأ والصّلة والمعترضة والمفسِّرة[٨]».

على أن الحديث المفصَّل عن الجملة كان من خلال استطرادٍ لجأ إليه أبو حيّان بعد حديثه عن الحال، فقال[٩]:

«جرتْ عادةُ بعض النحاة أن يذكر هنا ما يشبه جملة الحال، وهي جملة الاعتراض، وجملة التفسير»، ويستفيضُ في الحديث عن الجملة الاعتراضية من خلال الشواهد القرآنية والشعرية التي كانت مادة غنية لابن هشام في مغني اللبيب.

ثم أتبع أبو حيّان ذلك بالحديث عن الجملة التفسيرية، وهو الحديثُ الذي نقله ابنُ هشام أيضاً ثم قال: «ونحن نتكلّم في الجمل» وقد عرض تقسيماً مفصّلاً، استقصى فيه ارتباط الجملة بمعاني الأدوات، وهذا التقسيم كان مادّة قيّمةً للإمام السيوطي (٩١١هـ) في كتابه (الأشباه والنظائر)؛ ذلك أنّهُ استوعب

ما نقله أبو حيّان في (الارتشاف) وزاد عليه بعض الأمثلة، وعَنْوَنه في (الأشباه) بباب الجملة، فقال:

«أصل الجملة أن لا يكون لها محل من الإعـراب؛ وإنما كان كذلك لأنها إذا كان لها موضع من الإعراب تقدرت بالمفرد؛ لأن المعرب إنما هو المفرد، والأصل في الجملة أن لا تكون مقدرة بالمفرد»[١٠].

والجملُ على قسمين: قسمٌ لا موضعَ له من الإعراب، وقسمٌ له موضع من الإعراب.

القسم الأول: وقد حصرته في اثني عشر قسماً:

الأول: أن تقعَ الجملة ابتداء كلام، لفظاً ونيةً، أو نيةً لا لفظاً، نحو: زيد قائم، وقام زيد، وراكباً جاء زيد، فإن وقعت أول كلام لفظـاً لا نيةً كان لها محل من الإعراب نحو: أبوه قائم زيد.

الثاني: أن تقع بعد أدوات الابتداء؛ فيشمل ذلك الحروف المكفوفة نحو: إنما زيد قائم، وإذا الفجائية نحو: خرجت فإذا زيد قائم، وهل، وبل، ولكنْ، وألا، وأمّا، و(ما) النـافية غير الحجازية، وبينما، وبينا، نحو: هل زيد قائم؟، وما زيد قائم، وقول الأفوه الأودي:

بينما الناسُ على عليائها إذْ هَوَوا في هُوَّة فيها فغاروا

وقال:

فبينا نحنُ نرقبُه أتانا معلّق وفضةٍ وزنادَ راعي

الثالث: أن تقعَ بعد أدوات التحضيض، نحو: هلاّ أكرمتَ زيداً.

الرابع: أن تقع بعد حروف الشرط غير العاملة (الجازمة) كـ: لو، لولا، لمّا على مذهب سيبويه.

الخامس: أن تقع جواباً لهذه الحروف الشرطية التي لا تعمل.

السادس: أن تقع صلة لحرف أو اسم موصول.

السابع: أن تقع اعتراضية.

الثامن: أن تقع تفسيرية على المشهور.

التاسع: أن تقع توكيداً لما لا محل له من الإعراب.

العاشر: أن تقع جوابَ قسم.

الحادي عشر: أن تقع معطوفة على مالا محل له من الإعراب.

الثاني عشر: الجملة الشرطية إذا حذف جوابها وتقدّمها ما يدل عليه، نحو قول العرب: أنت ظالم إنْ فعلت، التقدير: إن فعلت فأنت ظالم، أو تقدمها ما يَطلب ما يدل على جوابها، نحو: والله إن قامَ زيد ليقومَنَّ عمرو، فالقسم يطلب (ليقومن)، وليقومن دليل على جواب الشرط، التقدير: إن قام زيد يقم عمرو.

القسم الثاني: الجمل التي لها محل من الإعراب، وينحصر في أنواع الإعراب.

الجمل التي في محل رفع؛ وهي ثمانية أقسام، ستة باتفاق، واثنتان باختلاف:

الأول: أن تقعَ خبراً للمبتدأ.

الثاني: أن تقع خبراً لـــ (لا) النافية للجنس، نحو: لا ربيئةَ قوم تجيء بخير.

الثالث: أن تقعَ خبراً بعد (إنَّ) وأخواتها..

الرابع: أن تقعَ صفةً لموصوف مرفوع..

الخامس: أن تقعَ معطوفةً على ما هو مرفوع..

السادس: أن تقع بدلاً من مرفوع، نحو: أنت تأتينا تُلِمُّ بنا في ديارنا.

هذه الستة باتفاق. واثنتان فيهما اختلاف:

الأول: أن تكون في موضع الفاعل.

الثاني: أن تكون في موضع المفعول الذي لم يسمّ فاعله (النائب عن

الفاعل).

والصحيح أن الجملة لا تقع موقع الفاعل ولا المفعول الذي لم يسم فاعله إلَّا إن اقترن بها ما يصيّرها وإياه في تقدير المفرد. وهناك من أضاف جملة المبتدأ.

الجمل التي في محل نصب، وهي ثلاثة عشر قسماً، عشرة باتفاق، وثلاثة باختلاف:

الأول: أن تقع خبراً لـــ (كان) وأخواتها.

الثاني: أن تقع في موضع المفعول الثاني لـــ (ظننتُ) وأخواتها.

الثالث: أن تقع في موضع المفعول الثالث لـــ (أعلمتُ) وأخواتها.

الرابع: أن تقع خبراً بعد (ما) الحجازية العاملة عمل ليس.

الخامس: أن تقع خبراً لـــ (لا) العاملة عمل ليـــس (أخت ما)، و(إنْ) النافية أيضاً.

السادس: أن تقعَ في موضع المفعول للقول الذي يحكى به.

السابع: أن تقعَ في موضع المفعول المعلّق.

الثامن: أن تقعَ معطوفة على ما هو منصوب، أو موضعه نصب.

التاسع: أن تقع في موضع الصفة لمنصوب.

العاشر: أن تقع في موضع الحال.

الحادي عشر: أن تقع في موضع نصب على البدل، نحو قولك: عرفت زيداً (أبو من هو)، على خلاف؛ أي: عرفت قصة زيد أبو من هو.

الثاني عشر: أن تقع مُصَدَّرة بـــ (مذ) و (منذ)، نحو قولك: ما رأيته مذ خلقه الله، ففي هذه الجملة خلاف، ذهبَ الجمهور إلى أنها لا موضع لها من الإعراب، وذهب السيرافي إلى أنها في موضع نصب على الحال.

الثالث عشر: أن تقع مســتثنى بها، نحو: قام القوم خَلاَ زيداً، وقام القوم

ليس خالداً، ففيها خلاف.

الجمل التي في محل جرّ، وهي ستة أقسام، ثلاثةٌ باتفاق، وثلاثة باختلاف، فالتي باتفاق:

أحدها: أن تقع مضافاً إليها أسماءُ الزمان غير الشرطية التي لا تجزم.

الثاني: أن تقع موضع الصفة المجرورة.

الثالث: أن تقع معطوفة على مخفوض، أو ما موضعه خفض، نحو: مررت برجلٍ كاتب ويجيدُ الشعر، ومررت برجلٍ يكتب ويجيد.

والتي باختلاف:

أحدها: أن تقع بعد (ذو) في نحو قول العرب: (اذهب بذي تسلمُ)، وذهب بعضهم إلى أنها في محل جر، وذهب آخر إلى أنها لا محل لها من الإعراب.

الثاني: أن تقع بعد (آيةِ) بمعنى علامة، نحو قول الشاعر:

بآيةِ قامَ ينطق كلّ شيء وخان أمانةَ الديكِ الغرابُ

ذهب بعضهم إلى أنها في موضع جر بالإضافة، وذهب بعضهم إلى أنها لا موضع لها من الإعراب، بل يقدّر معها حرف يكون ذلك الحرف والجملة في موضع جر.

الثالث: أن تقع بعد (حتّى) الابتدائية، ذهب الجمهور إلى أن الجملة بعدها لا محل لها من الإعراب، وذهب الزجاج وابن درستويه إلى أنها في محل جر بـ(حتى).

الجمل التي في محل جزم، وهي ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تقع بعد أداة شرط عاملة (جازمة) ولم يظهر لها عمل، نحو: إن قام زيد يقمْ عمرو.

الثاني: أن تقع جواباً للشرط العامل، نحو: إنْ يقمْ زيد فعمرو قائم، وإن يقمْ زيد قام عمرو، فهاتان الجملتان في محل جزم، ولهذا يجوز العطف عليهما

بالجزم، قال تعالى: (من يُضْلِلِ اللهُ فلا هاديَ له ويَذَرْهُمْ) [الأعراف: ١٨٦].

الثالث: أن تكون معطوفة على مجزوم، أو ما موضعه جزم، نحو: إن قام زيد ويخرجْ عمرو أكرمتهما، وقوله تعالى (فلا هاديَ له ويَذَرْهُمْ) [الأعراف: ١٨٦].

فهذه الجمل اثنان وأربعون قسماً بالمتفق عليه والمختلف فيه [١١].

وجهاتُ نظرٍ في إعراب بعض الجمل:

اختُلِفَ في جملٍ أَلَها محل من الإعراب أم لا، ومنشأ الخلاف توجيهُ المعنى في كل كلامٍ، وبيان ارتباط الكلام بعضه ببعض، وهذه الجمل هي:

١ ــ الجملة بعد حتى الابتدائية كقوله:

فما زالتِ القتلى تمجُّ دماءَ ها بدجلةَ حتى ماءُ دجلةَ أشكلُ

فقال الجمهور: إنها مستأنفة فلا محل لها، وقال الزجاج وابن درستويه: إنها في محل جر بـــ (حتّى)، وردّ بأن حروف الجر لا تُعلّق عن العمل.

٢ ــ جمل أفعال الاستثناء: ليس ولا يكون وخلا وعدا وحاشا.

قال السـيرافي: الجمل حال؛ إذ المعنى: قام القوم خالين عن زيدٍ، وقال قوم: مستأنفة، وصحّحه ابن عصفور؛ إذ لا رابط لها بذي الحال.

٣ ــ جملة (مذ) و(منذ) وما بعدهما: هذان الظرفان لهما أحوال:

منها: أن يليهما الجملة الاسمية أو الفعلية، كقوله:

وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع

وقوله:

ما زال مذْ عقدت يداه إزارَه

ومنه : منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

والمشهور أنهما حينئذ ظرفان مضافان، فقيل: إلى الجملة، وعليه سيبويه والسيرافي والفارسي وابن مالك، وقيل: إلى زمانٍ مضاف إلى الجملة، وعليه ابن عصفور؛ لأنّهُما لا يدخُلان عنده إلاّ على أسماء الزمان ملفوظاً بها أو

مقدّرة، فالتقدير في: ما رأيته مذ زيد قائم، مذ زمنُ زيد قائمٌ. وقيل: إنهما حينئذ مبتدآن فيجب تقدير زمان مضاف للجملة يكون هو الخبر، وعليه الأخفش. وقد يلي (مذ) و (منذ) اسم مرفوع نحو: مُذْ يومُ الخميس، فهما ظرفان مضافان لجملة حذف فعلها وبقي فاعلها، والأصل: مذ كان، أو مذ مضى يومان، قال ابن مالك: ويرجحه أن فيه إجراءَ (مذ) و(منذ) على طريقةٍ واحدة. وعليه أكثر الكوفيين والسهيلي وابن مضاء وابن مالك.

وعلى هذا اختلف هل لجملة (مذ) و(منذ) ومرفوعهما محل من الإعراب؟

فقال الجمهور: لا، فهي استئنافية، وقال السيرافي: إنها في موضع الحال كأنه قال: ما رأيته متقدماً. وردَّ بأنها خرجت مخرج الجواب، كأنه قيل له: ما أمَدُ ذلك؟ قال: يومان، وبأنه لا رباط فيها من ضمير أو واو.

جمل جديرة بالنظر والدراسة:

تحدّثَ ابن هشام عن الجمل التي لا محل لها من الإعراب فذكر منها: الجملة الاستئنافية، والجملة المعترضة، والجملة الواقعة جواباً للقسم، وهذه الجمل بحاجة إلى استقصاء ورصد وتدوين، أمّا الحديث المستفيض عن الجملة الاستئنافية فإننا نجده من خلال تتبع الباحث لكتب التفسير التي اعتنت بالحديث النحوي والبلاغي ككتاب (الكشّاف) للإمام الزمخشري (٥٣٨ هـ)، و(حاشية الشّهاب الخفاجي) (ت ١٠٦٩هـ) و(روح المعاني) للآلوسي (١٢٧٠هـ) و(نظم الدّرر في تناسب الآيات والسُّور) للبقاعي (٨٨٥ هـ)، وتتبع هذه الجمل في ضوء أساليب القرآن كشف عن مادّة غنيّة نضيءُ من خلالها معالمَ الجملة العربية في أبرز صورها، وأدقّ معانيها من خلال النظم القرآني المعجز.

وأمّا الحديثُ عن جملة القسم فنرصده فيما أُلِّف في هذا المجال خاصةً ككتاب (التبيان في أقسام القرآن لابن القيّم) (٧٥١ هـ)؛ فقد كان حديثُه شاملاً وموسَّعاً عن جملة القسم وتراكيبها في مجال القرآن الكريم، وهذا بدوره يعدّ دافعاً بارزاً لإضفاء صُورٍ بيانية مشرقة حول جملة القسم في أجلى معانيها.

وأما الجملةُ الاعتراضية فتُظْهِر للباحث الكثير من اللطائف والأسرار البلاغية، التي تستدعي الانتباه، وتحمل على الإصغاء، وهذه الجملة دَرَسها بعض النحاة مبيّناً دورها في سياق الكلام أنها تعترض بين شيئين متلازمين

لتوكيد الكلام وتحقيقه ونحو ذلك، وهي بحاجةٍ إلى رصدٍ ومتابعة في الشعر العربي وفي شواهد القرآن الكريم، ذلك أن علماء البلاغة والبيان كالقزويني والتفتازاني والسبكي ذكروا معناها وبعضاً من شواهدها في كلام العرب، وكذلك نبّه بعض المفسّرين كالزمخشري وأبي حيّان وابن عطية إلى شواهدها في كلام الله تعالى..

ودراسة هذه الجمل بحاجة إلى متابعة ورصدٍ وتحليل[١٢].

الحواشي:

١ ــ انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الباب الثاني.

٢ ــ انظر ملامح الجملة عند سيبويه، وعند المبرد من هذا الكتاب، البحث السادس.

٣ ــ الجمل في النحو للجرجاني ١٠٧.

٤ ــ المرتجل في شرح الجمل ٣٤٠ ــ ٣٤٦.

٥ ــ ارتشاف الضَّرَب: ٤٩/٢ ــ ٥٠.

٦ ــ ارتشاف الضرب: ٣٦٣/٢.

٧ ــ ارتشاف الضرب: ٥٢٠/٢ ــ ٥٢٥.

٨ ــ الدرّ المصون ١٢٤/١.

٩ ــ ارتشاف الضرب ٣٧٢/٢ ــ ٣٧٤، وانظر الأشباه والنظائر ١٧/٢ ــ ٢٠.

١٠ ــ الأشباه والنظائر ١٧/٢ ــ ٢٠.

١١ ــ المصدر نفسه.

١٢ ــ أصدر الدكتور فخر الدين قباوة كتابين في هذا المجال، أحدهما: (إعراب الجمل وأشباه الجمل)، والثاني: (تحقيق شرح قواعد الإعراب) للكافيجي، وهما من الكتب الجليلة وكتاب: من نحو المباني إلى نحو المعاني، بحث في الجملة وأركانها للدكتور محمد طاهر الحمصي. وكتاب في بناء الجملة العربية للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف.

البحث الخامس

أقســـــــام الجملة

عند

النـــحـــويِّيـــن

- انقسامُ الجملة إلى اسميّة وفعليّة وظرفية وشرطية.
- الأصلُ في تحديد فعلية الجملة أو اسميتها.
- التسمية بالجملة الظرفية.
- تقسيمات أخرى:

ـ انقسام الجملة إلى صغرى وكبرى.

ـ ما يحتمل الجملة الكبرى والصغرى.

ـ انقسام الجملة الكبرى إلى ذات وجه وذات وجهين.

- التقسيم المعاصر للجمل:

ـ الجمل كلها نكرات.

ـ مواقع الجمل الفعلية والجمل الاسمية.

ـ ما يحتمل الاسمية والفعلية من الجمل.

ـ توجيه للجملة في تركيب الكلام.

ـ الأصل في جملة النداء.

ـ أصول أخرى للجملة الفعلية.

ـ الأصل في أسلوب التحذير والإغراء.

ـ غنى العربيّة بتنوُّع جملها.

ـ بين المصدر والجملة.

ـ مجيء الجملة والمصدر المؤول بعد فاء الجزاء.

ـ مسألة.

انقسام الجملة إلى اسميّة وفعليّة وظرفية وشرطية:

يلقانا في تقسيم النحاة للجمل مصطلحاتٌ أربعة هي: الجملة الاسمية والفعلية والشّرطيّة والظرفيَّة، بين اتّفاقٍ واختلاف فيما بينهم على تحديد كلّ جملةٍ؛ نظراً إلى تركيبها الظاهر أو العميق، مُلاحَظاً فيه الإسناد.

قال السكّاكي في «مفتاح العلوم»:

«الإسنادُ: هو تركيبُ الكلمتين أو ما جرى مجراهما، على وجهٍ يفيد السامعَ، كنحو: عرف زيد، ويسمّى هذا جملة فعلية، أو: زيد عارف، أو زيد أبوه عارف، ويسمّى هذا جملة اسمية، و: إن تكرمني أكرمك، ويسمّى هذا جملة شرطية، و: في الدار زيد، أو أمامك زيد، بمعنى حصل فيها، ويسمّى هذا جملة ظرفية».[1]

وهذا التقسيمُ في الحقيقة تقسيم لفظي؛ ذلك أنّ البنية العميقة للجملة مردُّها نوعان: فعلية واسمية، فالجملة الشرطية في التحقيق مركبةٌ من جملتين فعليتين: الشرط (فعل وفاعل)، والجزاء (فعل وفاعل)، والجملة الظرفية في التحقيق مبناها الخبر الذي هو (استقرّ) وهو فعل وفاعل.[2]

الأصل في تحديد فعلية الجملة أو اسميتها:

الأصلُ في معرفة انقسام الجملة إلى اسمية وفعلية النظر إلى المسند أو المسند إليه، إذ هُما الأصل في تركيب الكلام ثم تأتي التتمّات كالمفاعيل، والحال، والظروف.

فالجملةُ إذا صُدِّرت باسم تسمّى اسميةً، سواء أكان الاسم صريحاً نحو: زيد قائم، أم مؤولاً نحو: (وأن تصوموا خيرٌ لكم) [البقرة: ١٨٤]، أي: صيامُكم خيرٌ لكم.

وإذا صُدِّرت الجملةُ بفعل تُسمَّى فعليةً، سواء كان مَاضياً أو مُضارعاً أو أمراً، وسواء أكان الفعل متصرفاً أم جامداً، وسواء أكان تاماً أم ناقصاً، وسواء أكان مبنياً للفاعل أم المفعول. كـ: قام زيد، ويضرب عمرو، واضـــرب زيداً، وقوله تعالى: (نعم الوكيلُ) [آل عمران: ١٧٣]. و(قُتِلَ الخرَّاصونَ) [الذاريات: ١٠] وما أشبه ذلك[٣].

قال الناظم المجرادي المغربي:

وجُملتنا في النحو فعلٌ وفاعل ومبتدأ والخبر، أو ما تَنَـزّلا

كجاء محمد، ودينُهُ واضح ونيلت خيوره، أسارٍ بنو العُلا[٤]

التسمية بالجملة الظرفية:

سمَّى جماعةٌ من النحاة، منهم الزمخشري في مفصَّله الظرف من نحو: (زيد في الدار) جملة ظرفية؛ لكونها عندهم خلفاً من جملة مقدرة[٥]. وقال ابن هشام:

الظرفية: هي المصدَّرة بظرف أو مجرور، نحو قوله تعالى: (أفي الله شكٌّ) [إبراهيم: ١٠]، وقوله تعالى: (أعنده علمُ الغيب) [النجم: ٣٥]، فيرفع (شكٌّ) و(علمُ) فاعلاً بالظرف والجار والمجرور، وهو أحد وجوه إعرابها.. والوجه الثاني: يعرب (شكٌّ) مبتدأً والجار والمجرور خبر، وكذلك (علمُ) مبتدأ مؤخر والظرف (عنده) الخبر، أو يقدر المرفوع (شكٌّ) و(علمُ) مرفوعاً بمبتدأ محذوف تقديره كائن أو مستقر، والوجه الثالث: يقدر المرفوع فاعلاً بالفعل المحذوف استقر[٦].

قال السّخاوي: ليس لنا جملة هي في اللفظ كلمة واحدة إلاّ الظرف، نحو: مررت بالذي عندك أو خلفك[٧].

وحقيقة البنية العميقة للجملة الظرفية ترجع لما قبلها من الاسمية والفعلية؛ لأنك إما أن تقدر عامل الظرف كائن، أو استقر، فعلى الأول تكون اسميةً، وعلى الثاني تكون فعلية.

وذكر هذا التقسيم الرباعي أبو حيان في تذكرته فقال:

الجملة فعل وفاعل، ومبتدأ وخبر، وشرط وجزاء، وظرف ومجرور[٨].

وقال ابن القواس في شرح ألفية ابن معطي:

اختلف النحاة في تقسيم الجملة؛ فذهب أبو عليّ إلى أنها أربعة أقسام، وتبعه جماعة، وإليه ذهب ابنُ معطي، وهي: اسمية وفعلية وشرطية وظرفية.

قال: ومنهم من ذهب إلى أنها جملتان: اسمية وفعلية، وأدخلَ الشرطية في الفعلية؛ لأنّ الشرط لا يكون إلاّ بالفعلِ، ولذلك إذا وقع بعد أداة الشرط اسم كان معمولاً لفعل مقدّر، على الأصحّ. وأما الظرفية فإن علّقت بفعل فهي فعلية، وإن علِّقت باسم فهي اسميّة.

ويمكنُ أن يقال: إنَّ كثرةَ استعمال الجملة الشرطية في كلام العرب باختصاصها بالتركيب من جملتين أخرج كل واحد منهما من الكلامية بإدخال حرف الشرط والجزاء عليهما وجعلا جملة واحدة.

وكذلك في الجملة الظرفية ظاهر، لمَّا حُذِف متعلقها رأساً جعل كل واحدة منهما قسماً بانفراده نظراً إلى الصورة.[٩]

على أنَّ النظر الظاهر إلى تركيب الجملةِ ليوجّهنا إلى وصف الجمل بأنها ابتدائيةٌ مثلاً إذا بدئت بالمبتدأ، واستفهامية إذا بدئت بحرف استفهام، وقسْ على تلك النظرة الظاهرة جملةَ التَّرجي والتعليل والتمني، والجملة المنفية وجملة النداء والجملة الدُّعائية والجملة التعجبيّة.

وثَمَّةَ جمل لا يُهتَدَى إلى معرفتها بالنظرة الأولى ولا يوصل إلى تركيبها ودلالتها إلا بعد فكر طويل، ولا يفهمها إلاّ من أتعب نفسه، وجهد في معرفة البنية العميقة للكلام، والمعاني البلاغية التي يقتضيها الأسلوب اللغوي ومجالها الجمل الاستئنافية.

تقسيمات أخرى:

للنحاة تقسيماتٌ أخرى للجمل، بيّنوا شكل الجملة وكيف تتركّب المفردات خلالها، فلهم مصطلح الجملة الكبرى والصغرى. والجملة ذاتُ الوجه وذات الوجهين.

انقسام الجملة إلى صغرى وكبرى[١٠]:

الجملة الكبرى هي التي صدرُها اسم، وخبرها جملةٌ. والجملة الصغرى هي الجملة المخْـبَر بها عن مبتدأ في الأصل أو في الحال، اسميةً كانت أو فعليةً.

وقد أشار الناظم المجرادي إلى الجملة الكبرى بقوله:

وزيدٌ أبوه قائم، ومحمَّدٌ أتى جملةٌ كبرى، فخُذْه ممثّلا

فذكر فيه مثالين، الأول: (زيد أبوه قائم) فصدرها اسم مرفوع على الابتداء، وهو (زيد)، خبره جملة (أبوه قائم)... والثاني: (محمد أتى) فصدرها (محمد)، وهو مبتدأ، وجملة (أتى) من الفعل وضمير الفاعل المستتر فيه العائد على محمد رابطٌ في محل الخبر[١١].

ثم أشار الناظم إلى الجملة الصغرى بقوله:

وصغراهما زيدٌ مقيم، وعامرٌ مُعانٌ، وبكر ذو غرامٍ بمن خلا

فذكر للصغرى ثلاثة أمثلة، الأول: (زيد مقيم) فزيد: مبتدأ، ومقيم: خبره، الثاني: (عامر معان) فعامر: مبتدأ، ومعان: خبره.

والثالث: (بكر ذو غرام)... فبكر: مبتدأ، ذو غرام: خبره[١٢].

وقال آخر:

إنْ قيلَ: ذا أبوه شأنهُ النّدى فكلُّها، غيرَ الأخير مُبتدا

فجملة الأوّلِ سَمِّ كُبرى وجملةَ الثالث سمّ صغرى[١٣]

ومن الأمثلة الجامعة للجملتين الاسمية والفعلية قول الشاعر:

الظّلمُ يصرعُ أهلَه والبغيُ مرتعُه وَخِيم

فجملة (الظلم يصرع أهله) كبرى؛ لتضمنها جملة (يصرع أهله) التي هي في محل رفع خبر (الظلم)، وكذلك جملة (البغي مرتعه وخيم) جملة كبرى؛ لتضمنها جملة (مرتعُه وخيم) من المبتدأ والخبر خبر للمبتدأ (البغي).

وقد تكون الجملة صغرى أو كبرى باعتبارين، نحو:

فإنْ تزعميني كنْتُ أجهلُ فيكمُ فإني شَرَيْتُ الحِلمَ بعدَكِ بالجهلِ[١٤]

فمجموعُ هذا الكلام جملة كبرى لاغير، وجملة «أجهل» صغرى لاغير؛ لأنها خبر «كنت»، وجملة «كنت أجهل» صغرى بالنسبة للجملة «تزعميني»؛ لأنها في محل نصب مفعول به للفعل تزعمين.

وتفصيل إعراب هذا البيت على النحو الآتي:

إنْ: شرطية جازمة.

تزعميني: مضارع من الأفعال الناسخة، الياء مفعول أوّل.

جملة (تزعميني): فعل الشرط لامحل لها من الإعراب.

جملة (فإنّي شريت الحلم): في محل جزم جواب الشرط.

وجملة (كنت أجهلُ): في محل نصب مفعولاً ثانياً.

كنت: فعل ماض ناقص، التاء: اسم كان.

وجملة (أجهلُ): في محل نصب خبر (كنت).

إني: إنَّ حرف مشبه بالفعل، الياء اسمها.

جملة (شريت): في محل رفع خبر إنَّ.

ومن أمثلة الجملة الكبرى قول الشاعر:

ندمَ البغاةُ ولاتَ ساعةَ مَنْدَمِ والبغيُ مرتعُ مبتغيه وخيمُ

فالجملةُ الاســميةُ (البغي مرتع مبتغيه وخيم) جملة كبرى؛ البغيُ: مبتدأ، والخبر جملة اسمية (مرتع مبتغيه وخيم)، وقد جاءت اسمية فيها (مرتع): مبتدأ و(وخيم): الخبر.

ما يحتمل الجملة الكبرى والصغرى:

قال الناظم المجرادي:

ويحتملُ الوجهين بعضُ كلامهم كمثل: أنا آتيك، في النَّمل نُزّلا

ودرهمٌ ذا في الكيس، ثم محمد مقيم أبوه فافهمنْه، مُسهّلا

هذا إشارةٌ إلى أن بعضَ الجمل يحتمل الوجهين: الكبرى والصغرى، نظراً للبنية العميقة لكل تركيب من تراكيب العربية. وهاهنا فـ(آتيك) في الآية الكريمة في سورة النمل (أنا آتيك به...) [النمل:٣٩].[١٥] يحتمل أن يكون فعلاً مضارعاً، ويحتمل أن يكون اسمَ فاعل ومضافاً إليه. فالجملة على التقدير الأول كبرى؛ لأنّ صدرها اسم مرفوع المحل بالابتداء، وهو (أنا)، وخبرها جملة فعلية، وهو (أتى) مع فاعله، وعلى الثاني جملة صغرى.[١٦]

ومنها قولك: درهم ذا في الكيس، وزيد في الدار، إذ يحتمل تقدير متعلق المجرور فيها (استقر) بصيغة الماضي، أو مستقرّ بصيغة اسم الفاعل، فالجملةُ فيها على التقدير الأول كبرى؛ لأن صدرها اسم، وهو (درهم)، و(زيد)، وخبرها جملة، وهو استقر مع فاعله.

وعلى التقدير الثاني: جملة صغرى، ومنها قوله: (محمد مقيم أبوه). إذ يحتمل أن يقدّر (أبوه) مبتدأ ثانياً، و(مقيم)، خبره. فالجملة كبرى، وأن يقدّر فاعلاً بـ(مقيم)، فتكون صغرى؛ لأن الخبر عند النحاة إذا رفع الظاهر لايقال: إنه من قبيل الجمل، بل من قبيل المفردات، نحو: إنَّ زيداً قائم أبوه، وكان زيد قائماً

أبوه. ولذلك عملت فيه العوامل، إذ لو كان جملةً لم يعمل فيه عامل، كما لايعمل في المحكي من الجمل[١٧].

انقسام الكبرى إلى ذاتِ وجهٍ وذات وجهين:

الجملةُ التي تُسمَّى ذاتَ وجهين: هي التي كانت اسميةَ الصَّدرِ فعليةَ العَجُز؛ لأنها باعتبار الاسم الواقع في صدرها تسمى اسميةً، وباعتبار الفعل الواقع في عجزها تُسمَّى فعلية، فهي ذاتُ اعتبارين.

فجملة (اللهُ يعلم ما تحمِل كلُّ أنثى) [الرعد: ٨]، ذات وجهين، وجملة (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) [البقرة: ٢٥٧] ذات وجه.

قال ابنُ هشام: وقد يقال: كما تكون الكبرى مصدَّرةً بالمبتدأ يصحّ أن تكون مصدَّرة بالفعل، نحو: (ظننتُ زيداً أبوه قائم)، و(ظننت زيداً يقوم أبوه)، وهذا هو الحق الذي لاشكَّ فيه.

وأما المسمّاةُ ذات وجهٍ: فهي في الواقعِ في صدرها اسم، ولافعل في عَجُزها، وصارت ذات اعتبار واحد، وكذا يقع في صدرها الفعل ولا اسم في عَجُزها نحو: ظننت زيداً يقوم أبوه.

هذا ولعلّ أول من ذكر الجملة ذاتَ الوجهين هو سيبويه، فقد أشار في بحث الاشتغال حول الجملة المعطوفة عليها فقال[١٨]:

يجوز الوجهان: النصب والرفع في المعطوفة على الجملة ذات الوجهين نحو: عمرو لقيته وزيداً كلمته.

ومنه قوله تعالى: (الرحمنُ* علَّم القرآن* خلق الإنسان* علمه البيان* الشمس والقمر بحسبان* والنجم والشجر يسجدان* والسماءَ رفعها ووضع الميزان*) [الرحمن: ١ ــ ٧].

الرحمن مبتدأ، علم القرآن: جملة فعلية، والمجموع جملة اسمية ذات وجهين، والجملتان بعد ذلك معطوفتان على الخبر، وجملتا (الشمس والقمر بحسبان. والنجم والشجر يسـجدان) معترضتان،وجملة (والسماءَ رفعها) معطوفة على الخبر أيضاً، وهي محل الاستشهاد.

التقسيم المعاصر للجمل:

ذكر عبّاس حسن في النحو الوافي أنَّ الجملةَ ثلاثةُ أنواع:

أ ــ الجملة الأصلية: وهي التي تقتصرُ على ركني الإسناد (أي: على المبتدأ مع خبره، أو مايقوم مقام الخبر، أو تقتصر على الفعل مع فاعله، أو ما ينوب عن الفعل).

ب ــ الجملةُ الكبرى: وهي ماتتركبُ من مبتدأ خبره جملة اسمية أو فعلية، نحو: الزهرُ رائحته زكية، أو الزهر طابت رائحته.

جـ ــ الجملةُ الصُّغرى: وهي الجملةُ الاسمية أو الفعلية إذا وقعت إحداهما خبراً لمبتدأ.(١٩)

الجمل كلها نكرات:

أجمع النحويون كلهم من البصريين والكوفيين على أن الأفعال نكرات، وقالوا: الدليل على ذلك أنها لاتنفكُّ من الفاعلين، والفعل والفاعل جملة تقع بها الفائدة، والجمل كلها نكرات؛ لأنها لو كانت معارف لم تقع بها فائدة، فلمّا كانت الجمل مستفادة عُلم أنها نكرات، فلذلك لم تضمر، وكذلك الأفعال لما كانت مع الفاعلين جملاً كانت نكرات ولم يجز إضمارها. قال الزجاجي:

وقالوا: الجمل نكراتٌ كلّها. لذلك امتنــع أن توصف المعرفة بالجملة وكذلك جملُ الأمر والنهي والدعاء لاتكون صفاتٍ ولاصلاتٍ ولا أخباراً إلاّ بتأويل.

وذكر الإمام أبو الفتح ابن جني تحت باب في **الامتناع من نقض الغرض** قوله:

«من ذلك امتناعهم من تعريف الفعل، وذلك أنه إنما الغرض فيه إفادته، فلابدّ من أن يكون منكوراً لا يسوغ تعريفه، لأنه لو كان معرفة لما كان مستفاداً؛ لأنّ المعروف قد غني بتعريفه عن اجتلابه ليفاد من جملة الكلام»[٢٠].

ولعلّ في هذا دلالةً على أن الجملة نكرة أيضاً، لأن حكم الجزء المستفاد من الجملة أن يكون منكوراً، والمفاد هو الفعل لا الفاعل، وبذلك لو أُخبر بما لا شك فيه تُعجِّبَ منه وهزئ من قوله، فلما كان كذلك لم يجز تعريف ما وضعه على التنكير، ألا تراه يجري وصفاً على النكرة، وذلك نحو: مررت برجلٍ يقرأ، فهذا كقولك قارئ، ولو كان معرفةً لاستحال جريه وصفاً على النكرة.

مواضع الجمل الفعلية والجمل الاسميّة:

ينظر عالمُ البلاغة في مضمون الجملة أكثرَ من نظره في ظاهرها، وبيان ذلك أنَّ قولك: مَنْ قام؟ أصله: أقام زيد أم عمرو أم خالد.. إلى غير ذلك، لا: أزيدٌ قام أم عمرو أم خالد، وذلك لأن الاستفهامَ بالفعل أولى؛، لكونه متغيراً، فيقع فيه الإبهام، ولما أريد الاختصارُ وُضعت كلمة (مَنْ) الدالة إجمالاً على تلك الذوات المفصلة هناك، والمتضمنة لمعنى الاستفهام، ولهذا التضمن وجبَ تقديمها على الفعل فصارت الجملة اسميةً في الصورة لعروض تقدم ما يدل على الذات، وفي الحقيقة هي فعلية. فنبَّه بإيراد الجواب جملةً فعليةً على أصل السؤال، فالمطابقة حاصلة حقيقة.. ومن هذا الأصل قولهِ تعالى: (ولَئِنْ سألتَهم من خَلقَ السمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ اللهُ) [لقمان: ٢٥] أي: خلقهن الله، وحَمْلُ الكلام على جملة أولى من حمله على جملتين.

وهذا الأصلُ مُصَرَّح به في سورة الزخرف في قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُنَّ خلقهنّ العزيز العليم) [الزخرف: ٩] فقد ورد الجوابُ جملة فعلية على أصل السؤال (خلقهنّ العزيز العليم).

هذا واشترط العلماء في أساليب العربية مواضعَ خاصةً تكون فيها الجملةُ فعليةً، وأخرى تكونُ فيها الجملةُ اسميةً:

فمن الأول: جملة الشرط غير (لولا)، وجملةُ جواب لو ولولا ولوما، والجملتان بعد (لمّا)، والجمل التاليةُ أحرفَ التحضيض، وجملةُ أخبار أفعال المقاربة، وخبر أنّ المفتوحة بعد (لو) عند الزمخشري ومتابعيه نحو: (ولو أنّهم آمنوا واتقوا لمثوبةٌ من عند الله خير) [البقرة: ١٠٣].

ومن الثاني: الجملة بعد (إذا) الفجائية، فهي تختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب ولم يقع الخبر معها في التَّنـــزيل إلاّ مصرحاً به نحو: (فإذا هي حيّةٌ تســـعى) [طه: ٢٠]. (فإذا هم خامدون) [يس: ٢٩]. (فإذا هي بيضاءُ للناظريـــن) [الشعراء: ٣٣]. (فإذا هم بالساهرة) [النازعات: ١٤].

أما الجملة بعد (ليتما) فبعضهم يركبها جميعاً، فيسلُب بذلك (ليت) عملها، وبعضهم يلغي (ما) عنها فيقرُّ عملها عليها، فمن ضمّ (ما) إلى (ليت) وكَفّها بها عن العمل ألحقها بأخواتها من: كأن، ولعل، ولكن. وإذا كُفّت ليت عن عملها بـ(ما)، جاز وقوع الجملتين جميعاً بعدها، ومن ألغى (ما) عنها وأقرّ عملها جعلها تدخل على الجملة الاسمية ليس غير[٢١].

مواضع الجملة الفعلية:

للجملة الفعلية أمثلةٌ يبرز تحديدَها نظرُنَا إلى البنية العميقة لأصل الكلام العربي. فمن أمثلة الجملة الفعلية:

المثال الأول: نحو قوله تعالى: (ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون) [البقرة: ٨٧] فريقاً: مفعول مقدَّم.

المثال الثاني: نحو قوله تعالى: (والسماءَ رفعها ووضعَ الميزان) [الرحمن: ٧]
السماءَ: مفعول بفعل واجب الإضمار، وهذا من باب الاشتغال.

المثال الثالث: من باب النداء، نحو قوله تعالى: (ياعبادِ فاتقون) [الزمر: ١٦].

فـ: عبادِ منادى مضاف منصوب المحل؛ لأنه مفعول بمحذوف واجب الحذف تقديره: أدعو، نابت عنه (يا) المنادى، فالجملة فعلية.

المثال الرابع: من باب الظرف أو الحال، على الخلاف في (كيف)، ومذهب سيبويه أنه ظرف، وهو: كيف أتى زيدٌ؟ ونظيره: (خُشَّعاً أبصارهم يخرجون) [القمر: ٧].

فـ: خشعاً: حال من الضمير المرفوع (الواو) في (يخرجون)، فالجملة فعلية.

المثال الخامس: من باب الاستفهام، نحو قوله: (فأيَّ آيات الله تنكرون) [غافر: ٨١].

المثال السادس: جملة الشرط، نحو قوله تعالى: (وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجره) [التوبة: ٦]، فالجملة فعلية؛ لأن صدر الجملة في الحقيقة هو الفعل المقدّر بعد (إنْ)، وهي لا تخرجه عن الصدرية.

المثال السابع: جملة القسم، نحو قوله تعالى: (والليلِ إذا يَغشى) [الليل: ١] تقديره: أقسم بالليل.

المثال الثامن: اسم الفعل، نحو قوله تعالى: (فلا تقل لهما أفٍّ) [الإسراء: ٢٣]، أفّ: اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، والجملة الفعلية في محل نصب مفعولاً به بعد القول.

ما يحتمل الاسمية والفعلية من الجمل:

لما كانت الجملة الظرفية، وهي المصدّرة بظرفٍ أو مجرور من أقسام الجملة، وكانت محتملةً للاسمية والفعلية أشار بعض العلماء إلى ذلك فقال:

ويحتمل الوجهين بعضٌ كقولهم في الدار زيدٌ، أو أعندك ذو الوَلا

يعني: أن الجملة إذا كانت مصدَّرة بمجرور نحو قولك: أفي الدار زيد؟ أو بظرف نحو: أعندك عمرو؟ تحتمل الوجهين: الاسمية والفعلية؛ لاختلاف التقدير.

ولكلٍّ امرئٍ في فن البلاغة ما نوى، فإنك إن قدرت الاسم المرفوع مبتدأ، أو مرفوعاً بمبتدأ محذوف تقديره: كائن أو مستقر فالجملة اسمية ذات خبر في الأولى، وذات فاعل مغنٍ عن الخبر في الثانية، وإن قدّرته فاعلاً بـ)استقر) ففعلية.. ومدار الأمر النظر إلى المتعلّق، فإن قُدِّر فعلاً كانت الجملة فعلية، وإن قدّر اسماً كانت الجملة اسمية[٢١].

ولهذه المسألة نظائر، ذكر ابن هشام في المغني أنها مما يجب على المسؤول عنها أن يفصّل فيها؛ لاحتمالها الاسمية والفعلية[٢٢].

* فمنها: جملة البسملة، فإن قدّر: ابتدائي باسم الله، فاسمية وهو قول البصريين، أو أبدأ باسم الله ففعلية، وهو قول الكوفيين، وهو المشهور في التفاسير والأعاريب ولم يذكر الزمخشري غيره، إلا أنه يقدر الفعل مؤخراً ومناسباً لما جعلت البسملة مبتدأ له، فيقدر: باسم الله أقرأ، باسم الله أحلّ، باسم الله أرتحل، ويؤيده الحديث النبوي الشريف: (باسمك ربي وضعتُ جنبي)[٢٣].

* ومنها: جملة المدح في (نعم الرجل زيد)، فإن قُدّر (نعم الرجل) خبراً عن (زيد) فاسمية، كما في: (زيد نعم الرجل)، وإن قدّر (زيد) خبراً لمبتدأ محذوف فجملتان: فعلية واسمية.

* ومنها: (قاما أخواك)، فإن قدر الألف حرف تثنية لا ضميراً، أو اسماً و(أخواك) بدل منه فالجملة فعلية، وإن قدر اسماً وما بعده مبتدأ فالجملة اسمية، قدّم خبرها، وعلى هذا التوجيه خـرّج إعراب قوله تعالى: (وأسروا النجوى الذين ظلموا) [الأنبياء: ٣]، الذين مبتدأ، وجملة (أسرُّوا): خبر مقدم.

* ومنها: ماذا صنعتَ؟ فإنه يحتمل معنيين، أحدهما: ما الذي صنعته؟ فالجملة اسمية.

والثاني: أيَّ شيءٍ صنعت؟ فالجملة فعلية قدم مفعولها.

* ومنها: مذ يومان، في نحو: ما رأيته مذ يومان، فإن تقديره عند الأخفش والزجاج: بيني وبين لقائه يومان، فالجملة اسمية، لا محل لها من الإعراب، ومذ: خبر مقدّم، ويومان: مبتدأ، وعند الكسائي وجماعةٍ: مذ كان يومان.

* ومنها: إذا قام زيد فأنا أكرمه، فإن قلنا: العامل في إذا جوابها فصدر الكلام جملة اسـمية، و(إذا) مقدمة من تأخير، وما بعد (إذا) متمم لها، لأنه مضاف إليه، ونظيره: يوم يسافر فأنا مسافر، وإن قلنا: العامل فيها فعل الشرط، و(إذا) غير مضافة فصدر الكلام جملة فعلية قدّم ظرفها، كما في قولك: متى تقم فأنا أقوم.

توجيه للجملة في تركيب الكلام:

قال الأستاذ عباس حسن في «النحو الوافي»:

إذا وقعت الجملة الخبرية صلةَ الموصول، أو نعتاً، أو حالاً، أو تابعة لشيء آخر ــ كجملة الشرط ــ لا جوابه ــ فإنها لا تسمى جملة خبرية؛ لأنها تسمى خبرية بحسب أصلها الأول الذي كانت مستقلةً فيه، فإذا صارت صلة، أو تابعة لغيرها لم يصح تسميتها: خبرية؛ إذ لا يكون فيها حكم مستقل بالسلب أو الإيجاب تنفرد به، ويقتصر عليها وحدها، بل هي لذلك لا تسمى كلاماً ولا

جملة، فعدم تسميتها جملةً خبرية من باب أولى. و مثلها الجملة الواقعة خبراً، فلا تسمى واحدة من كل ما سبق كلاماً ولا جملة، إذ ليس لها كيان معنوي مستقل.(٢٤)

وثمة مصطلحات نحوية تحقّق أغراضاً بلاغيّةً متنوّعة نذكر منها:

١ ــ النصب على الاختصاص، نحو: إنَّا ــ معاشرَ الأنبياء ــ لا نُورثُ.

٢ ــ النصب على المدح، نحو: الحمدُ للهِ، ربَّ العالمين «الفاتحة١».

٣ ــ النصب على الذم، نحو: وامرأتَهُ، حمَّالةَ الحطبِ «المسد ٤».

٤ ــ النصب على التّرحم، نحو: مرْرت بزيدٍ، البائسَ.

٥ ــ النصب على الإغراء، نحو: الصدقَ الصدقَ.

٦ ــ النصب على التحذير، نحو: ناقةَ اللهِ وسقياها «الشمس ١٣».

والأصل في هذه الأساليب كلها أنها مبنيَّةٌ على جملة فعلية، حُذف منها الفعل وجوباً وتقديره: أخصُّ، أمدحُ، أذمُّ، أرحمُ، الزَمْ، واحذرْ، وقد توسّع النحويون بدراستها وبيان أغراضها البلاغية.

الأصل في جملة النداء:

جملة النداء في نحو: (يا زيد) مؤلفة من فعل واسمين؛ لأنّ التقدير: أنادي زيداً، فـ)يا) نائبة مناب الفعل لغرض الإنشاء، قال عباس حسن:

«يعتبر النحاة حرفَ النداء مع المنادى جملةً فعليةً إنشائية للطلب، برغم أنها قبل النداء خبرية، فهي تتحول معه إلى إنشاء طلبي جملته فعلية، فالأصل في مثل: يا صالحُ، هو: أنادي صالحاً؛ فحذف الفعل مع فاعله الضمير المستتر، وناب عنهما حرف النداء (فحرف النداء ينوب عن جملة) وبقي المفعول به، وصار منادى واجب الذكر ــ غالباً ــ، وقيل: إن المحذوف هو الفعل وحده، وناب عنه حرف النداء واستتر الفاعل في حرف النداء، وقيل غير هذا..

ولا قيمةَ للخلاف في أصل الجملة الندائية؛ فالذي يعنينا هو أنها صارت فعلية تفيد الإنشاء الطلبي، وأنها تركت حالتها الأولى الخبرية[٢٥]».

أصول أخرى للجملة الفعلية:

الأصل في نحو: (فبعداً للقوم الظالمين) [المؤمنون: ٤١] أن تكون الجملة فعليةً؛ إذ الأصل: بعَدُوا، أي: هلكوا. ومن هذه المصادر بعداً وسحقاً وتباً وسقياً ورعياً، ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها، وهي من جملة المصادر التي قال عنها سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل إظهارها.[٢٦]

وفي قول الشاعر:

جواباً به تنجو اعتمِد فوَربِّنا لَعَنْ عملٍ أسلفتَ لا غيرُ تُسأل[٢٧]

هذه الجملة يتبادر إلى الذهن أنها اسمية لابتدائها بالاسم، إلا أنها فعلية، والاسم (جواباً) مقدم من تأخير وهو مفعول (اعتمد) والأصل: اعتمد جواباً تنجو به يوم القيامة. وجاء التقديم على أسلوب العرب في أنهم مما يقدمون ما هم به أهم..

الأصل في أسلوب التحذير والإغراء:

في مثل قول الشاعر:

فلا تصحَبْ أخا الجهل وإيَّـــاك وإيَّـــاه[٢٨]

خير ما يقال في بيان أصل هذه الجملة وبيان شأن المحذوف، هو ما سجله بعض المحققين ونصّه: الحق أن يقال: لا يقتصر على تقدير: باعد، ولا على تقدير: احذر؛ بل الواجب تقدير ما يؤدي الغرض؛ إذ المقدَّر ليس أمراً متعبّداً به لا يُعدل عنه.[٢٩]

غنى العربية بتنوع جُمَلِها:

أبدى العقّاد نظرةً مقارنة بين تركيب جمل العربية المنوّع وبين تركيب الجملة في اللغات الأخرى فذكر أنّ الجملةَ في اللغات الأوربية اسمية، يتقدم فيها الفاعل على الفعل، ولا يتقدم الفعل فيها إلا شذوذاً في حالات قليلة جداً أهمها حالة الدلالة على المفاجأة، ووقوع الفعل على غير انتظار، فإذا تقدم الفعل لمثل هذا السبب فهم لا يجعلون ذلك قسماً معدوداً من أقسام التراكيب اللفظية، أي: أنهم لا يقسمون الجملة إلى اسمية وفعلية من أجل ذلك، ولكنهم يحسبونه عارضاً من عوارض القلب Inversion التي يحدث فيها أن يتقدم الفعل على الفاعل كما يتقدم حرف الجر أو الظرف أو الصفة؛ لمناسبة يقتضيها التعبير.

وبعض الغربيين من أصحاب نزعة التصوف والتحليل النفساني الحديث يردون تأخير الفاعل في لغتنا إلى نوع من «القدرية» الشـرقية التي تحيل كل شيء إلى الغيب. ومنهم من يقول: إنّ الاختلاف بين الأوربيين وأبناء اللغة العربية في مسألة الجملة الاسمية إنما هو اختلاف في درجة الشعور «بالثبوت» للشخصية الإنسانية، فإن «ثبوت» هذه الشخصية ملازم للتفكير الأوربي، ولكنه ضعيف عند الشرقيين يسري ضعفه من الفكر إلى اللسان، كما يظهر من غلبة الجملة الاسمية على ألسنة الأوربيين، وغلبة الجملة الفعلية على ألسنة الناطقين بالضاد.

ولا يخفى أنّ هذا الاختلاف بين لغة الضاد واللغات الأوربية له دلالته التي لا ريب فيها، ولا يمكن أن يحدث لغير سبب يقبل التعليل كما تقبله جميع الظواهر اللغوية، على حسب نصيبها من الجلاء أو الغموض في مراحلها التاريخية.

إلا أنّ التعليل الذي يرتضونه لهذا الاختلاف غير مقنع، وقد يكون مناقضاً للواقع عند التأمل فيه من بعض نواحيه.

وأول مواضع الخطأ فيه أن القول بتغليب الفاعل على الفعل في اللغات الأوربية غير صحيح، فإن مكان الفعل في تلك اللغات أثبت من مكانه في لغة الضاد، ويجوز أن يخلو مكان الفعل الظاهر من الجملة العربية وتفيد معناها المستقل مع تقديره أو تقدير ما ينوب عنه، فيجوز مثلاً أن يقال (رجل في الدار) ويفهم منها ما يفهم من قولهم باللغات الأوربية (رجل يوجد في الدار) أو ما يفهم من قولنا بلغتنا العربية (رجل موجود في الدار).

بل يجوز أن نفهم من الجار والمجرور بلغتنا ما يفهم من معنى الصفة حيث نقول: «رجل في الدار خير من ألف رجل في الطريق».

ولكنّ الأوربيين لا تتم عندهم الجملة على وضع من هذه الأوضاع بغير الفعل الظاهر، فإذا وردت في كلامهم فِقْرة من جار ومجرور لا يصحبهما فعل ظاهر أطلقوا عليها اسم «العبارة» Phrase؛ تمييزاً لها من «الجملة» Sentence، التي اشتقت عندهم أصلاً من مادة الفهم أو مادة الإدراك.. فكل كلام خلا من الفعل الظاهر عندهم فهو لفظ غير مفهوم.

فغير صحيح إذاً أنّ اهتمامَ الأوربيين بالفعل دون الفاعل أضعفُ من اهتمام الشرقيين أو اهتمام الناطقين بالضاد.

وشبيه بهذا أن الصفة عندهم متقدمة على الاسم الموصوف؛ ولا يخفى أن الصفة تشبه الفعل على وجه من الوجوه، وهو وجه الإخبار عن الاسم الموصوف.

فالعربي يقول «كلام جميل» أو «فضل عظيم»، فيلحق الصفة بالموصوف، ويجعل عنايته بالاسم مقدمة على عنايته بالإخبار عنه، ولكن الأوربي يعكس وضع الكلمتين على نحوٍ لا يسيغه العربي.

ويجب أن نذكر أن الفاعل لا يكون دائماً «شخصية إنسانية» يدل تقديمها على ظاهرة «الثبوت» لهذه الشخصية، بل يتفق كثيراً أن يكون الفاعل جماداً أو

نباتاً أو معنى من المعاني التي يضعها العقل العربي بموضعها الصحيح من الإدراك ومن الإعراب.

فالقول في الذهن العربي هو اسم يقابل الفعل المسبوق بعلامة المصدر، ومن هنا يتساوى «القول» و«أن نقول» في الإدراك الصحيح.

وإذا جاء الأوربي فقال بلغته مثلاً: «إن القول يناسب المقام»، فليس هنا ظاهرة من ظواهر الثبوت للاسم؛ لأن الاسم المصدري في حقيقته بديل من الفعل مسبوقاً بالعلامة المصدرية.

وكذلك قوله: «الماء عذب، والهواء طلق، والنور ساطع» وغير ذلك من قبيله حين يكون الفاعل غير إنسان، فهذه كلها أسماء لا يدل تقديمها على توكيد ظاهرة «الثبوت» للشخصية الإنسانية، ولا فرق فيه بين «القدرية» الشرقية وبين «الواقعية» الأوربية بالنسبة إلى الفاعل الظاهر أو الفاعل المستور.

وقد نسي أصحاب التعليلات التي قدمناها أن اللغات الهندية الجرمانية تتكلم بها أمم كثيرة مختلفة الأمزجة والأفكار، من أقصى حدود الهند إلى أقصى حدود القارتين الأمريكيتين، فليست تراكيبها اللفظية دليلاً صالحاً لتعليل الاختلاف بالعقول والأفهام أو بقواعد النحو والبلاغة.

وليست التعليلات التي أشرنا إليها صالحة ــ إذاً ــ لتفسير الاختلاف بين هذه اللغات وبين لغتنا العربية، ولابد من علة أخرى تفسر هذا الاختلاف ويوافق تفسيرها الواقع على نحو أقرب إلى الإقناع.

هذه العلة الأخرى بسيطة سهلة على الذهن، وإن تكن من جانب الأوربيين عسيرة على العصبية القومية.

علة هذا الاختلاف أن اللغة العربية أوفى وأكمل من اللغات الأوربية، وأن اللغات الأوربية انتقلت من أطوارها الأولى إلى أطوارها التي ازدهرت فيها قبل

أن تتنوع فيها أوضاع الكلمات والجمل على حسب موضوعات التفكير والإدراك.

ويغنينا عن الإطالة في هذا الباب أن نذكر أن الجملة الاسمية موجودة في اللغة العربية، وليست مع وجودها قليلة الاستعمال في مواضعها، فليس تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزاً عن التركيب الذي يتقدم فيه الفاعل على الفعل. ولكنه تقسيم للكلام على حسب مواضعه، وتصحيح لموقع الفعل وموقع الفاعل من إرادة المتكلم وفهم السامع.

ومتى ثبتَ لنا الفرق بين موقع الفعل والفاعل في الجملتين الاسمية والفعلية، فالاكتفاءُ بالجملة الاسمية كما تقع في كلام الأوربيين نقصٌ منتقد، وليس بالمزية التي تدل على الكمال والارتقاء.

وليس في وسع من يفهم مواقع الكلام أن يجهل الفارق بين قولنا «محمد حضر»، وقولنا: «حضر محمد».

فإننا نقول: «محمد حضر»؛ إذا كنا ننتظر خبراً عن محمد أو عن حضوره على الخصوص، ولكننا نقول: «حضر محمد»؛ لمن يسمع خبراً من الأخبار على إطلاقه، ولا يلزم أن يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور؛ بل لعلّ السامع كان ينتظر كلاماً عن حسن وعن علي كما ينتظره عن محمد، أو لعله خبر سفر وليس بخبر حضور منتظر أو غير منتظر.

وأوسع من ذلك في وسائل التفرقة أن اللغة العربية تسمح بابتداء الجملة بحرف الجر، وتؤدي بذلك معنى تحسبه الأجرومية الأوربية مجرداً من الكلام المفيد.

فإذا قال العربي: «في الدار رجل» فهو كلام مفيد، وتقديم الجار والمجرور فيه مقصود؛ لأنه يشتمل على تنبيه لا يؤديه هذا الأداء قول القائل «رجل في الدار».

أما هذه العبارة بعينها باللغات الأوربية فهي لفظ غير مفيد Phrase، سواء تقدم حرف الجر أو كان التقديم للرجل أو للـدار في تركيب من التراكيب كقول القائل «الدار فيها رجل» أو «الدار رجل فيها».. وهو تركيب سائغ عند الغربيين.(٣٠)

بين المصدر والجملة:

يكوِّن الفعل مع مرفوعه جملةً، والجملةُ لابدّ لها من مسند إليه فوجب ذكر الفاعل لتحصل الجملة مستقلةً، والمصدر لا يكوِّن مع فاعله جملةً أبداً، بل لابد له من جزءٍ آخر غير معموله يكون معه جملةً، ألا ترى أنّك لو قلتَ «ضَرْبُ زيدٍ عمراً» لم يكن كلاماً، حتى تقول: أعجبني، أو ما أشبهه، بخلاف: ضَرَبَ زَيْدٌ عمراً(٣١).

مجيء الجملة والمصدر المؤول بعد فاء الجزاء:

من قواعد النحويين أنه يجوز فتح همزة (إنّ) وكسرها إذا وقعت بعد فاء الجزاء، نحو: (مَنْ يأتني فإنه مكرَم) فالكسر على جعل (إنّ) ومعموليها جملةً أُجيب بها الشرط، فكأنه قال: من يأتني فهو مكرَمٌ، والفتح على جعل «أنّ» وصلتها مصدراً مبتدأً، والخبر محذوف والتقدير: من يأتني فإكرامه موجود، ويجوز أن يكون خبراً والمبتدأ محذوفاً، والتقدير: فجزاؤه الإكرام.

وأبرز شـواهد مجيء الجواب جملةً ومصدراً قوله تعالى: (كَتَبَ ربكم على نفسه الرحمة أنّه من عمل منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تابَ من بعده وأصلحَ فأنّه غفور رحيم). [الأنعام: ٥٤].

قُرئ (فإنه غفور رحيم) بالكسر، فالجواب جملة اسمية، وقرئ (فأنه غفور رحيم) فالجواب مصدر مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: فالغفران جزاؤه، أو على جعلها خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير: فجزاؤه الغُفْرانُ.

رجّح بعض المعربين قراءة الكسر، قال الخضري: والكسر أحسن قياساً؛ لعدم إحواجه لتقدير، ولذا لم يجيء في القرآن إلا مسبوقاً بمثله، نحو:

(ألم يعلموا أنه من يحادِدِ الله ورسوله فأنّ له) [التوبة: ٦٣]، (كُتب عليه أنّه مَنْ تولاه فأنّه يُضلُّه) [الحجّ: ٤].

وإلّا كان واجب الكسر، نحو: (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنّم) [طه:٧٤]، و(إنّه من يتّق ويصبْر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين) [يوسف:٩٠]، ولذا لم يفتح: (فأنه غفور رحيم)، إلاّ مَنْ فتح (أنه من عمل منكم سوءاً)، [الأنعام: ٥٤]، وينبغي أن يكون كالجواب ما يشبهه، نحو: (واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خُمُسَه) [الأنفال: ٤١]، بالفتح والكسر، فـ(ما) موصولة لا شرطية؛ لأنها لا تدخل عليها النواسخ، وعائدها محذوف، أي: غنمتموه، ودخلت الفاء في خبرها لشبهها بالشرط، فعلى كسر (إنّ) جملتها هي الخبر، وعلى الفتح هي مبتدأ خبرها محذوف، أي: كون خمسه لله ثابت، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي فالواجب كون خمسه لله، والجملة خبر (إنّ).

ومما يرد بين الجملة والمصدر إذا وقعت (أنّ) بعد مبتدأ هو في المعنى قولٌ، وخَبَر (أنّ) قول، والقائل واحد، نحو: **خير القولِ إني أحْمَدُ الله**

فمن فتح جعل (أنّ) وصلتها مصدراً خبراً عن «خير»، والتقدير: خير القول حمدُ الله، فـ«خير» مبتدأ، وحمدُ الله: خبره.

ومن كسر جعلها خبراً عن «خير» كما تقول: أوّل قراءتي (سبّح اسم ربّك الأعلى).

فأوّل: مبتدأ، والجملة (سبح اسم ربك الأعلى) خبر عن أوّل، وكذلك: خير القول: مبتدأ، و(إني أحمد الله) خبره، ولا تحتاج هذه الجملة إلى رابطٍ؛ لأنّها نفس المبتدأ في المعنى.

ومثّل سيبويه هذه المسألة بقوله: **أوّل ما أقول أنّي أحمد الله**، وخرّج الكسر على الوجه الذي تقدّم ذكره، وهو أنّه من باب الإخبار بالجمل وعليه جماعة من المتقدمين والمتأخرين: كالمبّرد والزجاج والسيرافي وابن طاهر وعليه أكثر النحويين(٣٢).

وتوسّع سيبويه في عرض المصادر المؤولة وبيان محالها قال: هذا باب من أبواب (أن) التي تكون والفعل بمنزلة مصدر.

تقول: أن تأتيَني خيرٌ لك، كأنك قلت: الإتيان خيرٌ لك، ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى: (وأن تصوموا خيرٌ لكم) [البقرة: ١٨٤]. يعني: الصومُ خيرٌ لكم.

وقال عبد الرحمن بن حسان:

إنّي رأيت من المكارم حَسْبُكم أن تُلبسُوا حُرَّ الثياب وتُشبعوا

كأنه قال: رأيت حسبكم لُبس الثياب.

ومن ذلك: ائتني بعد أن يقع الأمر، وأتاني بعد أن وقع الأمر، كأنه قال: بعد وقوعِ الأمر(٣٣).

مسألة:

اختلف النحويون فيما إذا وقع بعد «ما» الموصولية المصدرية الزمانية جملةٌ اسميةٌ مصدَّرةٌ بحرف مصدري، نحو قولهم: (لا أفعل ذلك ما أنَّ في السماء نجماً). (ولا أكلّمُه ما أنَّ حراءَ مكانه).

قال جمهور البصريين: أنَّ و ما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع على أنه فاعل لفعل محذوف، والتقدير على هذا: لا أكلمه ما ثبت كونُ نجم في السماء، وما ثبت كون حِراءٍ مكانه، فهو حينئذ من باب وصل «ما» المصدرية بالجملة الفعلية الماضية، ووجه ذلك عندهم أنَّ الأكثرَ وصلُها بالأفعال، والحمل على الأكثر أولى.

وذهب الكوفيون إلى أن «أنّ» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع أيضاً، إلا أن هذا المصدر المرفوع مبتدأ حذف خبره، والتقدير على هذا الوجه: لا أفعل كذا ما كونُ حراءَ في مكانه ثابتٌ، وما كونُ النجم في السماء موجود، فهو من باب وصل (ما) بالجملة الاسمية؛ لأنّ ذلك أقل تقديراً[٣٤].

مسألة: بين الجملة الواقعة مضافاً إليه والمصدر:

قال ابن مالك: كلُّ مضافٍ إلى جملةٍ مقدَّرُ الإضافة إلى مصدرٍ من معناها، ومن أجل ذلك لا يعود منها ضميرٌ إلى المضاف إليها، كما لا يعود من المصدر، فإن سُمِع ذلك عُدَّ نادراً. كقول الشاعر: مَضَتْ مئةٌ لِعَامَ وُلِدْتُ فيه.

قال الدماميني: إنَّ المضاف إلى الجملة إنما هو مضاف في التقدير إلى مصدر من معناه، فكما لا يعود من المصدر المضاف إليه ضمير إلى المضاف لا يعود إليه ضمير من الجملة المذكورة.

وقوله:

وتسخُنُ ليلةَ لا يستطيـ ـعُ نِباحاً بها الكلابُ إلّا هريرا

والمعروف أنه إذا كان في الجملة ضمير فُصِلَت عن الإضافة، وجعلت صفة[٣٥]، كقوله تعالى: (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) [البقرة: ٢٨١].

الحواشي:

١ ــ مفتاح العلوم ٧٣.

٢ ــ شرح المفصل ٨٨/١.

٣ ــ مبرز القواعد الإعرابية ٨٤ ــ ٨٥.

٤ ــ القصيدة اللامية، انظرها في البحث الثامن: نظم الجمل ١٩٣.

٥ ــ المفصّل ٦٠.

٦ ــ مغني اللبيب ٥٧٨ ــ ٥٧٩. شرح شذور الذهب ٢٦٠. وشرح ابن عقيل ٢١١/١.

٧ ــ الأشباه والنظائر ٢٢/٢.

٨ ــ تذكرة النحاة ٣٣٥.

٩ ــ شرح ألفية ابن معطي ٨٢٩/٢.

١٠ ــ مغني اللبيب ٤٩٧.

١١ ــ مبرز القواعد الإعرابية ١٠٦.

١٢ ــ مبرز القواعد الإعرابية ١٠٨.

١٣ ــ مبرز القواعد الإعرابية ١١١.

١٤ ــ البيت لأبي ذؤيب الهذلي. انظر: مغني اللبيب ٥٤٣.

١٥ ــ انظر الكشاف ٢٨٠/٢.

١٦ ــ انظر مبرز القواعد الإعرابية ١١٥ ــ ١١٦.

١٧ ــ المصدر نفسه ١٢٠ ــ ١٢٢.

١٨ ــ الكتاب ١٤٧/١، الكشاف ٣٤/٤، الدر المصون ١٥٤/١ ــ١٥٥.

١٩ ــ النحو الوافي ١٢/١.

٢٠ ــ الخصائص ٢٣٣/٣ وانظر شرح المفصل ١٤١/٣، الأشباه والنظائر ٣٢٠/١ ط المجمع.

٢١ ــ مغني اللبيب ٦٢٠.

٢٢ ــ مغني اللبيب ٥٢٧.

٢٣ ــ الحديث رواه البخاري ٦٣٢٠، انظر إعراب القرآن الكريم: ٣٦.

٢٤ ــ النحو الوافي ١٥/١ حاشية ٢، وانظر ٣٧٤/١ و٤٦٦.

٢٥ ــ النحو الوافي ٧/٤.

٢٦ ــ الكشاف ٣٢/٣.

٢٧ ــ الدرر اللوامع ١٧٧/١.

٢٨ ــ البيت منسوب لسيدنا عليّ، كرّم الله وجهه كما في «آداب الصحبة» لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق: يوسف بديوي، ص(٦٢)، وانظره في «عيون الأخبار» ٧٩/٣ دون نسبة.

٢٩ ــ النحو الوافي ١٣٣/٤.

٣٠ ــ أشتات مجتمعات للعقاد ٥٦ ــ ٦١.

٣١ ــ أمالي ابن الحاجب ٨٣/٣.

٣٢ ــ الكتاب ١٤٣/٣، شرح ابن عقيل ٣٦٠/١ ــ ٣٦٢.

٣٣ ــ الكتاب ١٥٣/٣ ــ ١٦١.

٣٤ ــ منحة الجليل ١٣٩/١.

٣٥ ــ همع الهوامع ٢١٩/١ الدرر اللوامع ١٨٩/١.

البحث السادس

ملامح إعراب الجمل

عند سيبويه و عند المبرِّد

ذكرتُ في مقدمة هذا البحث أنَّ قدامى النحويين الّذينَ كانوا رواد هذا العلم، لم يخصِّصوا بحثَ الجمل بفصل أو باب مستقل على حدة؛ وإنما تذكر الجملة حسب البحث النحوي اللغوي الذي يدرسه هذا العالم أو ذاك، ولأهميةِ دراسة الجملة عند قدامى النحويين، وتيسيراً على الدارسين المعاصرين حاولت أن أجمع ما ذكره سيبويه في تضاعيف كتابه عن الجملة، وكذا ما وجدته عند المبرّد في (المقتضب) من حديثه الواسع والمتفرق عن الجمل، وهي ملامح أســـاسية في هذه الدراسة، ورتبتُ هذه الجمل حسب التقسيم المشهور عند ابن هشام ومن دار في فلكه من حيث الترتيبُ والتقسيم، والغالبُ على هذا الجمع اختيارُ المنهج الوصفي كما سجّله كل من سيبويه والمبرّد، وذكرتها على الترتيب الآتي:

أولاً: الجمل التي لها محل من الإعراب:

ـــ الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ.

ـــ الجملة التي تشبه المبتدأ.

ـــ جملة خبر كان.

ـــ جملة خبر عسى وكاد.

ـــ جملة خبر ما الحجازيّة.

ـــ جملة خبر إنَّ وأخواتها.

ـــ جملة خبر ليت.

ـــ الجملة الحالية.

ـــ الجملة الواقعة مفعولاً به.

ـــ الجملة المحكيّة.

ـــ الجملة الواقعة مفعولاً ثانياً لـــ ظنّ وخال وجعل..

ـــ الجملة الواقعة مفعولاً ثالثاً.

ـــ الجملة المعلّقة.

ـ جملة الصفة.

ـ الجملة الواقعة مضافاً إليه.

ـ الجملة المعطوفة.

ـ مسألة.

ثانياً: الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب:

ـ الجملة الاستئنافية.

ـ بين العطف والاستئناف.

ـ جملة الصلة.

ـ الجملة المفسرة.

ـ الجملة الاعتراضية.

ـ الجملة الواقعة جواباً للشرط.

ملامح إعراب الجمل

عند سيبويه

في الكتاب

الجملُ التي لها محلٌّ من الإعراب:

الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ:

١ ــ لقيتُ زيداً وأمّا عمرو فقد مررت به، ولقيت زيداً فإذا عبدُ الله يضربه عمرو، الرفع واجب؛ لأنّ (أمَّا) و(إذا) يقطع بهما الكلام، وهما من حروف الابتداء. (الكتاب ٤٩/١).

٢ ــ حروف الاستفهام كلها يقبح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم، فلو قلت: هل زيد قام؟، وأين زيدٌ ضربته؟، لم يجز إلا في الشعر، فإذا جاء في الشعر نصبَته، إلا الألف فإنه يجوز فيها الرفع والنصب. (الكتاب ٥٢/١)

٣ ــ لو قلت: هل زيدٌ أنا ضاربه؟، لكان جيداً في الكلام، لأن (ضارب) اسم، وإن كان في معنى الفعل، ويجوز النصب في الشعر (الكتاب ٥٢/١).

٤ ــ إن قلت: أزيدٌ ذهب به؟ أو أزيد انطلق به؟ لم يكن إلا رفعاً. (الكتاب ٥٢/١).

٥ ــ تقول: أ أنت عبدُ الله ضربته؟ تجري مجرى: أنا زيد ضربته؛ لأنّ الذي يلي حرف الاستفهام (أنت) ثم ابتدأت هذا، وليس قبله حرف استفهام ولا شيء هو بالفعل، إن شئت نصبته كما نصبت زيداً ضربته، فهو عربي جيد. (الكتاب ٥٤/١).

٦ ــ تقول: زيدٌ كم مرة رأيته؟

تقول: عبد الله هل لقيته؟

تقول: عمرو هلا لقيته؟

الرفع في الأمثلة واجب. (الكتاب ٦٤/١، ١٢٠).

٧ ــ مما لا يكون فيه إلا الرفع: أ عبد الله أنت الضاربه؟ لأنك تريد معنى أنت الذي تضربه. (الكتاب ٦٦/١).

٨ ــ أزيد إن يضربه عمرو أمثلُ أم بشر؟! (الكتاب ١/٦٦).

٩ ــ مما لا يكون في الاستفهام إلا رفعاً:

أعبدُ الله أنت أكرم عليه أم زيد؟

أعبدُ الله أنت له أصدق أم بشر؟ (الكتاب ١/٦٧)

١٠ ــ (زيدٌ كم مرةٍ لقيت) ضعيف إلاّ أن تدخل الهاء. (الكتاب ١/٦٤).

١١ ــ إن قلت: أيُّهم جاءك فاضرب، جعل (جاءك) في موضع الخبر (الكتاب ١/٦٨).

١٢ ــ قد يكون في الأمر والنهي أن يبنى الفعل على الاسم، تقول: عبدُ الله اضربه. /(١/٦٩).

١٣ ــ إذا قلت: زيدٌ فاضربه، لم يستقم أن تحمله على الابتداء، ألا ترى أنك لو قلت: زيد فمنطلق، لم يستقم. (الكتاب ١/٦٩).

١٤ ــ قد يجوز ويستقيم إذا كان مبنياً على مبتدأ مظهَر أو مضمرَ، نحو: هذا زيد فاضربه، وإن شئت لم تظهر هذا، نحو: الهلالُ واللهِ فانظر إليه، كأنك قلت: هذا الهلالُ، ثم جئت بالأمر. (الكتاب ١/٦٩).

١٥ ــ دخول الفاء في خبر اسم الموصول أو في خبر (كل) (الكتاب ١/٧٠، ٤٥٣).

١٦ ــ وسألته عن قوله: الذي يأتيني فله درهمان، لم جاز دخول الفاء ها هنا؟ والذي يأتيني بمنــزلة (عبد الله)، وأنت لا يجوز لك أن تقول: عبد الله فله درهمان، فقال الخليل: إنما يحسن في الذي؛ لأنه جعل الآخر جواباً للأول، فدخلت الفاء ها هنا كما دخلت في الجزاء، وإن شاء قال: الذي يأتيني له درهمان. (الكتاب ١/٧٠، ٤٥٣).

١٧ ــ كل رجلٍ يأتــينا فله درهمان، ولو قال: كل رجلٍ فله درهمان، كان محالاً؛ لأنه لم يجيء بفعل.

١٨ ــ إن قلت: أيُّهم جاءك فاضرب، رفعت (أيهم)؛ لأن (جاءك) في

موضع الخبر مما لا يكون إلا رفعاً: أعبدُ الله إن تره تضربه. (٦٨/١).

١٩ ــ لو قلت: زيدٌ فاضربه لم يستقم أن تحمله على الابتداء، بل ينصب بإضمار فعل أو على (عليك).. (الكتاب ٦٩/١).

٢٠ ــ عبدُ الله هل رأيته؟ يجب الرفع (الكتاب ١٢٠/١).

٢١ ــ قد يكون في الأمر والنهي أن يبني الفعل على الاسم، نحو: عبدُ الله اضربه (٦٩/١).

٢٢ ــ ما أنت إلا سيراً، إنما أنت سيراً سيراً، ما أنت إلا الضرب الضربَ، ما أنت إلا قتلاً قتلاً، ما أنت إلا سيرَ البريد سيرَ البريد، الفعل متروك إظهاره، أي: ما أنت إلّا تفعل فعلاً، و(الجملة خبر) (الكتاب ١٦٨/١).

٢٣ ــ زيد سيراً سيراً.

ــ أنت الدهر سيراً سيراً.

ــ أنت من اليوم سيراً سيراً.

ــ ما أنت إلا شربَ الإبل.

ــ ما أنت إلا ضربَ الناس.

ــ ما أنت إلا ضرباً الناس. (الكتاب ١٦٨/١).

الجملة التي تشبه المبتدأ:

قال سيبويه: وسألته عن معنى قوله: أريدُ لِأَنْ أفعلَ، فقال: إنما يريد أن يقول: إرادتي لهذا، كما قال عزَّ وجلَّ: (وأُمِرْتُ لأن أكون أوّل المسلمين) [الزمر:١٢] إنما هو أُمِرْتُ لهذا. (الكتاب ١٦١/٣ هارون).

إذا قلت: سواءٌ عليَّ أذهبت أم مكثْتَ، فهذا الكلام في موضع سواءٌ علي هَذَان. (الكتاب ١٨٦/٣).

جملة خبر كان:

الوجوه في قولهم: (كل مولودٍ يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه) (الكتاب ٣٩٦/١).

جملة خبر عسى وكاد..

١ ــ كدت أفعل ذاك، وكدت تفرغ، أفعلُ هنا بمنــزلتها في كنت، إلاّ أن الأسماء لا تستعمل في (كدت) وما أشبهها. (١/٤١٠).

٢ ــ عسى يفعل ذاك، كأنك قلت: كدت فاعلاً، ثم وضعت (أفعل) في موضع (فاعل). (الكتاب ١/٤١٠ و٤٧٧).

٣ ــ يقولون: كاد يفعل، وكرب يفعل، ولا يذكرون الأسماء في موضع هذه الأفعال.

٤ ــ جعل يقول، لا تذكر الاسم ها هنا، ومثله: أخذ يقول، فالفعل هنا بمنــزلة الفعل في (كان) إذا قلت: كان يقول: وهو في موضع اسم منصوب، كما أن هذا في موضع اسم منصوب، وهو ثَمَّ خبر، كما أنه ها هنا خبر، إلا أنك لاتستعمل الاسم، فأخلصوا هذه الحروف للأفعال، كما خلصت حروف الاستفهام للأفعال، نحو: هلاّ، ألا.

٥ ــ قد يجوز: يوشك يجيء، بمنــزلة: عسى يجيء (الكتاب ١/٤٧٩).

٦ ــ عسينا نفعل، هو في الكلام قليل، لا يكادون يتكلمون به، فإذا تكلموا فالفعل كأنه في موضع اسم منصوب، كأنه قال: عسى زيد قائلاً، ثم وضع (يقول) في موضعه. (١/٤٥٢).

جملة خبر (ما) الحجازية:

ما زيدٌ أنا ضاربه، إن جعلت (ما) حجازية لم يجز إلا الرفع.

ما أنا زيدٌ لقيته. (الكتاب ١ /٧٢).

جملة خبر إنّ وأخواتها:

١ ــ إن قلت: إنّ أفضلهم لقيت، فنصبتَ بــ (إنّ) فهو قبيح. (الكتاب١/٣٨١).

٢ ــ (إنَّا كلَّ شيء خلقناه بقدر) [القمر: ٤٩] (الكتاب ١/٧٤).

جملة خبر ليت:

ليت شعري: أ عبد الله ثم أم زيد؟، ليت شعري: هل رأيته؟، هذا في موضع خبر (ليت). (الكتاب ١٢٠/١ وانظر ١٠٧/١).

الجملة الحالية:

١ ــ رأيته شاباً، وإنّه يفخر بذلك، أي: وهذه حاله، وإن شئت حملت الكلام على الفعل ففتحت. (الكتاب ٤٦٢/١).

٢ ــ تقول: ذره يقولُ ذلك، أي: ذره قائلاً (٤٥١/١).

٣ ــ بعض العرب يقول: كلمته فوهُ إلى فيَّ.

٤ ــ رجع فلان عودُه على بدئه، يجوز الابتداء والحال. (الكتاب ١٩٦/١).

٥ ــ باب ما يرتفع بين المجزومين وينجزم بينهما:

تقول: إن تأتني تسألُني أعطك، وإن تأتني تمشي أمشِ معك، أي: سائلاً وماشياً. (٤٤٥/١).

٦ ــ تقول: ما قدم علينا أمير إلا إنه مكرم لي، ليس ها هنا شيء يعمل في (إنّ) تريد أن تقول: ما قدم علينا أمير إلا وهو مكرم لي. (٤٧٢/١).

٧ ــ تقول: لأضربنه ذهب أو مكث، كأنه قال: لأضربنه ذاهباً أو ماكثاً، ولأضربنه إن ذهب أو مكث، قال الشاعر:

إذا ما انتهى علمي تناهيْتُ عنده أطال فَأَمْلى أو تناهى فأقْصَرَا

وقال الشاعر: (٤٨٩/١-٤٩٠).

فلستُ أبالي بعد يوم مُطَرِّفٍ حتوفَ المنايا أكثَرتْ أو أقلَّتِ

جملة (أكثرت) حالية. (الكتاب ١٨٥/٣ هارون)

٨ ــ تقول: وكل حقٍّ لها سميناه أو لم نسمه، كأنه قال: وكل حقّ لها علمناه أو جهلناه، وكذلك كل حق هو لها داخل فيها أو خارج منها، كأنه قال: إن

كان داخلاً أو خارجاً، [الجملة (سميناه) صفة للحق، أو حال]. (١/٤٩٠).

٩ ــ والله لأفعلن كذا وكذا إلا حلّ ذلك أن أفعل كذا وكذا، (أن أفعل) بمنــزلة فعل أو هو مبني على حل و(حل) مبتدأ (١/٣٧٤).

١٠ ــ أتاني القوم عدا عمراً، كأنك قلت: جَاوَزَ بعضهم عمراً. (١/٣٧٧)

الجملة الواقعة مفعولاً به:

١ ــ قد جربتك فوجدتك أنت أنت.

(أنت) الأولى مبتدأ، والثانية خبر، وإن شئت قلت: جربتك فوجدتك أنت إياك، لو جعلت (أنت) صفة (أي: توكيد للضمير المتصل). (الكتاب ١/٣٨٢).

٢ ــ الجملة المحكية:

تقول: أول ما أقول أني أحمد الله، كأنك قلت: أول ما أقول: الحمدُ لله.

وإن أردت الحكاية قلت: أول ما أقول: إني أحمد الله (١/٤٧١).

٣ ــ (قلتُ): في كلام العرب إنما وقعت على أن يُحكى بها ما كان كلاماً لا قولاً. (١/٦٢).

قال سيبويه: هذا باب من أبواب (إنّ)، تقول: قال عمرو: إنّ زيداً خير منك، وذلك لأنك أردت أن تحكي قوله، ولا يجوز أن تعمل (قال) في (أنّ)؛ كما لا يجوز لك أن تعملها في زيد و أشباهه إذا قلت: قال زيد عمرو خير الناس، فأنَّ لا تعمل فيها قال كما لا تعمل قال فيما تعمل فيه أنّ؛ لأن (أنّ) تجعل الكلام شأناً، وأنت لا تقول: قال الشأن متفاقماً، كما تقول: زعم الشأن متفاقماً، فهذه الأشياء بعد (قال) حكايةٌ.

ومثل ذلك قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) [البقرة: ٦٧] وكذلك جميع ما جاء من (إذ) في القرآن.

وكان عيسى بن عمر يقرأ هذا الحرف، (فدعا ربه إنّي مغلوبٌ فانتصر)

[القمر: ١٠]، أراد أن يحكي، كما قال عز وجل: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم) [الزمر: ٣]، كأنه قال: واللهُ أعلمُ، قالوا: ما نعبدهم، ويزعمون أنها في قراءة ابن مسعود كذا، ومثل ذلك كثير في القرآن.

[١٤٢/٣ ــ ١٤٣ (هارون)]

٤ ــ الجملة مفعول ثانٍ لــ ظن وخال وجعل:

ما أظن أحداً هو خير منك، ما أجعل رجلاً هو أكرم منك، وما إخال رجلاً هو أكرم منك. (الكتاب ٣٩٧/١).

٥ ــ الجملة الواقعة مفعولاً ثالثاً:

نُبِّئْتُ زيداً يقول ذلك، أي: عن زيد (١٧/١ ــ ١٨).

٦ ــ سألت الخليل عن قولهم: أقسمت عليك إلا فعلت، ولمّا فعلت، لم جاز في هذا الموضع، وإنما أقسمت ها هنا كقولك: واللهِ ، فقال: وجه الكلام لتفعلن ها هنا، ولكنهم أجازوا هذا لأنهم شبهوه بــ: نشدتك الله، إذ كان فيه معنى الطلب. (٣٧٥/١).

ــ الجملة المعلّقة:

أ ــ التعليق نحو: قد علمت أعبدَ اللهِ ثَمَّ أم زيد.

قد عرفت أبو مَنْ زيدٌ.

وقد عرفت أيُّهم أبوك.

أما ترى أيُّ برق ها هنا. (١٢٠/١).

ب ــ علمت لزيدٌ خير منك، هذه اللام تمنعُ العملَ كما تمنع ألف الاستفهام؛ لأنها إنما هي لام الابتداء، ومثله: قد علمت لعبد الله اضربه. (١٢٠/١ و ٧٤).

جـ ــ عرفت زيداً أبو مَنْ هو.

د ــ علمت عمراً أبوك هو أم أبو غيرك، أعملت الفعل في الاسم الأول،

لأنه ليس بالمدخل عليه حرف الاستفهام.

هـ ــ ظننت زيداً أبو من هو.

و ــ علمت زيداً أبو من هو.

ز ــ اذهب فانظر زيد أبو من هو.

حـ ــ اذهب وسل زيد أبو من هو.

ط ــ أرأيتك زيداً أبو من هو.

ي ــ أرأيتك عمراً أعندك هو أم عند فلان، لا يحسن إلاَّ النصب، (وأرأيتَ بمعنى أخبرني، والاستفهام في موضع المفعول الثاني (١٢٢/١).

ك ــ (إنما) لا تكون اسماً، وإنما هي فيما زعم الخليل بمنــزلة فعل ملغى، مثل: أشهد لزيدٌ خير منك، لأنها لا تعمل فيما بعدها. (٤٦٦/١).

ل ــ الجملة بعد ما أبالي، وليت شعري. (١٨٠/٣ هارون).

م ــ ما أدري أزيدٌ أفضل أم عمرو، وليت شعري أزيد أفضل أم عمرو، هذا كله على معنى أيُّهما أفضل. (١٨٠/٣هارون).

تقول: ليت شعري ألقيت زيداً أو عمراً، وما أدري أعندك زيد أو عمرو.

قال حسان بن ثابت:

ما أبالي أنبَّ بالحزن تيسٌ أم لحاني بظهر غيب لئيم

كأنه قال: ما أبالي أيُّ الفعلين كان.

إذا قلت: ما أبالي أذهبت أم مكثت، فهو في موضع: ما أبالي واحداً من هذين. (الكتاب ١٨٦/٣ هارون)

جملة الصفة:

١ ــ أصل وقوع الفعل صفةً للنكرة، كما لا يكون الاسم كالفعل إلا نكرةً. (الكتاب ٦٦/١).

٢ ــ مررت برجلٍ (خيرُ ما يكون خير منك) (١٩٩/١ ــ ٢٠٠).

٣ ــ مررت برجلٍ (معه صقر) صائداً به غداً. (٢٤١/١).

٤ ــ نحن قوم (ننطلق) عامدون إلى بلد كذا. (٢٤١/١).

٥ ــ مررت برجلين: مسلمٍ وكافرٍ، جمعت الاسم وفرقت النعت، وإن شئت كان بدلاً، ويجوز الرفع. (٢١٤/١).

٦ ــ تقول: كلَّ رجلٍ يأتيك فاضــرب، بنصب (كل)؛ لأن (يأتيك) هنا صفة، كأنــك قلت: كلَّ رجل صالح اضرب، إن قلت: أيُّهم جاءك فاضرب رفعت، لأن (جاءك) في موضع الخبر. (٦٨/١).

الجملة الواقعة مضافاً إليه:

١ ــ باب ما يضاف إلى الأفعال من أسماء الدهر:

يضاف إليها أســماء الدهر، وذلك قولك: هذا يوم يقوم زيد، مما يضاف إلى الفعل: ما رأيته مذ كان عندي، ومذ جاءني.

٢ ــ مما يضاف إلى الفعل: لا أفعل بذي تسلم، أي: لا أفعل بسلامتك وذو مضافة إلى الفعل، فذو هنا الأمر الذي يسلمك، وصاحب سلامتك. (٤٦١/١).

٣ ــ كان ذاك زمنَ زيدٌ أميرٌ،لما كانت في معنى (إذ) أضافوها إلى ما قد عمل بعضه في بعض. (٤٦١/١).

٤ ــ إذ يحسنُ ابتداء الاسم بعدها، تقول: جئت إذ عبد الله قائم، إلا أنها في (فعل) قبيحة، نحو: جئت إذ عبدُ اللهِ قامَ. (٥٤/١ ــ ٥٥).

٥ ــ وأما قوله: كان ذلك بادي بدا، فإنهم جعلوها كــ: خمسة عشر، ولا نعلمهم أضافوا، ولا يستنكر أن تضيفها، ولكن لم أسمعه. (الكتاب ٢٧٣/١).

الجملة المعطوفة:

١ ــ ما ينجزم بين المجزومين قولك: إن تأتني ثم تسألْني أعطِكَ، وإن تأتني فتسألني أعطك، وإن تأتني وتسألني أعطك؛ لأنّ هذه الحروف يشركن الآخر فيما فعل فيه الأول، ولا يجوز في ذا الفعل الرفع. (٤٤٦/١).

٢ ــ سألت الخليل عن قوله: إن تأتني فتحدثَني أحدثْك، وإن تأتني وتحدثَني أحدثك فقال: هذا يجوز ــ والجزم الوجه ــ ووجه نصبه أنه حمل الآخر على الاسم (٤٤٧/١).

٣ ــ تقول: إن تأتني آتك فأحدثك هذا الوجه، وإن شئت ابتدأت، وكذلك الواو، وثم، وإن شئت نصبت بالواو والفاء، كما نصبت ما بين المجزومين. (٤٤٧/١).

٤ ــ النصب بالفاء والواو في قوله: إن تأتني آتك وأُحْسِنَ إليك، ضعيف. (٤٤٨/١).

مسألة:

ذكر سيبويه تحت عنوان: (هذا باب وجه دخول الرفع في هذه الأفعال المضارعة للأسماء) حديثاً عن علّة رفع المضارع، ورأيه أنّ الرافع للمضارع هو وقوعه موقعَ الأسماء، والأسماء لها محلات إعرابية متنوعة، قال: إذا كانت في موضع اسم مبتدأ، أو موضع اسم مبني على المبتدأ (أي: الخبر) أو في موضع اسم مجرور أو منصوب فإنها مرتفعة وكينونتها في هذه المواضع ألزمتها الرفع، وهي سبب دخول الرفع فيها.

أمثلة على ذلك:

١ ــ ما كان في موضع المبتدأ فقولك: (يقولُ) زيدٌ ذاك.

٢ ــ ما كان في موضع المبني على المبتدأ (أي: الخبر) قولك: زيد (يقول) ذاك.

٣ ــ ما كان في موضع الصفة قولك: مررت برجلٍ (يقول) ذاك.

٤ ــ ما كان في موضع الجر قولك: هذا يومُ (آتيك).

٥ ــ ما كان في موضع الحال قولك: هذا زيدٌ (يقول) ذاك.

٦ ــ ما كان في موضع المفعول قولك: حسبته (ينطلق).

٧ ــ ما كان في موضع خبر كاد قولك: كِدْتُ (أفعل) ذاك، وكدتَ تفرغ.

٨ ــ ما كان في موضع خبر عسى قولك: عسى (يفعل) ذلك.

٩ ــ ما كان في موضع نصب قولك: قد جعل يقول ذلك، كأنّك قلت: صار يقول ذلك. (الكتاب ٣/٩-١٢ هارون بتصرف).

الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب:

الجملة الاستئنافية:

١ ــ تقول: جئتك أنك تريد المعروف، تريد: لأنك، ولكنك حذفت اللام، ولو قلت: جئتك إنك تريد المعروف، مبتدأ كان جيداً. (الكتاب ١/٤٦٤).

٢ ــ جئتكَ أنك تحب المعروف، أي: لأنك؛ فحذفت اللام، ولو قلت: بالكسر مبتدئاً كان جيداً: (جئتك إنك تحب المعروف) (١/٤٦٤).

٣ ــ لبيك إنّ الحمدَ والنعمةَ لك، وإن شئت قلت: أنّ. (الكتاب ١/٤٦٥).

٤ ــ (اصنع ما سرَّ أخاك وأحبَّ أبوك الرجلان الصالحان) الرفع على المبتدأ وتنصبُه على التعظيم. (الكتاب ١/٢٤٦).

٥ ــ مما لا تجري عليه الصفة نحو: هــذان أخواك، وقد تولى أبواك، الرجال الصالحون، إلا أن ترفعه على الابتداء، أو تنصبَه على المدح و التعظيم. (الكتاب ١/٢٤٧).

٦ ــ سألت الخليل عــن: مررت بزيــد وأتاني أخــوه أنفسُهما، فقــال: الرفع علــى هما صاحباي أنفسهما، والنصب على أعنيهما، ولا مدح فيه. (الكتاب ١/٢٤٧).

٧ ــ تقول: مررت برجلٍ الأســدِ شِدَّةً، كأنك قلت: مررت برجلٍ كامل، وإن شئت استأنفت، ولا يكون صفة. (الكتاب ١/٢٢٦).

٨ ــ تقــول: ائتنــي آتِك، وإن شئت رفعت علــى أن لا تجعله معلّقاً بالأول، ولكــن تبتدئــه، وتجعل الأول مستغنياً عنه: كأنه يقول: ائتني، أنا آتيك. (الكتاب ١/٤٥٠).

٩ ــ تقول: لا تدن منه يكنْ خيراً لك، فإن قلت: لا تدن من الأسد يأكُلْك، فهو قبيح إن جزمت، وليس وجه كلام الناس، فإن رفعت فالكلام حسن، وإن أدخلت الفاء فهو حسن. (الكتاب ١/٤٥١).

١٠ ــ تقول: ذره يقلْ ذلك، وذره يقول ذلك، فالرفع من وجهين: أحدهما الابتداء، والآخر قولك: ذره قائلاً. (الكتاب ٤٥١/١).

١١ ــ تقول: إن تأتني آتِك فأحدثَك، هذا الوجه، وإن شئت ابتدأت. (الكتاب ٤٤٧/١).

١٢ ــ تقول: إن تأتني فهو خير لك وأكرمُك، وإن تأتني فأنا آتيك وأحسنْ إليك، والرفع وجه الكلام، وهذا الجيد. (الكتاب ٤٤٨/١).

١٣ ــ تقول: إن تأتني فلن أوذيك، وأستقبلُك بالجميل، الرفع ها هنا هو الوجه، إذا لم يكن محمولاً على (لن)، مثل ذلك: إن أتيتني لم آتك وأحسن إليك، الرفع الوجه، إذا لم تحمله على (لم). (الكتاب ٤٤٨/١).

١٤ ــ إذن إذا كانت جواباً، وكانت مبتدأةً عملت في الفعل عمل أرى في الاسم، كقولك: إذن أجيئك، وإذن آتيك، ومن ذلك: إذن ــ والله ــ أجيئَك. (الكتاب ٤١٠/١).

وتقول: (إذن عبدُ اللهِ يقولُ ذاك) لا يكون إلا هذا، من قبل أنّ إذن الآن بمنزلة: إنمَّا وهل، كأنَّك قلت: إنما عبد الله يقول ذاك. (الكتاب ١٥/٣ هارون).

١٥ ــ لقيت القومَ حتى عبد الله لقيته، يحسن الجر، وهو عربي، وإنما جاء بـ(لقيته) توكيداً بعد أن جعله غايةً، كما تقول: مررتُ بزيدٍ وعبد الله مررت به، والرفع جائز. (الكتاب ٥٠/١).

١٦ ــ يدُلك على أنَّ (حتى) من حروف الابتداء أنك تقول: حتى إنَّه يفعل ذلك، كما تقول: إنه يفعل ذاك. (الكتاب ٤١٣/١، ٤٧١).

١٧ ــ قد قاله القوم حتى إنّ زيداً يقوله، وانطلق القوم حتى إنَّ زيداً لمنطلق، (حتى) هنا معلقة لا تعمل شيئاً في (إنَّ) كما لا تعمل إذا قلت: حتى زيد ذاهب، فهذا موضع ابتداء. (الكتاب ٤٧١/١ و٤١٣)

١٨ ــ لقيت القوم حتى زيدٌ ملقى، وسرحت الماشية حتى زيدٌ سرّح، لا يكون فيه إلا الرفع، لأنك لم تذكر فعلاً. (الكتاب ٥٠/١).

١٩ ــ مثل ذلك: مرض حتى يمرُّ به الطائر فيرحمه، وسرت حتى يعلمُ الله أني كَالٌّ. (الكتاب ٤١٤/١).

٢٠ ــ تقول: كنت سرت حتى أدخلها، إذا لم تجعل الدخول غايةً. (الكتاب ٤١٤/١).

٢١ ــ لا تقع الجملة الدعائية بعد السين أو قد. (الكتاب ٤٨٢/١).

٢٢ ــ قوله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكونُ) [يس: ٨٢] كأنه قال: إنما أمرنا ذاك فيكون.. قال السيرافي: (فيكونُ) ليس بجواب لـــ (كُنْ)؛ لأن الكلام الأول وجوابه جميعاً من كلام واحد غير منقطع أحدهما من الآخر، ولم يُرِدِ الله عزّ وجلّ أن يقول للشيء كن فيكون، وكن فيكون مقولان للشيء، والذي قيل للشيء: (كنْ) حسبُ، ثم خبر عنه أنه يكون، فصار (يكونُ) كلاماً منفرداً مستأنفاً (٣٩/٣ وانظر الحاشية ٢ منه)

٢٣ ــ **يا لَلْعَجَبِ**، ويا لَلْمَاءِ، لما رأوا عجباً، أو رأوا ماءً كثيراً، كأنه يقول: تعالَ يا عجب، فإنه من أيامك وزمانك. (الكتاب ٣٢٠/١).

يا للدواهي، أي تعالين، فإنه لا يُستنْكَر لَكُنَّ، لأنه من أحيانكن. (الكتاب ٣٢٠/١).

٢٤ ــ الجملة بعد إلاَّ:

إن لفلانٍ ــ واللهِ ــ مالاً إلاّ أنه شقي، جاء على معنى: ولكنه شقي (٣٦٣/١).

٢٥ ــ الاستئناف بـــ أم المنقطعة: وذلك قولك: أعمرو عندك أم عندك زيدٌ؟.

قال الســيرافي: شبّه النحويون (أم) في هذا الوجه بـــ (بل) ولم يريدوا بذلك أنّ ما بعد (أم) محقّق، كما يكون ما بعد (بل) محققاً، وإنما أرادوا أن (أم) استفهام مستأنف بعد كلام يتقدمــها، كما أن (بل) تحقيق مستأنف بعد كلام تقدمها، والدليل على أنها ليست بمنــزلة (بل) مجرّدة قوله عزّ وجل: (أمِ اتخذَ

مما يخلق بناتٍ) [الزخرف: ١٦]، ولا يجوز أن تكون بمعنى (بل اتخذَ) تعالى الله عن ذلك، وتقديره في اللفظ: آتخذ الله؛ بالألف للاستفهام، والمعنى: الإنكارُ والردُّ لما ادعوه؛ لأنّ ألف الاستفهام قد تدخل للتقرير والردّ والإنكار والتوبيخ والتوعد. (الكتاب ١٧٢/٣، حاشية ٤ هارون).

٢٦ ــ قولهم: إنها لإبل أم شاء يا قوم.

جاءت (أم) ها هنا بعد الخبر منقطعةً، كما تجيء بعد الاستفهام، وذلك حين قال: أ عمرو عندك؟ فقد ظن أنه عنده، ثم أدركه مثل ذلك الظن في زيد، بعد أن استغنى كلامه..

وبمنزلة (أم) ها هنا قوله عزّ وجل: (ألم. تنزيلُ الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين. أم يقولون افتراه) [السجدة: ١ ــ ٣].

جاء هذا الكلام على كلام العرب، قد علم تبارك وتعالى ذلك من قولهم ولكن هذا على كلام العرب ليُعرّفوا ضلالَتهم. (الكتاب ١٧٢/٣ ــ ١٧٣ هارون).

٢٧ ــ إن شئت قلت: هل تأتيني أم تحدثني؟ على كلامين. قال زُفَرُ بنُ الحارث:

أبا مالكٍ هل لمتني مذ حَضَضْتني على القتل أم هل لامني منك لائمُ؟

فجملة (هل لامني منك لائم) دخلت (أم) بمعنى (بل) وهي المنقطعة؛ لأنها لا تكون للعطف والمعادلة إلا بعد الهمزة.

قال سيبويه: فأما الذين قالوا: (أم هل لامني منك لائم) فإنما قالوه على أنه أدركه الظن بعد ما مضى صدر حديثه. (الكتاب ١٧٦/٣ ــ ١٧٧ هارون).

وقال مالك بن الريب:

ألا ليت شعري هل تغيّرت الرحا رحا الحزْن أو أضحت بفلجٍ كما هيا

فهذا سمعناه ممن ينشده من بني عمه، وقال أناس: (أم أضحت) على كلامين،كما قال علقمة بن عبدة:

هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ أم حبلُها إذ نأتك اليوم مصرومُ
أم هل كبيرٌ بكى لم يقضِ عبرته إِثْرَ الأحبة يوم البين مشكومُ

استأنف السؤال، فقال: أم هل تجازيك ببكائك على إثرها وأنت شيخ ، (المشكوم: المجازي من الشكم. العطية عن مجازاة). (الكتاب ١٧٨/٣) هارون.

٢٨ ــ تقول: أريد أن تأتيني فتشتُمُني، لم يرد الشتيمة، ولكنه قال: كلَّما أردت إتيانك شتمتني، هذا معنى كلامه، فمن ثَمّ انقطع من أن.

قال رؤبة:

الشعر صعب وطويل سُلَّمهْ إذا ارتقى فيه الذي لا يعلَمُه
زلّت به إلى الحضيض قدمُهْ والشعر لا يسطيعُه مَنْ يظلمهْ
يريد أن يُعْرِبَهُ فيعْجِمُهْ

أي: فإذا هو يعجمه، والشاهد فيه، رفع «فيعجمه» على القطع، ولا يجوز النصب على العطف لفساد المعنى؛ لأنه لا يريد إعجامه، وإعجامُه أن يجعله مشكلاً لا بيان له، أو يأتي به أعجمياً فيلحن فيه. (الكتاب ٥٣/٣ هارون).

٢٩ ــ ومما جاء منقطعاً قول الشاعر، وهو عبد الرحمن بن أم الحكم:

على الحكمِ المأتي يوماً إذا قضى قضيَّتَه أن لا يجورَ ويقصِدُ

كأنه قال: عليه غير الجَوْرِ، ولكنه يقصد، أو هو قاصدٌ، فابتدأ ولم يحمل الكلام على أن، كما تقول: عليه أن لا يجــور، وينبغي له كذا وكذا، فالابتداء في هذا أسبقُ وأعرفُ. (الكتاب ٥٦/٣ هارون).

٣٠ ــ قال سيبويه: سألت الخليل عن قول الشاعر لبعض الحجازيين:

فما هو إلا أن أراها فُجَاءَةً فأَبْهَتُ حتى ما أكاد أجيبُ

فقال: أنت بالخيار إن شئت حملت (أبهت) على أن، وإن شئت لم تحملها عليه، فرفعت، كأنك قلت: ما هو إلا الرأي فأبهتُ. (الكتاب ٥٤/٣ هارون).

٣١ ــ قال الشاعر:

ألم تسأل الربّع القَواءَ فينطقُ وهل تُخبرنْك اليوم بيداء سَمْلَقُ

لم يجعل الأول سبباً للآخر، ولكنه جعله ينطق على كل حال، كأنه قال: فهو مما ينطق، كما قال: ائتني فأحدثُك، فجعل نفسه ممَّن يحدثه على كل حال.

والشاهد فيه: رفع «ينطق» على الاستئناف والقطع، أي: فهو ينطق، ولو أمكنه النصب على الجواب لكان أحسن. (الكتاب ٣٧/٣ هارون والمصادر المذكورة في الحاشية ٤).

بين العطف والاستئناف:

الحروف التي تُشرِكُ: الواو والفاء وثم وأو، وذلك قولك: أريدُ أن تأتيَني ثم تحدثَني، وأريد أن تفعلَ ذاك وتحسنَ، وأريد أن تأتيَنا فتبايعَنا، وأريد أن تنطقَ بجميل أو تسكتَ. (٥٢/٣ هارون)

تقول ما تأتيني فتحدّثني فالنصب على وجهين من المعاني:

أحدهما: ما تأتيني فكيف تحدثَني، أي لو أتيتني لحدثتني.

وأما الآخر: فما تأتيني أبداً إلا لم تحدثني، أي: منك إتيان كثير ولا حديثٌ منك، وإن شئت أشركت (عطفت) بين الأول والأخير، فدخل الآخر فيما دخل فيه الأول فتقول: ما تأتيني فتحدثُني، كأنك قلت: ما تأتني وما تحدثني.

فمثل النصب قوله عزّ وجل: (لا يُقضَى عليهم فيموتوا) [فاطر: ٣٦]، ومثل الرفع قوله عز وجل: (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) [المرسلات: ٣٥، ٣٦]، وإن شئت رفعت على وجه آخر كأنك قلت: ما تأتيني فأنت تحدثُني، ومثل ذلك قول بعض الحارثيين:

غير أنَّا لم تأتِنا بيقينٍ فنرجّي ونكثرُ التأميلا

كأنــه قال: فنحن نرجي، فهذا في موضع مبنيٍّ على المبتدأ.

(الكتاب ٣٠/٣ ــ ٣١).

تقول: إن تأتني آتِكَ وإذنْ أُكرمْكَ، إذا جعلت الكلام على أوّله ولم تقطعه، وعطفته على الأوّل، وإن جعلته مستقبلاً نصبتَ، وإن شئت رفعته على قول من ألغى (إذن) وهذا قول يونس وهو حسن؛ لأنك إذا قطعته من الأوّل فهو بمنـــزلة قولك: فإذن أفعلُ إذا كنت مجيباً رجلاً. (٣/١٥ هارون).

جملة الصلة:

١ ــ سمّى الصلة حشواً (الكتاب ١/٢٧٠).

٢ ــ زعم الخليل أنه سمع رجلاً من العرب يقول: ما أنا بالذي قائل لك سوءاً، وما أنا بالذي قائل لك قبيحاً.

٣ ــ وسألته عن قوله: ما تدوم لي أدوم لك، فقال: ليس في هذا جزاء من قبل أن الفعل صلة لـــ (ما). (١/٤٥٣).

٤ ــ أنَّ هي اسم، وما عملت فيه صلة لها، كما أنَّ الفعل صلة لـــ(أنْ) الخفيفة، تقول: قد عرفت أنك منطلق، فأنك في موضع اسم منصوب كأنك قلت: عرفت ذاك. (١/٤٦١).

٥ ــ كل موضع تقع فيه (أن) تقع فيه (أنّما) وما ابتدئ بعدها صلة لها. (١/٤٦٥).

٦ ــ أيّ: مضاف وغير مضاف بمنـــزلة (مَنْ) الموصولة، تقول: أيّها تشاء لك، (تشاء) صلة لـــ(أي). (١/٣٩٧).

٧ ــ جاز سقوط (هو) في (أيّهم)، ولم يجز في أخواته إلا قليلاً ضعيفاً، نحو: (ثم لننزعن من كل شيعةٍ أيهم أشدُّ على الرحمن عتيًّا) [مريم: ٦٩].

٨ ــ الكوفيون يقرؤونها: ثم لننـــزعنَّ من كل شيعة أيَّهم أشدُّ؛ وهي لغة جيدة نصبوها كما جرّوها. (١/٣٩٧).

٩ ــ سمع الخليل أعرابياً يقول: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً. (١/٣٩٩).

١٠ ــ كلّما تأتيني آتيك، فالإتيان صلة لـــ (ما) كأنه قال: كل إتيانك آتيك،

وكلما تأتيني يقع أيضاً على الحين، كما كان (ما تأتيني) يقع على الحين (٤٥٣/١).

١١ ــ ائتني بعد ما تفرغ: (ما) وتفرغ بمنــزلة الفراغ، وتفرغ هي صلة.. وهي بمنزلتها في (الذي) إذا قلت: بعد الذي يفرغ. (٤١٠/١).

١٢ ــ وســألته عن قوله: ما تدوم لي أدوم لك، فقال: ليس في هذا جزاء، من قبل أن الفعل صلة لــ (ما)، فصار بمنــزلة (الذي) وهو بصلته كالمصدر، ويقع على الحين. (٤٥٣/١).

١٣ ــ إنَّ من يأتيني آتيه، وكان من يأتيه آتيه، وليس من يأتيني آتيه، لَمّا عمل في (مَنْ) ما قبلها ذهب الجزاء. (٤٣٨/١ ــ ٤٣٩).

الجملة المفسّرة:

١ ــ زيداً ضربته: نصبه على إضمار فعل هذا تفسيره، كأنك قلت: ضربت زيداً ضربته، إلا أنهم لا يظهرون هذا الفعل، استغناء بتفسيره. (الكتاب ٤٢/١).

٢ ــ زيدٌ لقيتُ أخاه، ويجوز النصب أي: لابست زيداً (الكتاب ٤٣/١).

٣ ــ يومَ الجمعة سرته، النصب على الظرفية أو مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور. (٤٣/١).

٤ ــ يترجّح النصب في العطف على الجملة الفعلية؛ وهو في القــرآن كثير. ويجوز الرفع وهو عربي. (٤٦/١).

٥ ــ ممــا يختار فيه النصب: ما لقيت زيداً ولكن عمراً مررت به، وما رأيت زيداً بــل خالداً لقيت أباه؛ لأنّ (بل) و(لكن) لا يعملان شيئاً فهما كالواو وثم. (٤٧/١).

٦ ــ يجوز الوجهان: النصــب والرفع في المعطوفة على ذات الوجهين، نحو: عمرو لقيته وزيداً كلمته. (٤٧/١).

٧ ــ إذا قلت: مررت بزيدٍ وعمراً مررت به، نصبت وكان الوجه.

٨ ــ هذا ضارب زيد غداً وعمراً سيضربه. (٤٨/١).

٩ ــ مما يختار فيه النصب: من رأيت؟، وأيهم رأيت؟، فتقول: زيداً رأيته. (٤٨/١)

١٠ ــ أرأيت زيداً؟ فتقول: لا، ولكن عمراً مررت به. (٤٨/١).

١١ ــ إن قال: أ عبد الله مررت به أم زيداً؟ قلت: زيداً مررت به. (٤٨/١).

١٢ ــ أ عبد الله ضربته؟ أ زيداً مررت به؟ أ عمراً قتلت أخاه؟ أ عمراً اشتريت له ثوباً؟ تقوله بالنصب وهو المختار. (الكتاب ٥٢/١).

١٣ ــ ما أدري أزيداً به مررت أم عمراً.

ــ ما أبالي أ عبد الله لقيت أخاه أم عمراً. (الكتاب ٥٢/١).

١٤ ــ مما يقبح بعده ابتداء الأسماء، ويكون الاسم بعده إذا أوقعت الفعل على شيء من سببه نصباً في القياس (إذا) و(حيث) تقول:

إذا عبدَ الله تلقاه فأكرمه.

حيث زيداً تجده فأكرمه.

لأنهما يكونان في معنى حروف المجازاة ويقبح ابتداء الاسم بعدهما إذا كان بعده الفعل، والرفع بعدهما جائز؛ لأنك قد تبتدئ الأسماء بعدهما. (٥٤/١).

١٥ ــ باب تكون فيه (أن) بمنزلة (أي)، وذلك قوله عزَّ وجلَّ: (وانطلق الملأ منهم أن امشوا) (ص:٦) ومثل هذا كثير في القرآن. (٤٧٩/١).

١٦ ــ قولهم في الشعر: إن زيد يأتك يكن كذا وكذا، وإنما ارتفع (زيد) على فعل، هذا تفسيره، كما كان في إن زيداً رأيته، لأنه لا يبتدأ بعدها الأسماء. (٤٥٨/١).

١٧ ــ الأمر والنهي يختار فيهما النصب في الاسم المشتغل عنه، مثل:

ــ أما زيداً فاقتله.

ــ وأما عمراً فاشترِ له ثوباً.

ـ أما خالداً فلا تشتم أباه.

ـ وأما بكراً فلا تمرر به.

ـ زيداً ليضربه عمرو. (٦٩/١).

١٨ ـ الدعاء كالأمر والنهي يختار فيه النصب نحو:

اللهم زيداً فاغفر له ذنبه، زيداً فأصلح له شأنه، عمراً ليجزه الله خيراً، زيداً قطع الله يده. (٧١/١).

١٩ ـ حروف النفي كالاستفهام والأمر والنهي يختار معها النصب نحو:

ما زيداً ضربته، ولا زيداً قتلته، وما عمراً لقيت أباه، ولا عمراً مررت به ولا بشراً اشتريت له ثوباً. (٧٢/١).

الجملة الاعتراضية:

١ ـ يجوز أن تقول: عبد الله ـ أظنه ـ منطلق، تجعل هذه الهاء على ذاك، كأنك قلت: زيد منطلق أظن ذاك، لا تجعل الهاء لعبد الله. (الكتاب ٦٣/١)

٢ ـ تقول: أنا ـ والله ـ إن تأتني لا آتك؛ لأن هذا الكلام مبني على (أنا) فالقسم ها هنا لغو. (الكتاب ٤٤٤/١).

٣ ـ تقول: والله ـ إن أتيتني ـ آتيكَ، وهو معنى لا آتيك، فإن أردت أن الإتيان يكون فهو غير جائز. (الكتاب ٤٤٥/١).

٤ ـ إنّا ـ معشرَ العرب ـ نفعل كذا وكذا، كأنه قال: أعني، ولكنه فعل لا يُظهر، ولا يُستعمل. (الكتاب ٣٢٧/١).

٥ ـ نحن ـ العربَ ـ أقرى الناس للضيف.

إنا ـ معشرَ الصعاليك ـ لا قوة بنا على المروءة.

بك ـ اللهَ ـ نرجو الفضل، وسبحانك ـ اللهَ ـ العظيم. (الكتاب ٣٢٨/١).

٦ ـ قال الشاعر:

وكم قد فاتني بطلٍ كَمِيّ ويأسر فتيةٍ سمحٍ هضومِ

البيت شاهد للفصل بين كم وتمييزها المجرور بالجملة. (فهارس كتاب سيبويه: ٢٤، الكتاب ٢٩٥/١).

٧ ــ وذكر سيبويه في باب إذن القسم الملغَى، إذا جاء اعتراضاً بين إذن ومعمولها، كقولك: إذن ــ والله ــ أجيئَك، والقسم هنا بمنــزلته في أُرى ــ والله ــ زيداً فاعلاً.

٨ ــ قال سيبويه:

ولا تفصل بين شيء مما ينصب الفعل سوى إذن؛ لأن (إذن) أشبهت أُرى، فهي في الأفعال بمنــزلــة أُرى فــي الأسماء، وهــي تُلغى وتقدَّم وتؤخّر، فلمــا تصرَّفت هذا التصرف اجترؤوا على أن يفصلوا بينها وبين الفعل باليمين. (الكتاب /١٢ ــ ١٣ هارون).

٩ ــ تقول: زيداً حسبتُ أخاك، وإن شئت ألغيت، إذا قلت: زيد ــ حسبت ــ أخوك. (الكتاب ١٣/٣ هارون).

١٠ ــ لا تنصب (أُرى) إذا كانت معترضة بين الفعل والاسم في قولك: كان ــ أُرى ــ زيدٌ ذاهباً.

ولا تعمل (أُرى) في قولك: إني ــ أُرى ــ ذاهبٌ.

الجملة الواقعة جواباً للشرط:

١ ــ قال سيبويه: لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء، فأما الجواب بالفعل فنحو قولك: إن تأتني آتِك، وإن تضربْ أضربْ، ونحو ذلك.

وأما الجواب بالفاء فقولك: إن تأتني فأنا صاحبُك. (الكتاب ٤٣٥/١).

٢ ــ حروف الجزاء تجزم الأفعال، وينجزم الجواب بما قبله، زعم الخليل أنك إذا قلت: إن تأتني آتِكَ، فآتك انجزمت بــ(إن تأتني) كما تنجزم إذا كانت جواباً للأمر حين قلت: ائتني آتك. (الكتاب ٤٣٥/١).

٣ ــ وسألته عن قوله: إن تأتني أنا كريم، فقال: لا يكون هذا إلا أن يضطر شاعر. (٤٣٥/١)

٤ ــ قد تقول: إن أتيتني آتيك، ولا يحسن: إن تأتني آتيك. (٤٣٦/١).

٥ ــ جزم المضارع والشرط ماض. (٤٣٧/١).

٦ ــ إن تأتني فأكرمْكَ، لابدّ من رفع (أكرمك) (٤٣٧/١).

٧ ــ قد يجوز في الشعر: آتي من يأتني. (٤٣٨/١).

٨ ــ دخول همزة الاستفهام على أدوات الشرط (الجزاء) لا يغير عملها، تقول: أإن تأتني آتك؟، أ متى تَشْتُمْني أشتمك؟، أ من يقل ذاك أزره؟، دخلت الألف على كلامٍ قد عمل بعضه في بعض، فلم تغيره. (٤٤٣/١ ــ ٤٤٤).

٩ ــ مذهب يونس النحوي أن يقول: أ إن تأتني آتيك، وهذا قبيح. (٤٤٤/١).

١٠ ــ أحسن ذلك أن تقول: إن تأتني لا آتِكَ، كما أحسن الكلام أن تقول: إن أتيتني لم آتك. (٤٤٨/١).

١١ ــ إذا قلت: إن تفعلْ فأحسن الكلام أن يكون الجواب: أفعلْ؛ لأنّه نظيره من الفعل، وإذا قلت: إن فعلت فأحسن الكلام أن تقول: فعلتُ؛ لأنه مثله. (٤٤٨/١)

١٢ ــ أنّ زيداً ها هنا، يريدون: لكان كذا وكذا. (٣٧٦/١).

١٣ ــ اجتماع الشرط والقَسَم:

لا يحسن في الكلام: إن تأتني لأفعلنَّ، من قِبَل أنّ (لأفعلنَّ) تجيء مبتدأة، فلو قلت: إن أتيتني لأكرمنك، وإن لم تأتني لأكرمنَّك جاز؛ لأنه في معنى: لئن أتيتني لأكرمنك، ولا بد من هذه اللام مضمرة أو مظهرة لأنها لليمين. (٤٣٦/١)

١٤ ــ باب الجزاء إذا كان القسم في أوله:

تقول: واللهِ ــ إن أتيتني ــ لا أفعلُ، جملة (لا أفعل) جواب للقسم.

ولو قلت: والله إن تأتني آتك، لم يجز.

لو قلت: والله مَنْ يأتني آته، كان محالاً، واليمين لا تكون لغواً، كـ(لا) والألف.

تقول: أنا ــ والله ــ إن تأتني لا آتك، لأن هذا الكلام مبني على (أنا) فالقسم ها هنا لغو، فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلا أن يكون عليه. (٤٤٤/١).

١٥ ــ الجزم في جواب الطَّلب:

جملة جواب الطَّلب لا محل لها من الإعراب، والطلب يكون بالأمر والنهي والاستفهام والتمني والترجي والحضّ والعرض ونحو ذلك..

١٦ ــ في جازم الطلب قولان:

أ ــ يرى سيبويه أن الجازم هو إن الشرطية المقدَّرة.

ب ــ يرى الخليل أن الجازم هو الطلب نفسه، لما قام مقام الشرط.

قال سيبويه: ما انجزم بالتمني مثل قولك: ألا ماء أشربْه، وليته عندنا يحدثْنا، وإنما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب: إن تأتني بـ(إن تأتني)، وزعم الخليل أنّ هذه الأوائل كلها فيها معنى (إن) فلذلك انجزم الجواب. (٤٤٩/١).

١٧ ــ باب الحروف التي تنزل منزلة الأمر والنهي.. منها: حسبك، وكفيك وشرعك ، تقول: حسبك الحديث ينم الناسُ، ومثل ذلك: اتقى اللهَ امرؤ فعل خيراً يُثَبْ عليه، لأن فيه معنى: ليتق الله. (٤٥٢/١).

١٨ ــ وسألت الخليل عن قوله عز وجل ذكره: (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها) [الزمر: ٧٣] أين جوابها؟، وعن قوله جل وعلا: (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب) [البقرة: ١٦٥] و(ولو ترى إذ وقفوا على النار) [الأنعام: ٢٧] فقال: إنّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجوابَ في كلامهم. (٤٣٥/١)

١٩ ــ وسألته عن قوله: إن تأتني أنا كريم، فقال: لا يكون هذا إلا أن يضطر شاعر. (٤٣٥/١).

٢٠ ــ قولهم: إمّا لا، زعم الخليل أنهم أرادوا، إن كنتَ لا تفعل غيره فافعل كذا وكذا، ولكنهم حذفوا لكثرته في الكلام. (٢٧٩/١).

ملامح إعراب الجمل عند المبرّد

في كتاب المقتضب

الجمل التي لها محل من الإعراب:

الجملة الواقعة خبراً:

١ ــ اقتران خبر المبتدأ بالفاء، وشروطه (١٩٥/٣).

٢ ــ الخبر إذا كان جملة فلابدَّ لها من رابط يعود إلى المبتدأ (٢٩٥/٢).

٣ ــ قولهم: (أقلُّ رجلٍ يقولُ ذلك) أقلّ: مبتدأ لا خبر له؛ لأنه شابه حرف النفي، ولا يجوز أن تكون جملة (يقول ذلك) خبراً، لأنها جــرت على المضاف إليه في تثنيته وجمعه وتأنيثه، وقيل: مبتدأ حذف خبره وجوباً، أي: (موجود)، وضعّف بأنه لا معنى لهذا المقدر هنا. (٤٠٥/٤، الحاشية ١).

الجملة خبر كان:

ضمير الشأن في (كان) (٩٩/٤ ــ ١٠٠، ١٤٤/٢).

الجملة خبر كاد:

١ ــ ضمير الشأن في كاد (١١٠/٤).

٢ ــ جعل يقول وأخذ يقول وكَرَبَ يقول: خبرها جملة فعلية، لا يقتــرن بـ)أن) إلا في الشعر. (٦٨/٣).

الجملة خبر إنَّ:

١ ــ ضمير الشأن في خبر إنَّ (١٤٤/٢).

٢ ــ لا يجوز تخفيف أنَّ إلاّ أن تأتي بعوض، والعوض (لا) (٣١/٢، ٥/٣ ــ ٦) أو الســين أو نحو ذلك، وجملة الدعاء أو الجملة الاسمية لا تحتاج إلى عوض (٩/٣).

الجملة خبر لعلَّ:

إذا كان خبر لعلَّ فعلاً فهو بغير (أن) أحسن (٧٤/٣).

الجملة خبر لا النافية للجنس:

خبر (لا) النافية للجنس جاء جملة فعلية في قول حسان:

حارِ بنَ عمروٍ ألا أحلامَ تزجركم عنّا وأنتم من الجوف الجماخير

(٢٣٣/٤).

الجملة الواقعة حالاً:

١ ــ الوجه في: عهدي به شاباً وإنَّه يومئذٍ يفخر: الكسرُ؛ لأنَّ الجملة حالية، ويجوز الفتح على بُعدٍ، على العطف على الضمير المجرور (٣٥١/٢).

٢ ــ لو قلت: كلّمتُه فوه إلى فيَّ، لجاز (٢٣٦/٣).

٣ ــ الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال. (١٢٣/٤ ــ ١٢٥).

٤ ــ مررتُ بزيدٍ يبني داره، الجملة حال.

٥ ــ يقبح وقوع الماضي في جملة الحال من غير (قد) (١٢٠/٤، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤).

٦ ــ الكوفيون لا يستقبحون هذا، وأيدهم أبو حيان بأنه جاء بآيات كثيرة من القرآن، فيها الماضي وقع حالاً من غير (قد)، ولا يحتاج إلى تقديرها (١٢٤/٤).

٧ ــ إن وجد الضمير في جملة الحال جاز ألا تأتي بالواو رابطةً، وإن جئت فجيد، وإن لم يوجد ضمير فلابد من الواو (١٢٥/٤).

٨ ــ واو الحال يسميها النحويون واو الابتداء، ومعناها معنى (إذ) (٦٦/٢، ٢٦٣/٣، ١٢٥/٤).

٩ ــ واو الحال لا تدخل على المضارع المثبت المجرد من (قد)، فإن جاء كان على تقدير مبتدأ (٦٥/٢ ــ ٦٦).

١٠ ــ الخليل يجيز: لأضربنه أذَهبَ أم مكَثَ (٣٠٠/٣).

١١ ــ كل موضع قُدّر فيه الجملتان أي المعطوفة إحداهما على الأخرى بالحال فأو، نحو: لأضرِبنه قام أو قعد، إذ المعنى: قائماً كان أو قاعداً، وإن قدر الكلام بالتسوية من غير استفهام ف)أم)، نحو: ما أبالي أقمت أم قعدت (٣٠٢/٣).

الجملة الواقعة مفعولاً به:

١ ــ لا يجوز أن تقوم الجملة مقام المفعول الأول، وإنما تقوم مقامَ المفعول الثاني؛ لأنه خبر في الأصل، والخبر يكون مفرداً وجملة (٦٢/٤).

٢ ــ تُحكى الجمل بعد القول (٣١٠/٢، ٧٨/٤).

٣ ــ لام الابتداء تقطع ما دخلت عليه مما قبلها، وكان حدُّها أن تكون أول الكلام، إذا قلت: علمت لَزيدٌ منطلق، قطعت بها ما بعدها مما قبلها فيصير ابتداءً مستأنفاً (٣٣٤/٢).

٤ ــ لام القسم تفصل ما بعدها مما قبلها، كقوله تعالى: (ولقد عَلِموا لَمَنِ اشتراه). [البقرة: ١٠٢] (٢٩٧/٣).

٥ ــ ليت شعري أقام زيد أم قعد، وقد علمت أزيد في الدار أم عمرو (٥٣/٢).

٦ ــ همزة التسوية بعد: سواء، وما أبالي، وليت شعري (٢٩٧/٣، ٢٨٧ــ٢٩٨).

الجملة الواقعة مضافاً إليه:

١ ــ أسماء الزمان لا يُضَاف شيٌ منها إلّا إلى مصدر أو جملة تكون في معناه (١٧٦/٣).

٢ ــ الجملة بعد حيث:

(حيث) اسم مكان مبهم يفسّره ما يُضَاف إليه، ف)حيث) في المكان ك)حين) في الزمان، فلما ضارعتها أضيفت إلى الجمل، وهي الابتداء والخبر والفعل

والفاعل (٥٤/٢، ٣٤٦/٤، ١٧٥/٣ ــ ١٧٦).

٣ ــ إذا وُصلت حيث بـ (ما) كفَّتها عن الإضافة، وصارت جزاءً (٥٤/٢).

٤ ــ باب إضافة الأزمنة إلى الجمل (٣٤٧/٤).

٥ ــ (إذ) تضاف إلى الجمل الاسمية والفعلية (١٧٧/٣).

٦ ــ (إذا) لا تضاف إلا إلى الجمل الفعلية (١٧٧/٣).

٧ ــ ما كان بمعنى (إذ) يضاف إلى الجمل الاسمية والفعلية (٣٤٧/٤).

٨ ــ ما كان بمعنى (إذا) لا يضاف إلا إلى الجمل الفعلية (١٧٧/٣).

٩ ــ (إذ) تنبئ عن زمان ماضٍ، وأسماء الأزمان تضاف إلى الأفعال، ومتى أضيفت إليها كانت معها كالشيء الواحد. (٥٤/٢).

الجمل المعطوفة على ما قبلها:

١ ــ كلُّ جملةٍ بعدها جملة فعطفها عليها جائز، وإن لم تكن منها، نحو: جاءني زيد، وانطلق عبد الله، وأخوك قائم، وإن تأتني آتك (٢٧٩/٣).

٢ ــ تقول: من أتاني وتبسَّطَ إليَّ أكرمْه، والأحسن: من أتاني وأكرمني أتيته، كما أن الأحسن: من يأتني ويكرمني آته (٦٠/٢).

٣ ــ العطف على فعل الشرط بالجزم والنصب يكون بالواو والفاء (٦٧/٢، ٢٢، ٢٣).

٤ ــ العطف على فعل الشرط بـ (ثم) لا يجوز فيه إلا الجزمُ (٦٦/٢).

٥ ــ العطف على جواب الشرط بالفاء والواو يجوز فيه الجزم والنصب والرفع (٢٢/٢، ٦٦ ــ ٦٧).

٦ ــ جواز العطف بالرفع على الجواب، ولم يجز ذلك في الشرط (٦٧/٢).

٧ ــ لا يجوز حذف أحد جزئي الجملة بعد (أم) المنقطعة، وأجازه الرضي (٢٨٩/٣).

٨ ــ المغاربة يقولون: (أم) المنقطعة ليست بعاطفة لا في المفرد ولا في الجملة (٢٩٠/٣).

الجمل التي لا محل لها من الإعراب:

الجملة الاستئنافية:

١ ــ أريدُ (أنْ) تأتيَني ثم تحسنُ إليَّ (٣٥/٢).

٢ ــ (حتى) الابتدائية تقع بعدها الجملة، وتفيد معناها الذي هو الغاية في التحقير، أو في التعظيم. (٤١/٢).

٣ ــ ما أنت صاحبي فأكرمُكَ، رفع على القطع.

٤ ــ يستدرك بعد (لكنْ) المخففة إذا وقع بعدها جملة، بعد الإيجاب.. (١٠٧/٤ ــ ١٠٨).

٥ ــ الاستئناف بعد (الواو) (لنبيِّنَ لكم ونقرُّ في الأرحام) [الحج: ٥] (٣٥/٢).

الجملة المفسِّرة:

١ ــ الجملة المفسرة، هل لها محل من الإعراب؟ (المقتضب ٧٦/٢).

٢ ــ أنْ: الــمُفسِّرَة، الحديث عنها في (٤٩/١، ٣٦١/٢ ــ ٣٦٢).

٣ ــ ضمير الشأن لا يعود عليه ضمير من الجملة المفسرة له (١٠٠/٤).

٤ ــ في باب الاشتغال: اعلم أنَّ المفعول إذا وقع في هذا الموضع وقد شُغِل الفعل عنه انتصب بالفعل المضمر؛ لأن الذي بعده تفسير له وذلك قولك:

إنْ زيداً تَرَهُ يكرمْك، ومتى زيداً يأته يعطه؛ لأنها لا تقع إلا على فعل. (٧٦/٢).

٥ ــ قوله تعالى: (وإنْ أحد من المشركين استجارك) [التوبة: ٦] (أحدٌ): مرفوع بفعل محذوف، ولو رفع على غير الفعل لكان خطأ؛ لأن هذه الحروف لا تقع إلا على الأفعال (٧٧/٢).

٦ ــ (لو) لا تقع إلا على فعل، فإن قدَّمت الاسم قبل الفعل كان على فعل مضمر (٧٦/٣).

الجملة الاعتراضية:

١ ــ يجوز الفصل بين الصلة والموصول بالنداء (٢/٢٩٦).

٢ ــ قياماً ــ عَلِمَ اللهُ ــ وقد قعدَ الناس (٣/٢٢٩، ٢٦٤).

٣ ــ الفصل بين (ها) التنبيه و(ذا) بالقسم (٢/٣٢٣).

٤ ــ إذا قدمت (إذن) كان الكلام معتمداً عليها، نحو: إذن ــ واللهِ ــ أزورك (٢/١١).

الجملة الواقعة جواباً للقسم:

١ ــ من أساليب القسم قولهم: عَلِمَ اللهُ.. (٢/١٣٢، ٣٢٥).

٢ ــ شهد الله لأفعلن، بمنزلة: علم الله (٢/٣٢٥).

٣ ــ الأسماء التي تفيد معنى القسم: لعمرك لأفعلن، عليَّ عهد الله لأفعلَن، عليَّ يمين الله لأفعلن، أيمن الله لأفعلن (٢/٣٢٨).

٤ ــ جواب القسم في قوله: (والسماءِ ذاتِ البروج) [البروج: ١].

٥ ــ جواب القسم في قوله: (والشمس وضحاها) [الشمس: ١] (٢/٣٣٧).

٦ ــ ما يُصَدَّر به جواب القسم:

اللام: فهي وُصلة للقسم؛ لأن للقسم أدواتٍ تصله بالمقسم به، ولا يتصل إلا ببعضها.

إنَّ: تقول: والله إنَّ زيداً لمنطلق. (٢/٣٣٤).

لا: النافية: تقول: واللهِ لا أضربُك.

ما: النافية: والله ما أضربك، ولا تحتاج معها إلى النون؛ لأنها تدل على الحال.

٧ ــ إذا أقسمت على فعل ماضٍ، فأدخلت عليه اللام لم تجمع بين اللام والنون، نحو: والله لرأيت زيداً يضرب عمراً، وإن وصلت اللام بـ (قد) فجيد بالغ (٢/٣٣٥).

٨ ــ القسم إذا أُجيبَ بماضٍ متصرفٍ مثبت فإن كان قريباً من الحال جيء باللام و(قد) جميعاً، نحو: (تالله لقد آثرك الله علينا) [يوسف: ٩١] وإن كان بعيداً جيء باللام وحدها، وقال الجميع: حقُّ الماضي المثبت المجاب به القسم أن يقترن باللام وقد. (٣٣٦/٢).

٩ ــ لا تقع (لن) في جواب القسم، كما لم يقع في جوابه السين (٦/٢).

جملة الصلة:

١ ــ مَنْ الموصولة في الخبر لا تتم إلا بصلة (١٧٢/٣).

٢ ــ الصلة موضّحة للاسم، فلذلك كانت في هذه الأسماء المبهمة: (الذي، التي..) ألا ترى أنك لو قلت: جاء الذي، أو مررت بالذي، لم يدلُّكَ ذلك على شيء حتى تقول: مررت بالذي قام، فإذا قلت ذلك وضعتَ اليدَ عليه (١٩٧/٣).

٣ ــ محلُّ الصلة من الموصول كمحل الجزء من الكلمة، والحرف من اللفظة (١٣/١).

٤ ــ جملة الصلة اسمية وفعلية، ومنها الجملة الشرطية، وتوصل بالظرف (١٩/١، ١٣٠/٣).

٥ ــ توصل الأسماء الموصولة بالجملة المصدرة بـ كأنَّ وليت (١٩٤/٣ ــ ١٩٥).

٦ ــ جاءت جملة الصلة (كأنَّ) في قول ذي الرمة:

ألا أيُّهذا المنــزلُ الدارس الذي كأنَّك لم يعهد بك الحيَّ عاهد

(٢١٩/٤).

٧ ــ لابدَّ من اشتمال جملة الصلة على عائد يرجع إلى الموصول (١٩/١، ١٣، ١٣٠/٣).

٨ ــ لا يعود على الحروف الموصولة المصدرية شيء من صلتها، وإنما ذلك في الأسماء الموصولة (١٩٩/٣).

٩ ــ إذا كان الموصول أو موصوفه خبراً عن متكلِّم جاز أن يكون العائد عليه غائباً، وهو الأكثر، نحو: (أنا الذي قام)، وجاز أن يكون متكلماً، حملاً على المعنى، وكذا إن كان الموصول أو موصوفه خبراً عن مخاطب نحو: أنت الرجل الذي قال كذا، أو قلت كذا (١٣١/٤ ــ ١٣٢).

١٠ ــ تحذف جملة الصلة إذا دلّ عليها دليل (٢٨٩/١).

١١ ــ صلة (ما) المصدرية لا تكون إلا فعلية عند سيبويه، وجوَّز غيره أن تكون اسمية (٣٥٥/٢).

١٢ ــ الكثير في (ما) المصدرية الزمانية وصلها بالماضي أو المضارع المنفي، وجاء وصلها قليلاً بالمضارع المثبت في قول الحطيئة: أطوف ما أطوف (٢٣٩/٤).

الجملة الواقعة نَعْتاً:

١ ــ فعل الأمر لا يُضارع المتمكن؛ لأنه لا يقع موقع المضارع، ولا يُنْعَتُ به، فلذلك بني على السكون (المقتضب ٣/٢ و ٨١/٤ ــ ٨٢).

٢ ــ بني الفعل الماضي على الفتح لمضارعته الأفعال المعربة؛ لأنه يُنعت به كما ينعت بها، ويقع موقع المضارع في الجزاء (المقتضب ٢/٢ و٨٠/٤ ــ ٨٢).

٣ ــ الفعل نكرة، ولذلك وقع صفةً للنكرة (١٢١/٤، ١٢٣، ١٢٥، ١٥٧).

أسلوب الشَّرط:

١ ــ معنى الشرط: وقوع الشيء لوقوع غيره (٤٦/٢).

٢ ــ الشرط مجزوم بالأداة، والجواب مجزوم بالأداة وفعل الشرط (٤٩/٢).

٣ ــ (إنْ) أصل أدوات الشرط؛ لأنه يُجَازَى بها في كل ضرب (٤٦/٢، ٥٠).

٤ ــ الأصل في الجزاء الفعل، والفاءُ داخلةٌ عليه؛ لأنّها تؤدي معناه؛ لأنها لا تقع إلاّ ومعنى الجزاء فيها موجود، يقول الرجل: قد أعطيتك درهماً، فتقول: فقد أعطيتك ديناراً، أي: من أجل ذلك، ويقول: لم أُغَث أمسِ، فتقول: فقد أتاك الغوث اليوم (٢/٤٩، ٥٩).

٥ ــ أصل الجزاء أن تكون أفعاله مضارعة، لأنه يعربها (٢/٤٩).

الأفعال الماضية في الجزاء على معنى المستقبلية، فتكون مواضعها مجزومة، مثل كل مبني يعرب محلاً (٢/٥٠، ٥٩).

٦ ــ أعدل الكلام: من أتاني أتيته؛ كما أن وجه الكلام: من يأتني آته (٢/٦٠).

٧ ــ حذف فعل الشرط لا يكون إلا بعد (إن) وحدها (٣/٣٥).

٨ ــ يجوز في الكلام: آتيك إن أتيتني، وأنت ظالم إن فعلت (٢/٦٨).

٩ ــ لو قلت: أنت ظالم إن فعلت، لسدَّ ما تقدَّم مسدَّ الجواب، ولو ألحقت الفاء فقلت: أنت ظالم فإن فعلت، لزمك أن تذكر للشرط جواباً، ولا يجزئ ما تقدَّم (٣/٢٩).

١٠ ــ (انتهوا خيراً لكم) [النساء: ١٧١] التقدير: ايتوا، وقال قوم: يكن خيراً لكم، وهذا خطأ؛ لأنه يضمر الجواب ولا دليل عليه (٣/٢٨٣).

١١ ــ إن قام زيد أقومُ: على تقدير الفاء عند المبرد، وقال سيبويه هو على التقديم (٢/٦٩، ٧٢).

١٢ ــ إن أتيتني لأقومن، وإن لم تأتني لأغضَبنَّ، عند سيبويه على تقدير لام التوطئة، وعند المبرد على تقدير الفاء (٢/٦٨ ــ ٦٩).

١٣ ــ هل يدخل شرط على شرط من غير فاصل بينهما؟ (٢/٣٠٠).

١٤ ــ (إذا) تحتاج إلى الابتداء والجواب (٢/٥٥).

١٥ ــ جواب: (إذا السماء انشقت) (الانشقاق: ١) (٢/٧٩ ــ ٨٠).

(إذا الشمس كورت) (التكوير: ١) (٢/٧٩).

(إذا السماء انفطرت) (الانفطار: ١) (٢/٧٩).

١٦ ــ الاسم المرفوع بعد (إذا) الشرطية الذي بعده فعل مبتدأ عند سيبويه (٧٧/٢ ــ ٧٨).

١٧ ــ الفرق بين إذا وإنْ (٥٦/٢).

١٨ ــ (إذا) التي تقع للمفاجأة هي التي تسد مسدّ الخبر، والاسم بعدها مبتدأ (١٧٨/٣).

١٩ ــ إذن الواقعة في أول الكلام والناصبة للمضارع لم تقع في القرآن الكريم، وما جاء منها كان بعد الواو والفاء، وقرئ بنصب المضارع في الشواذ (١٢/٢).

٢٠ ــ إذا اجتمع شرطان كان الجواب للسابق منها، وجواب الثاني محذوف، ولذلك كان فعل الشرط ماضي اللفظ أو مصحوباً بـ لم، وأغنى عنه جواب أما، هذا مذهب سيبويه، وذهب أبو علي إلى أن الفاء جواب إن وجواب (أما) محذوف، وذهب الأخفش إلى أن الفاء جواب لـ أما والشرط معاً. (٧٠/٢ الحاشية ٢).

جَوابُ الطَّلَب:

١ ــ ما الذي جزم جواب الطلب؟ (٨٢/٢، ١٣٥).

٢ ــ باب الأمر والنهي (١٣١/٢).

٣ ــ باب الأفعال التي تنجزم لدخول معنى الجزاء فيها (٨٢/٢).

٤ ــ مُرْهُ يحفرْها، توجيه رفع المضارع وجزمه (٨٤/٢).

٥ ــ (قل لعباديَ الذين آمنوا يقيموا الصلاة) [إبراهيم: ٣١] (٨٤/٢).

٦ ــ لو قلت: لا تعصِ الله يدخلك النّار، كان محالاً؛ لأن معناه: أطع الله، وقولك: أطع الله يدخلك النار محال، ومثله: لا تدن من الأسد يأكُلْك (٨٣/٢، ١٣٥).

البحث السابع

ارتباط حروف

المعاني بالجمل

- تمهيد: أهمية معاني الأدوات والحروف.

- كتب مفردة.

١ - المصادر العامة.

٢ - كتب خاصّة للحديث عن أداة منَ الأدوات.

٣ - دراسات خاصة.

٤ - تقسيم الأدوات حسب وظيفتها وغرضها.

٥ - كتب خاصّة لبيان الفرق بين حرفين.

- أمثلة من تقسيم النحويين لمعاني الأدوات.

- تقسيم ابن الحاجب للحروف.
- تقسيم أبي حيّان الأندلسي للحروف.
- تقسيم سعيد الأفغاني.

- اختصاص الحروف.

- ارتباط الحروف بالجمل.

- مَسْرَد الأدوات وارتباطها بالجمل.

تمهيد: أهمية معاني الأدوات والحروف:

الحديث عن معاني الأدوات والحروف له قيمة تعبيرية كبرى، إذ ارتبطت هذه الأهمية بفهم القرآن ونصوصه، وترعرع علمها في رحاب التفسير، فبهذه الأدوات يُفهَمُ كثير من الأساليب البلاغية، ويُدرَكُ ما في اللغة من روعة وبيان، وما تؤدّيه من أسرارٍ ولطائفَ رفيعةٍ فاقت الأسرارَ البلاغية التي تؤدّيها في كلام العرب، وهذا سرّ الإعجاز.

ولأهمية حروف المعاني فقد خُصِّصَ لها دراساتٌ واسعةٌ في علوم العربية والقرآن وعلم الحديث النبوي الشريف. ورصَد العلماءُ عدَدها وبيَّنوا أصولها وتقسيمها وعملها وأسرارها في كلام العرب.

فقد توسَّعَ بعض النحويين في التأليف على الحروف، واستخدم بعضُهم لفظَ الأدوات؛ ليدلَّ بها على الحروف وما شابهها من الأسماء والأفعال والظروف؛ ككتاب (معاني الأدوات والحروف) لابن قيِّم الجوزيّة (٧٥١هـ). وكان عصر المالقي (٧٠٢هـ) والمرادي (٧٤٩هـ) وابن هشام (٧٦١هـ) وصلاح الدين الأربلي (٦٣١هـ) هو العصر الذي اتسعَ للتأليف في الحروف والأدوات على النحو المنظّم الشامل الذي عرفناه في (رصف المباني في شرح حروف المعاني) للمالقي، و(الجنى الداني في حروف المعاني) للمرادي، و (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لابن هشام، و(جواهر الأدب في معرفة كلام العرب) للأربلي.

كتب مفردة:

وإلى جانب الكتب المطولة كتب أفردها أصحابها للحديث عن حرفٍ واحد، يبيّنون وظيفتَه ومعانيه في أعماق التراكيب العربية، وهم بذلك يهدفون تقريبَ النحو إلى أفهام الناس عامةً وأفهام المبتدئين خاصةً. كما هو الأمر في كتاب (الهمز) لقطرب (٢٠١هـ)، ولأبي زيد الأنصاري (٢١٥هـ)، وكتاب (الألف واللام) للمازني (٢٤٩هـ). وسمّيتْ هذه الطريقةُ الطريقةَ الجزئية.

وتوزَّع الحديث عن معاني الحروف في المصادر الآتية:

١ ــ المصادر العامة:

المعاجم: لسان العرب، تاج العروس، الصحاح، تهذيب اللغة، وغيرها.

كتب التفسير: جامع البيان، معاني القرآن للقراء، الجامع لأحكام القرآن وزاد المسير، البحر المحيط، الكشّاف...

كتب أصول الفقه.

كتب البلاغة: دلائل الإعجاز، الإيضاح، مفتاح العلوم، المطوّل...

كتب الصرف: المنصف، الممتع، التصريف الملوكي، الشّافية...

كتب الإملاء.

كتب التجويد والقراءات.

كتب إعراب القرآن الكريم: مشكل إعراب القرآن لمكي، التبيان للعكبري، البحر المحيط...

كتب إعراب الحديث النبوي الشريف: شواهد التوضيح لابن مالك، إعراب الحديث للعكبري، عقود الزبرجد للسيوطي.

كتاب المفردات للراغب الأصبهاني، وكتاب الكليّات لأبي البقاء الكفوي.

كتب النحو العامة: كتاب سيبويه، المقتضب، الأصول، الإيضاح، اللمع...

كتب فقه اللغة: الخصائص، الصاحبي، معجم مقاييس اللغة.

الكتب التي عُنيت بشرح الشعر العربي: شرح المفضليات، الأصمعيات، شروح المعلقات، شرح ديوان الحماسة.

كتب المعارف العامة: كبدائع الفوائد، والروض الأُنُف والكليّات وألف باء البلوي.

٢ ــ كتب خاصَّة للحديث عن أداة من الأدوات:

استحقت بعض الأدوات كتباً مفردة؛ وذلك لأهميتها وكثرة استعمالها وتوقف معنى الكلام عليها. فتصدّى جمهرة من النحويين لدراسة حرف من هذه الحروف وبسط القول فيه وفي أصله وبيان شواهده... ومن هذه المصنفات:

١ ــ معنى (لو): للمرادي، ولابن تيمية.

٢ ــ كتاب: الباء.

٣ ــ كتاب: الهاءات.

٤ ــ كتاب الألفات: للأنباري... ولابن خالويه.

٥ ــ كتاب اللامات: للأنباري.

٦ ــ كتاب اللامات: للزجّاجي.

٧ ــ كلاّ وبلى: للمرادي، ولابن فارس، وللطبري.

٨ ــ شرح كلاَّ وبلى ونعم: لمكي بن أبي طالب.

٩ ــ الفصول المفيدة في الواو المزيدة: صلاح الدين العلائي ٧٦١هـ.

١٠ ــ المباحث المرضيّة المتعلقة بـ(مَنْ) الشرطية: لابن هشام.

١١ ــ ظاهرة التنوين في اللغة العربية: د. عوض المرسي.

١٢ ــ فوح الشذا بمسألة كذا: لابن هشام.

١٣ ــ الكلام على إنما: لابن هشام.

١٤ ــ الياءات المشدَّدَات في القرآن وكلام العرب: مكي بن أبي طالب.

١٥ ــ الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم: شرف الدين علي الراجحي.

١٦ ــ حذف تاء (تتفعل) في القرآن الكريم: د. أحمد عبد الحميد هريدي.

١٧ ــ إضمار الحرف ذاتاً ومسائل: د. أحمد ابراهيم أحمد.

٣ ــ دراسات خاصة:

قامت دراسات منهجيّة خاصة حول دراســة الحروف في مناحي عديدة من العلوم؛ كعلم الفقه والصرف والبلاغة، من هذه الكتب:

حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي.

حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه: د. محمود سعد.

الحروف العاملة في القرآن بين النحويين والبلاغيين: د. هادي عطية مطر.

معجم الأدوات النحوية: د. التونجي.

الحروف ومعانيها: سعد الهواري.

الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم: د. محمد علي سلطاني.

نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها في القرآن بلاغياً: د.هادي الهلالي.

الأدوات النحوية في كتب التفسير: د. محمود الصغير.

دراسات لأسلوب القرآن الكريم: د. محمد عبد الخالق عضيمة.

٤ ــ تقسيم الأدوات حسب وظيفتها وغرضها:

تختص لغتنا العربية بأساليب متعدّدة، لكلّ منها طريقتُه وأغراضُه، وقد تؤدّى هذه الأساليب بحروف المعاني كثيراً؛ كأسلوب الاستفهام والشرط وأسلوب التعجب والقسم، ونحوها.

وتيسيراً لنفع الدارسين فقد انتهج بعض العلماء التأليف وفق الغرض الذي يحققه حرف المعنى، ومن هذه المصنفات:

الاستغناء في الاستثناء: شهاب الدين القرافي ٦٨٤هـ.

أسرار النداء في القرآن: د. إبراهيم حسن إبراهيم.

أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم: عبد الكريم محمود يوسف.

النواسخ في كلام العرب: أصولها ووظائفها وتفسير أثرها الإعرابي: أحمد سليمان ياقوت.

أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين: د. فتحي بيومي عودة.

أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم: علي أبو القاسم عون.

٥ ــ كتب خاصة لبيان الفرق بين حرفين:

عُني علماء التجويد ببيان الفرق بين صوت الضَّادّ وصوت الظاء، وهبّوا منذ فترة مبكرة يحذّرون المتحدثين بالعربية من الخلط بين الضاد و بين الظاء وهو قريب الشبه به في النطق القديم... وقد جمعوا قدراً كبيراً من الكلمات التي تكتب بالضاد، ونبهوا إلى الفرق بينها وبين كلمات أخرى تكتب بالظاء، وبيّنوا الفوارق بينهما والخلاف في المعاني بينهما. مما يهمّ دارسي القرآن الكريم والمشتغلين بالعربية، من هذه الكتب:

الفرق بين الضاد والظاء: الصاحب بن عبّاد.

زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء: ابن الأنباري ٣٢٨هـ.

الفرق بين الظاء والضاد: أبو القاسم الزنجاري ٤٧١هـ.

ظاءات القرآن الكريم: أبو العباس بن عمار ٤٤٠هـ.

أمثلة من تقسيم النحويين لمعاني الأدوات:

أولاً: تقسيم ابن الحاجب للحروف من كتابه (الكافية في النحو).

قَسَّمَ ابن الحاجب الحروف وفق معانيها وأغراضها، على الشكل الآتي:

١ ــ حروف الجرّ. ٢ ــ الحروف المشبهة بالفعل: إنَّ وأخواتها. ٣ ــ حروف العطف. ٤ ــ حروف النداء. ٥ ــ حروف الإيجاب. ٦ ــ حروف الزيادة. ٧ ــ حرف التفسير. ٨ ــ حرف المصدر. ٩ ــ حرف التحضيض. ١٠ ــ حرف التوقُّع. ١١ ــ حرف الاستفهام. ١٢ ــ حرف الشرط. ١٣ ــ حرف الردع. ١٤ ــ تاء التأنيث الساكنة. ١٥ ــ التنوين. ١٦ ــ نون التوكيد.

ثانياً: تقسيم أبي حيّان الأندلسي للحروف من كتابه: (النُّكَت الحِسان في شرح غاية الإحسان).

توسَّعَ أبو حيان في تقسيم الحروف فقاربت خمسين قسماً، هي:

١ ــ الأحرف الناصبة. ٢ ــ الأحرف الجازمة. ٣ ــ الحروف الناصبة الرافعة. ٤ ــ الحروف الجارة الرافعة: لعل. ٥ ــ حروف العطف. ٦ ــ أحرف التحضيض. ٧ ــ أحرف التنبيه. ٨ ــ حرف الرّدع. ٩ ــ حروف التنفيس. ١٠ ــ حروف الجواب. ١١ ــ حروف الاستفهام. ١٢ ــ حرفا التوقع. ١٣ ــ حروف الإنكار. ١٤ ــ حروف التذكار. ١٥ ــ حرف التعريف. ١٦ ــ حرف الاستثناء. ١٧ ــ حرف الفصل. ١٨ ــ حروف التفسير. ١٩ ــ حروف التفصيل. ٢٠ ــ حرفان بمعنى (مع). ٢١ ــ حروف النفي. ٢٢ ــ حرف النهي. ٢٣ ــ حروف الشرط. ٢٤ ــ الحروف الزائدة. ٢٥ ــ حرف التأنيث. ٢٦ ــ حروف التأكيد. ٢٧ ــ حرف الخطاب. ٢٨ ــ حرف التعجب. ٢٩ ــ حرف التشبيه. ٣٠ ــ حرفا التمني والترجي. ٣١ ــ حرف الاستدراك. ٣٢ ــ حرفا الغاية. ٣٣ ــ حرف التقليل. ٣٤ ــ حروف الابتداء. ٣٥ ــ حرف عِوَض. ٣٦ ــ حرف التحقيق. ٣٧ ــ حرف الإضراب. ٣٨ ــ حرف الدعاء. ٣٩ ــ حرف الكف والتهيئة.

٤٠ ــ حـرف التسـوية. ٤١ ــ حـرف التعدية. ٤٢ ــ حـرف التعليل. ٤٣ ــ الحـروف المصدرية. ٤٤ ــ حـرف التقرير. ٤٥ ــ حرف التوبيخ. ٤٦ ــ حرف العرض. ٤٧ ــ حرف الوجوب للوجوب: لما. ٤٨ ــ حرف الامتناع للامتناع: لو. ٤٩ ــ حرف الامتناع للوجود: لولا.

ثالثاً: في (الموجز في قواعد اللغة العربية) للأستاذ سعيد الأفغاني عرض مشرق متكامل للحديث عن حروف المعاني، وهو على وجازته واف بالحاجة صحيح الأمثلة والشـواهد. رأيت أن أنقله؛ ليكون صورة من صور التأليف تساعد في التدريس الميسّر في هذا العصر.

الحروف كلها مبنية وهي قليلة بحيث لايتجاوز عددها ثمانين، ويقال لها حروف المعاني، كما أن حروف الهجاء يقال لها حروف المباني.

حروف المعاني على خمسة أقسام: أحادية، وثنائية، وثلاثية، ورباعية، وخماسية.

(أما الأُحادية) فثلاثة عشر وهي: الهمزة والألف والباء والتاء والسين والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء.

(فالهمزة): للاسـتفهام، وللنداء نحو: (أقريب أم بعيدٌ ما توعدون) [الأنبياء: ١٠٩]، (سواء عليهم أأنذرْتهم أم لم تنذرْهم لايؤمنون) [البقرة: ٦]، أجارتنا إنا مقيمان ها هنا.

و(الألف): للاستغاثة، وللتعجب، وللندبة، وللفصل بين النونين، وللدلالة على التثنية نحو: (يا يزيدا لآملٍ نَيلَ برّ)، يا ماءا ويا عشبا واحسنا، اضربْنان يا نساءُ. (وقد أسلماه مُعْبَدٌ وحميم).

و(الباء): للإلصاق، وللسببية، وللقسم، وللاستعانة نحو: أمسكت بأخي، ونحو: (فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم) [المائدة: ١٣]، (أقسم بالله)، كتبت بالقلم. وتجيء زائدة نحو: (أليس الله بكاف عبده) [الزمر: ٣٦].

و(التاء): للتأنيث، وللقسم نحو: (قالت امرأة العزيز) [يوسف: ٥١]، (تالله لقد آثرك الله علينا) [يوسف: ٩١].

و(السين): للاستقبال نحو: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً.

و(الفاء): للترتيب مع التعقيب، ولربط الجواب نحو: دخل عند الخليفة العلماء فالأمراء. ونحو: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) [آل عمران: ٣١]، وتجيء زائدة لتحسين اللفظ، نحو: خذ سبعة فقط.

و(الكاف): للتشبيه، وللخطاب نحو: العلم كالنور، ونحو: (إنَّ في ذلك لعبرةً) [النازعات: ٢٦] وتجيء زائدة نحو: (ليس كمثله شيء) [الشورى: ١١].

و(اللام): للأمر، وللابتداء، وللقسم، وللاختصاص نحو: (لينفق ذو سعة من سعته) [الطلاق: ٧]، (لَيُوسُفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منّا) [يوسف: ٨]، (لئن أخرِجوا لايخرجون معهم) [الحشر: ١٢] الجنة للطائعين.

و(الميم): للدلالة على جمع الذكور نحو (بما كنتم تستكبرون في الأرض) [الأحقاف: ٢٠].

و(النون): للوقاية من الكسر، وللتوكيد نحو (وأوصاني بالصلاة) [مريم: ٣١]، (لنسفَعَنْ بالناصية) [العلق: ١٥].

و(الهاء): للسكت في الوقف نحو: لِمَهْ وقِهْ، وللغيبة نحو: إياه وإياهم، فإن الضمير هو (إيا) فقط، وما بعده لواحق تدل على الغيبة كما هنا، أو على الخطاب كما في إياك وإياكم، أو على التكلم كما في إياي وإيانا.

و(الواو): لمطلق الجمع، والاستئناف، وللحال، وللمعية، وللقسم، نحو: يسود الرجل بالعلم والأدب، (لنبيّن لكم ونقرُّ في الأرحام ما نشاء) [الحج: ٥] (خرجوا من ديارهم وهُمْ ألوف) [البقرة: ٢٤٣]، سِرْتُ والجبلَ. (والتين والزيتون) [التين: ١].

و(الياء): للمتكلم، نحو: إياي.

و(**أما الثنائية**) فستة وعشرون وهي: آ وإذْ وأل وأم وأن وإنْ وأو وأي وإي وبل وعن وفي وقد وكي ولا ولم ولن ولو وما و مُذ ومن وها وهل ووا ويا والنون الثقيلة.

فـ (آ): للنداء، نحو: آعبدَ الله.

و(إذ): للمفاجأة بعد بيْنَا وبينما، وللتعليل نحو:

فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ.

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريشٌ وإذْ ما مثلَهمُ بَشَرُ

و(أل): لتعريف الجنس أو جميع أفراده أو فرد منه معين نحو الرجلُ خير من المرأة. نحو: (إن الإنسان لفي خسرٍ إلا الذين آمنوا) [العصر: ٢ـ٣]. (وما آتاكم الرسول فخذوه) [الحشر: ٧].

وتجيء زائدة نحو: الآن والنعمان.

و(أم) للمعادلة بعد همزة الاستفهام أو للتسوية نحو: (أقريبٌ أم بعيد ما توعدون) [الأنبياء: ١٠٩]. (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) [البقرة: ٦]. وتجيء بمعنى (بل) نحو: (قُلْ هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور) [الرعد: ١٦].

و(أن): تكون مصدرية، ومفسّرة، وزائدة، ومخفّفة من (أنّ) نحو: (وأنْ تصوموا خير لكم) [البقرة: ١٨٤]. (فأوحينا إليه أن اصنعِ الفُلك) [المؤمنون: ٢٧]، (فلما أنْ جاء البشير) [يوسف: ٩٦]، (علم أنْ سيكونُ منكم مرضى) [المزمل: ٢٠].

و(إن): للشرط، وللنفي، وتجيء زائدة، ومخففة من إنَّ نحو: إن ترحم تُرْحَم. (إنِ الكافرون إلاّ في غرور) [الملك: ٢٠].

ما إن ندمتُ على سكوتٍ مرّةً ولقد ندمتُ على الكلام مِرَارا

(وإنْ نظنّك لمن الكاذبين) [الشعراء: ١٨٦].

و(أو): لأحد الشيئين نحو: خذ هذا أو ذاك، وتجيء في مقابلة (إما)، نحو: العدد إما زوج أو فرد، وبمعنى (بل) نحو: (وأرسلناهُ إلى مئة ألفٍ أو يزيدون) [الصافات: ١٤٧].

و(أيْ): للنداء، وللتفسير نحو: أيْ ربِّ، هذا عسجد، أيْ: ذهب.

و(إي): للجواب ويذكر بعده قَسَم دائماً نحو: (ويستنبئوك: أحق هو؟ قل: إي وربي إنه لحقٌّ) [يونس: ٥٣]. والغالب وقوعها بعد الاستفهام كما رأيت.

و(بل): للإضراب عن المذكور قبلها وجعله في حكم المسكوت عنه نحو: ما ذهب خالد بل يوسف، وجهه بدر بل شمس.

و(عن): للمجاوزة، وللبدليَّة نحو: خرجتُ عن البلد و: (لاتجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً) [البقرة: ٤٨].

و(في): للظرفية، وللمصاحبة، وللسببية نحو: في البلد لصوص، (ادخلوا في أمم) [الأعراف: ٣٨]، دخلت امرأةٌ النار في هرة حَبَستها.

و(قد): للتحقيق، وللتقليل، وللتوقع نحو: (قد أفلح من زكّاها) [الشمس: ٩]، قد يجود البخيل، قد يقدم المسافر الليلة.

و(كي): للمصدرية، وهذه مع ما بعدها في تأويل مصدر كـ(أن) نحو:

أخلصوا النيات كي تنالوا أعلى الدرجات، جدّ لكي تجد.

و(لا): تكون ناهية، وزائدة، ونافية، نحو: (لاتقنطوا من رحمة الله) [الزمر: ٥٣]. (ما منعك ألاّ تسجُدَ) [الأعراف: ١٢]، (فلا صدّق ولا صلّى) [القيامة: ٣١] وقد تقع النافية جواباً، وعاطفة، و عاملة عمل (إنّ) نحو: قالوا أتصبر؟ قلت: لا، أكرم الصالح لا الطالح، لاسميرَ أحسنُ من الكتاب.

و(لم): لنفي المضارع وجزمه وقلبه إلى المضيّ نحو: (ألم نشرحْ لك صدرك) [الشرح: ١].

و(لن): لنفي المضارع ونصبه وتخليصه للاستقبال نحو:

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَّبِرا.

و(لو): للشرط، وللمصدرية نحو: لو أنصف الناس استراح القاضي، نحو: (يودّ أحدهُم لو يعمَّرُ ألف سنة) [البقرة: ٩٦]، ويقال لها في نحو المثال الأول حرف امتناع لامتناع، أي: انتفاء الجواب لانتفاء الشرط.

و(ما): تكون نافية، وزائدة، وكافّة عن العمل، ومصدرية نحو: (ما هذا بشراً) [يوسف: ٣١]، (فبما رحمة من الله لنتَ لهم) [آل عمران: ١٥٩]، (كأنّما يساقون إلى الموت) [الأنفال: ٦]، (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) [التوبة: ٢٥].

وقد يلحظ الوقت مع المصدرية فيقال لها مصدرية ظرفية نحو: (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) [مريم: ٣١].

و(مذ): للابتداء أو الظرفية نحو: ما كلمتُه مذ سنة، ولا قابلته مذ يومنا.

و(من): للابتداء، وللتبعيض، وللتعليل نحو: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) [الإسراء: ١]، (ومنهم من كلّم الله) [البقرة: ٢٥٣]، (مما خطيئاتهم أُغرِقوا) [نوح: ٢٥]، وتجيء زائدة بعد النفي والنهي والاستفهام نحو: (ما لنا من شفيعٍ)، لايبرحْ من أحد، (هل من خالق غيرُ الله) [فاطر: ٣].

و(ها): للتنبيه تدخل على أسماء الإشارة كهذا وهذه والضمائر كهأنذا وهأنتم والجمل نحو: ها إنّ صاحبك بالباب.

و(هل): للاستفهام نحو: هل طلع النهار؟ وتفارق الهمزة في أنها لاتدخل على نفي ولاشرط ولامضارع حاليّ ولا إنَّ.

و(وا): للندبة نحو: واحسيناه.

و(يا): للنداء، وللتنبيه نحو: (يا أيها الناس) [الحجّ: ١]، يا حسيناه، (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) [يس: ٢٦ـ٢٧].

و(النون الثقيلة): تدخل على الفعل لتوكيده نحو: (لَيُسْجَنَنَّ) [يوسف: ٣٢]، ولاتلحق الماضي أبداً.

و(**أما الثلاثية**) فخمسة وعشرون وهي آي وأجلْ وإذا وإذنْ وألا وإلى وأمَا وإنَّ وأنّ وأيا وبلى وثم وجَلَلْ وجَيْرِ وخلا ورُبَّ وسوف وعدا وعَلَّ وعلى ولاتَ وليت ومنذ ونَعَمْ وهَيَا.

و(آيَ) للنداء، نحو: آيَ صاعدَ الجبل.

و(أجل) للجواب نحو:

يقولون لي صفْها فأنت بوصفها

خبيرٌ، أَجَلُ عندي بأوصافها عِلْمُ

و(إذا) للمفاجأة نحو ظننته غائباً إذا إنه حاضر، وتربط الجواب بالشرط نحو:

(وإن تُصبْهم سيئةٌ بما قدّمت أيديهم إذا هم يَقْنَطون) [الروم: ٣٦].

و(إذن) للجواب والجزاء نحو: إذنْ تبلغَ القصد في جواب (سأجتهد) مثلاً.

و(ألا) للتنبيه والاستفتاح، وللطلب برفق وهو العرض، أو بِحَثّ وهو التحضيض نحو: (ألا إنّ أولياء الله لاخوف عليهم) [يوسف: ٦٢]، (ألا تحبُّون أن يغفرَ اللهُ لكم) [النور: ٢٢]، ألا تجتهد.

و(إلى) للانتهاء نحو: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) [الإسراء: ١].

و(أما) للتنبيه ويكثر بعدها القسم نحو: أما والله لأعاتبنه.

و(أنّ) للتوكيد والمصدرية نحو: أعطيته لأنّه مستحق، وتلحقها (ما) فتكف عن العمل وتفيد الحصر نحو: (يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد) [الكهف: ١١٠]، و(إنّ) للتوكيد نحو: (إنّ الله على كل شيء قدير) [البقرة: ١٠٩] وتلحقها (ما) فتكف أيضاً وتفيد الحصر نحو: (إنما يتذكر أولو الألباب) [الرعد: ١٩]، وقد تجيء للجواب نحو:

ويقلْنَ شيبٌ قد علا ك وقد كبرتَ، فقلت: إنّه

و(أيا) للنداء نحو:

أيا جَبَلَي نُعمَانَ بالله خَلِّيا نسيمَ الصّبا يخلُصْ إليّ نسيمها

و(بلى) للجواب نحو: (ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى) [الأعراف: ١٧٢] وأكثر ما تقع بعد الاستفهام ويجاب بها بعد النفي كما رأيت.

و(ثم) للترتيب مع التراخي نحو: خرج الشبان ثم الشيوخ.

و(جَلَلْ) للجواب كنعم نحو: قالوا: نظمت عقود الدرّ؟ قلت: جَلَلْ.

و(جَيْرِ) للجواب أيضاً نحو: قالوا: أتقتحم المنُونَ؟ فقلت: جَيْرِ.

و(خلا) للاستثناء نحو: رافقِ الناسَ خلا المضلين.

و(رُبّ) للتقليل، وللتكثير نحو: رُبّ أمنيةٍ جلبت منية، ربّ ساعٍ لقاعد، وقد تحذف بعد الواو ويبقى عملها نحو:

وليلٍ كموجِ البحر أرخى سدُولَه عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

ويقال للواو: واو رب.

و(سوف) للاستقبال نحو: سوف يرى.

و(عدا) للاستثناء نحو: حسِّن الظن بالناس عدا الخائنين.

و(علَّ) للترجي والتوقع نحو:

ولا تُهينَ الفقيرَ علَّك أن تركع يوماً والدهْرُ قد رفَعَهْ

و(على) للاستعلاء والمصاحبة نحو: (وعليها وعلى الفلك تُحمَلون) [المؤمنون: ٢٢] و(وإنّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) [الرعد: ٦].

و(لات) للنفي كـ (ليس) نحو:

ندم البغاة ولات ساعةَ مندمٍ والبغي مرتعُ مبتغيه وخيم

و(ليت) للتمني نحو:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبرَه بما فعلَ المشيبُ

و(منذ) للابتداء أو الظرفية كـ(مذ) نحو: ما كلمته منذ سنة، ولا قابلته منذ يومنا.

و(نعم) للجواب فتكون تصديقاً للمخبر ووعداً للطالب وإعلاماً للسائل تقول: (نعم) في جواب: البغي آخره ندم، و(افعل ما تُؤْمَرُ) [الصافات: ١٠٢]، وهل أديت ما عليك، ومثاله في ذلك: أجلْ وجيْرِ.

و(هيا) للنداء نحو: هيا ربَّنا ارحمنا.

و(**أما الرباعية**) فخمسة عشر وهي: إذما وألاَّ وإلاَّ وأمَّا وإمَّا وحاشا وحتَّى وكأنَّ وكلاَّ ولكنْ ولعلّ ولمّا ولولا ولوما وهلاَّ.

فـ(إذما) للشرط نحو: إذ ما تتّقِ تَرْتَقِ.

و(ألّا) للتحضيض نحو: ألاّ راعيتم حقَّ الأخوة.

و(إلّا) للاستثناء نحو: لكل داء دواء إلا الموتَ.

و(أمَّا) للشرط والتفصيل والتوكيد نحو: (فأمَّا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) [البقرة ٢٦].

و(إمَّا) للتفصيل نحو: (إنّا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) [الإنسان: ٣].

و(حاشا) للاستثناء نحو أقدَمُوا على البهتان حاشا واحدٍ.

و(حتى) تقع حرف جر للانتهاء نحو: (حتّى مطلعِ الفجر) [القدر: ٥]، (حتى يتبينَ لكم الخيط الأبيض) [البقرة: ١٨٧].

وحرف عطف للغاية نحو: قدم الحاج حتى المشاةُ، وحرف ابتداء نحو:

فوا عجباً حتى كليبٌ تسبني!.

و(كأنّ) للتشبيه وللظن نحو: كأنَّ لفظه الدر المنثور، كأنه ظفرَ ببُغْيته، وقد تخفف نحو: (كأنْ لَم تَغْنَ بالأمس) [يونس: ٢٤].

و(كلاّ) للردع والزجر نحو (كلاّ إنها كلمةٌ هو قائلها) [المؤمنون: ١٠٠]، وقد تجيء للتنبيه والاستفتاح نحو: (كلاّ إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون) [المطففين: ١٥].

و(لكنْ) للعطف والاستدراك نحو: ما قام زيد لكن عمروٌ.

و(لعلّ) للترجي والتوقع نحو: لعلَّ الجوَ يعتدل.

و(لـمَّا) لنفي المضارع وجزمه وقلبه إلى المضيّ نحو: أشوقاً ولما يمض لي غير ليلة، وتجيء للشرط نحو: (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم) [يوسف: ٦٥] ويقال لها حينئذ حرف وجود لوجود، والأشهر في نحو هذا أنها ظرف بمعنى (حين).

و(لولا) للتحضيض وللشرط نحو: (لولا تســـــتغفرون الله) [النمل: ٤٦]، (ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) [البقرة: ٢٥١]، ويقال لها حينئذٍ حرفُ امتناعٍ لوجود، أي: انتفاء الجواب لوجود الشرط.

و(لوما) ك(لولا) في معنييها المذكورين نحو: (لوما تأتينا بالملائكة) [الحجر: ٧].

لوما الإصاخة للوشاة لكان لي من بعد سخطك في رضاك رجاءُ

و(هلّا) للتحضيض نحو هلاّ ترسلُ إلى صديقك.

و(**أما الخماسية**) فلم يأت منها إلا (لكنّ) وهي للاســـتدراك نحو: فلان عالم لكنه جبان.

والاستدراك: رفْعُ وهمٍ نشأ من الكلام السابق، وقد تخفف فتهمل وجوباً نحو: (فلم تقتلوهم ولكن اللهَ قتلّهم) [الأنفال: ١٧].

ومما تقدم يعلم أنَّ الحروفَ تنقسم إلى أصناف فكل طائفة منها اشتركت في معنى أو عمل تنسب إليه فيقال:

(أحرف الجواب) لا ونعمْ وبلى وإي وأجَلْ وجلَلْ وجَيْرِ وإنّ.

و(أحرف النفي) لم ولمَّا ولن وما ولا ولات.

و(أحرف الشرط) إنْ وإنما ولو ولولا ولوما وأمّا.

و(أحرف التحضيض) ألاَ وألّا وهلّا ولولا ولوما.

و(الأحرف المصدرية) أنّ وأنْ وكي ولو وما.

و(أحرف الاستقبال) السين وسوف وأنْ ولن وهل.

و(أحرف التنبيه) ألا وأما وها ويا.

و(أحرف التوكيد) إنّ وأنّ والنون ولام الابتداء وقد.

ومن ذلك حروف الجرّ.

وتقسم إلى عاملة كإنّ وأخواتها وغير عاملة كأحرف الجواب.

وتنقسم أيضاً إلى مختصة بالأفعال كأحرف التحضيض، ومختصة بالأسماء كحروف الجر، ومشتركة كـــ:ما ولا النافيتين والواو والفاء العاطفتين.

اختصاص الحروف:

من القواعد المقرَّرة بين أئمة العربية أنّ العواملَ التي تعمل في الأسماء لايمكن أن تكون عاملةً في الأفعال ذلك العملَ ولا غيره، ولذلك حكموا على الحروف العاملة في نوعٍ بأنها خاصّةٌ به.

فالنواصب (أنْ، لن، كي، إذن) خاصّةٌ بالأفعال والجوازم (لم، لمَّا، لام الأمر، لا الناهية) خاصة بالأفعال كذلك، ولايتصوّر وجدانها في الأسماء، كما أن الحروف العاملة في الأسماء، كـ: حروف الجر (من، إلى، عن، على...) خاصة بالأسماء، والحروف المشبّهة بالأفعال (إنّ، أنّ، كأنّ، لكنّ، ليت، لعل) خاصة بالأسماء أيضاً، لايمكن أن يوجد لها عمل في غيرها.

ارتباط الحروف بالجمل:

لعلَّ أدقَّ دراسةٍ قام بها النحويّون هي دراســـة معاني الأدوات والحروف، لِما لها من قيمة تعبيريّة كبرى في نظم الكلام، ولما تؤديه من اللطائف والأسرار البلاغية في التعبير. ومن ضمن هذه الدراسة بيّن العلماء ارتباط أدوات المعاني بالجمل وعملها فيها، وأدوات المعاني أزيدُ من مئة أداة، كما رأينا في تقسيم الرضي وأبي حيّان وغيرهما.

فمثلاً: **(إن) الشرطية** تدخل لتربط جملةً بجملة، نحو: إنْ يقم زيد يقمْ عمرو. ونحو: (وإن تبدوا ما في أنفســـكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) [البقرة : ٢٨٤].

قال ابن الربيع في شرح الإيضاح: الحروف تأتي على أقسام، منها:

١ ــ الحروف الروابط بين جملتين، وهي الكلم الدالّة على الشرط: إنْ، ما، مَنْ، مهما، أينما، كيفما، متى ما، حيثما، أنّى، أيّان، أيّ.

٢ ــ حروف تدخل على الجملة مغيرةً لفظها دون معناها، وذلك: إنَّ، أنَّ،

لكنّ، ليت.

٣ ــ حروف تدخل على الجملة فتغير معناها دون لفظها، وذلك: لعلَّ وما أشبهها.

٤ ــ حروف تدخل على الجملة غير مغيرةٍ لفظها ومعناها نحو: لام الابتداء.

٥ ــ حروف تدخل على الجملة فتغير لفظها ومعناها، نحو: (ما) الحجازيّة.

ولعلَّ الاستقراء الأمثل والأتم لارتباط أدوات المعاني بالجمل يبرز لنا وجوهاً من الإعراب، دون تقييد لما تعارف عليه البصريون مثلاً من أنَّ أدوات الشرط كإنْ وإذا لاترتبط إلا بجملة فعلية، فالرأي الأرجح جواز مجيء الجملة الاسمية بعد هذه الأدوات، وعلى هذا فالإعراب الأرجح للاسم المرفوع بعدها مبتدأ، والجملة في محل رفع خبر.

ولقد حَرَصْتُ في هذا البحث على تتبّع ارتباط الحروف بنوعي الجملة: الفعلية والاسميّة، وعمل هذه الحروف وفق أصول النحويين من أنَّ الحرف الذي يختص يعملُ، كعمل (لم) الجازمة، و(أن) الناصبة في المضارع، وعمل (في) الجارّة وأخواتها في الأسماء، وأما الحرف الذي لا يختص فلا يعمل، ك: هل، وحتّى، ولام التعليل.

وأبرزَ البحثُ الأساليبَ البلاغية التي تعتمد على التقديم والتأخير، أو الحذف، أو العطف بين الإنشاء والخبر. مما يضيء جوانب مهمة للباحثين في بلاغة العربية.

وهذا مسرد الأدوات وارتباطها بالجمل:

١ ــ همزة الاستفهام:

همزة الاستفهام تدخل على الجملة الاسمية والفعلية لعدم اختصاصها، كقولك: أزيد قائم؟ وأقام زيد؟.

وارتبطت بالجملة الفعلية، التي فعلها مضارع، كقوله تعالى: (أتأمرون

الناس بالبّر وتنسون أنفسكم) [البقرة: ٤٤].

كما ارتبطت بالجملة الفعلية التي فعلها ماض في قوله تعالى: (قل: أتخذتم عند الله عهداً) [البقرة: ٨٠]. وقوله: (أعجلتم أمر ربكم) [الأعراف: ١٥٠].

وارتبطت بالجملة الاسمية ذات الوجه الواحد، في قوله سبحانه: (أأنتم أعلم أمِ اللهُ) [البقرة: ١٤٠].

كما ارتبطت بالجملة الاسمية ذات الوجهين في قوله تعالى: (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) [الواقعة: ٦٤]. وقوله: (قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم) [الأنبياء: ٦٢].

وارتبطت بالشرط نحو قوله تعالى: (أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم) [آل عمران: ١٤٤].

٢ ــ أل:

لاتدخل إلّا على الأسماء، فتفيد تعريفها، وتختلف عن أل الموصولة، قال المالقي:

وأما وصلهم (أل) بالجملة من المبتدأ والخبر في نحو قول الشاعر:

مِنَ القومِ الرَّسولُ الله منهم لهم دانت رقاب بني مَعَدِّ

فذلك من باب حذف بعض أجزاء (الذي) لكثرة الاستعمال...والتقدير: الذين رسول الله منهم.

٣ ــ ألا الاستفتاحية:

ألا التي للاستفتاح والتنبيه تدخل على الجمل الاسمية والفعلية، قال الله عز وجل: (ألا حينَ يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) [هود: ٥]، (أَلاَ يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم) [هود: ٨]، (ألا إنّ أولياء الله لاخوف عليهم) [يونس:٦٢].

٤ ــ ألا للعرْض:

ألا التي للعرْض تدخل على الجملة الفعلية لا غير، قال تعالى: (أَلا تحبُّون أن يغفرَ الله لكم) [النور ٢٢].

وإذا وليتها الأسماء فعلى تقدير الأفعال، كقولك: أَلاَ قتالاً، قال الشاعر:

أَلاَ رجلاً جزاه الله خيراً يدلُّ على محصّلةٍ تَبِيْتُ

أي: ألا تعرفونَ رجلاً...

٥ ــ ألّا للتّحضيض:

ألّا: ليس لها في الكلام إلا موضع واحد و هي أن تكون تحضيضاً، ولا عمل لها وتليها الجملة الفعلية لاغير؛ لأنها تطلبها، وإن وليتها الأسماء فعلى تقدير فعل كما في ألا التي للعرض.

٦ ــ أم المتّصلَة:

تعطف في الاستفهام، وتقع بين المفردين والجملتين، ويكون الكلام بها متعادلاً، والجملة التي بعدها مع ما قبلها في تقدير المفردين. كقوله تعالى: (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) [البقرة: ٦].

٧ ــ أم المنفصلة (المنقطعة):

لاتكون عاطفةً لا في مفردٍ ولا في جملة... ولا يقع بعدها إلاّ الجملة المنفصلة من الأول، كقوله تعالى: (آلله خير أم ما يشركون) [النمل: ٥٩]، و(أم من خلق السموات والأرض) [النمل: ٦٠].

الأولى متصلة، والثانية: منفصلة والمعنى: بل الذي خلق السموات والأرض خير.

٨ ــ أمّا:

التي للعَرْض كقولك: أما تقومُ، أما تقعد، والمعنى أنك تعرض عليه فعل القيام والقعود؛ لترى هل يفعلهما أو لا؟ ولايكون بعدها إلا الجملة الفعلية.

٩ ــ أمَا:

التي للتنبيه والاستفهام مثل (أَلاَ)، بابها الجمل الاسمية والفعلية.

١٠ ــ إذا الشرطيَّة:

إذا الشرطية ملازمة للجملتين الفعلية والاسميّة.

أولاً: ارتباطها بالجملة الفعلية:

جاء ارتباطها بفعلٍ ماض، والجوابُ ماضٍ أيضاً، نحو: (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنّا لله وإنا إليه راجعون) [البقرة: ١٥٦].

وجاء ارتباطها بفعل ماض والجواب جملة فعلية مصدّرة بـ)إنما) نحو: (وإذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون) [البقرة: ١١٧].

وجاء ارتباطها بجملة فعلية والجواب جملة اسمية، كقوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإنّي قريب) [البقرة: ١٨٦].

وحذف جواب الشرط لدلالة الكلام السابق عليه، في نحو: (أجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ) [البقرة: ١٨٦].

وجاء جوابها جملة فعليةً طلبيةً نحو: (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله) [البقرة: ٢٠٠].

وجاء جواب الشرط جملة شرطية في قوله تعالى: (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) [النساء: ٦].

وجاء ارتباطها بفعل ماض والجواب جملة فعلية فعلها مضارع في (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع) [المائدة: ٨٣]، وقوله:

(وما يشعركم أنّها إذا جاءت لايؤمنون) [الأنعام: ١٠٩].

(فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعةً ولا يستقدمون) [الأعراف: ٣٤].

كما جاء ارتباطها بفعل مضارع والجواب جملة فعلية فعلها ماض (وإذا تُتلى عليهم آياتنا بيّناتٍ قال الذين لايرجون لقاءنا ائْتِ بقرآنٍ غير هذا أو بدِّله) [يونس: ١٥].

وجاء جواب (إذا) جملة اسمية مرتبطة بـ)إذا الفجائية) نحو: (وإذا أذقنا الناس رحمةً من بعد ضرَّاء مسَّتهم إذا لهم مكر في آياتنا) [يونس: ٢١].

وجاء جواب (إذا) جملة اسمية في قوله تعالى: (وإذا أراد الله بقومٍ سوءاً فلا مَردَّ له) [الرعد: ١١].

وارتبطت جملة الجواب في الظاهر بالفاء والفعل مضارع منفي في قوله تعالى: (وإذا رأى الذين ظلموا العذابَ فلا يُخفَّف عنهم) [النحل: ٨٥].

وجاء جواب الشرط جملة قسميّةً في قوله سبحانه: (فإذا جاء وعدُ الآخرة لِيسوؤا وجوهكم) [الإسراء: ٧].

وجاء فعل الشرط مضارعاً والجواب كذلك في: (إذا يُتْلى عليهم يَخِرُّون للأذقانِ سُجَّداً) [الإسراء: ١٠٧].

جاء فعل الشرط مضارعاً والجواب ماضياً في (إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن خرُّوا سُجَّداً وبُكِيّاً) [مريم: ٥٨].

جاء الجواب مقترناً بالفاء والسين في قوله تعالى: (حتى إذا رأوا ما يوعدون إمّا العذابَ وإمّا السّاعة فسيعلمون) [مريم: ٧٥].

كما جاء الجواب جملة اسمية مقترنة بالفاء في قوله تعالى: (وإذا مرضت فهو يشفين) [الشعراء: ٨٠].

وجاء الجواب جملة دعائية في قوله تعالى: (فإذا نزل بساحتهم فَساءَ صباحُ المنذَرين) [الصافات: ١٧٧].

وجاء فعل الشرط ماضياً مبنياً للمجهول في قوله تعالى: (إذا دُعي الله وحده كفرتم) [غافر: ١٢].

١١ ــ إذا الفجائية:

تجري مجرى الفاء الرابطة لجواب الشرط إلاّ أنها لاتكون إلاّ مع الجملة الاسمية غير الطلبية، قال تعالى: (وإنْ تصبْهم سيئة بما قدَّمت أيديهم إذا هم يقنَطون) [الروم: ٣٦].

جاء خبر المبتدأ الواقع بعد (إذا) الفجائية مصرّحاً به في جميع مواقعه في القرآن الكريم، حيث جاء هذا الخبر مفرداً في تسعة عشر موضعاً، وجملة فعلية في أربعة وعشرين موضعاً، وجملة اسمية في موضع واحد، وجاراً ومجروراً في موضعين.

أولاً: الخبر المفرد في قوله تعالى:

١ ــ (فإذا هم مبلسون) [الأنعام: ٤٤].

٢ ــ (فإذا هي بيضاء للناظرين) [الأعراف: ١٠٨].

٣ ــ (فإذا هم مبصرون) [الأعراف: ٢٠١].

٤ ــ (فإذا هي ثعبان مبين) [الأعراف: ١٠٧].

٥ ــ (فإذا هو خصيم مبين) [النحل: ٤].

٦ ــ (فإذا هي حية تسعى) [طه: ٢٠].

٧ ــ (فإذا هو زاهق) [الأنبياء: ١٨].

٨ ــ (فإذا هي شاخصةٌ أبصار الذين كفروا) [الأنبياء: ٩٧].

٩ ــ (إذا هم فيه مبلسون) [المؤمنون: ٧٧].

١٠ ــ (إذا فريقٌ منهم معرضون) [النور: ٤٨].

١١ ــ (ونزع يدَه فإذا هي بيضاء للناظرين) [الشعراء: ٣٣].

١٢ ــ (فإذا هي ثعبانٌ مبين) [الشعراء: ٣٢].

١٣ ــ (فإذا هم فريقان يختصمون) [النمل: ٤٥].

١٤ ــ (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) [الروم : ٢٠].

١٥ ــ (فإذا هم خامدون) [يسّ: ٢٩].

١٦ ــ (فإذا هم مظلمون) [يسّ: ٣٧].

١٧ ــ (فإذا هو خصيمٌ مبين) [يسّ: ٧٧].

١٨ ــ (فإذا هم جميعٌ لدينا محضرون) [يسّ: ٥٣].

١٩ ــ (فإذا هم قيامٌ ينظرون) [الزمر: ٦٨].

ثانياً: جاء خبر المبتدأ بعد (إذا) الفجائية جملة فعلية في قوله تعالى:

١ ــ (فلمّا كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) [النساء: ٧٧].

٢ ــ (إذا هم ينكثون) [الأعراف: ١٣٥].

٣ ــ (إذا هم يسخطون) [التوبة: ٥٨].

٤ ــ (إذا هم يبغون في الأرض بغير الحقّ) [يونس: ٢٣].

٥ ــ (إذا هم منها يركضون) [الأنبياء: ١٢].

٦ ــ (إذا هم يجأرون) [المؤمنون: ٦٤].

٧ ــ (إذا هم يُشركون) [العنكبوت: ٦٥].

٨ ــ (إذا أنتم تخرُجون) [الروم: ٢٥].

٩ ــ (إذا هم يقنطون) [الروم: ٣٦].

١٠ ــ (إذا هم يستبشرون) [الزمر: ٤٥].

١١ ــ (إذا هم يستبشرون) [الروم: ٤٨].

١٢ ــ (إذا هم منها يضحكون) [الزخرف: ٤٧].

١٣ ــ (إذا هم ينكثون) [الزخرف: ٥٠].

١٤ ــ (إذا قومُك منه يَصُدُّون) [الزخرف: ٥٧].

١٥ ــ (فإذا هي تلقَفُ ما يأفكون) [الأعراف: ١١٧].

١٦ ــ (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) [طه: ٦٦].

١٧ ــ (فإذا هي تلقف ما يأفكون) [الشعراء: ٤٥].

١٨ ــ (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) [القصص: ١٨].

١٩ ــ (فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) [يس ٥١].

٢٠ ــ (فإذا أنتم منه توقدون) [يس: ٨٠].

٢١ ــ (فإذا هم ينظرون) [الصافات: ١٩].

٢٢ ــ (فإذا هي تمور) [الملك: ١٦].

٢٣ ــ (إذا فريقٌ منهم بربهم يشركون) [النحل: ٥٤].

٢٤ ــ (إذا فريق منهم بربهم يشركون) [الروم: ٣٣].

ثالثاً: جاء خبر المبتدأ بعد (إذا) الفجائية جملة اسمية في آية واحدة:

(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه ولي حميم) [فصلت: ٣٤].

رابعاً: جاء خبر المبتدأ بعد (إذا) الفجائية جاراً ومجروراً في آيتين:

١ ــ (وإذا أذقنا النّاسَ رحمةً من بعدِ ضرّاء مستهم إذا لهم مكرٌ في آياتنا) [يونس: ٢١].

٢ ــ (فإنّما هي زجرةٌ واحدة فإذا هم بالسّاهرة) [النازعات: ١٣ــ١٤].

تقدّم (إذا) الفجائية حرفان من حروف العطف هما: الفاء، وثم.

أمّا (ثم) فقد جاءت في آية واحدة.

قال تعالى: (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون) [الروم: ٢٠].

أمّا الفاء فقد جاءت في مواضع تزيد عن العشرين. كما تجرّدت من حروف العطف في مواضع تقرب من العشرين موضعاً.

جاءت (إذا) الفجائية في جواب (لمّا) في ثمانية مواضع.

وجاءت (إذا) الفجائية رابطة لجواب الشرط بعد (إذا) الشرطية في إحدى عشْرة آية وجاءت رابطة لجواب (إن) الشرطية في آيتين.

١٢ ــ أنْ المفتوحة الخفيفة تكون مصدرية، أي: مع الجملة التي بعدها في موضع المصدر مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً، على حَسَب العامل الداخل عليها...

١٣ ــ أنْ المخففة من الثقيلة تدخل على الجمل الاسمية لا الفعلية، أي: أنها لاتباشـــر الجمل الفعلية، وإنما لابدَّ من الفصل بينها وبين الجملة الفعلية في الإيجاب بقد والسين وسوف، وفي النفي بـ)لا) مالم يكن الفعل لايتصرف كنعم وبئس وليس وعسى، فلا تحتاج إلى الفصل؛ لشبه الفعل الذي لايتصرف بالأسماء.

١٤ ــ إنّ المكسورة المشددة تكون للتوكيد في الجملة الاسمية وهي داخلة على المبتدأ والخبر، ولها أحوال منها:

أ ــ لايكون خبرها جملةً طلبيةً، وهي التي لاتحتمل الصدق والكذب.

ب ــ وإذا لحقتها (ما) فتقول (إنّما) وتدخل على الجملة الاسمية نحو: (إنما الله إله واحد). [النساء: ١٧١].

وتدخل على الجملة الفعلية نحو: (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)، [فاطر:٢٨].

وتسمَّى عند النحويين حرف ابتداء؛ إذ الأسماءُ بعدها مبتدأ لاغير، ومعناها في كلام العرب الحصر والتخصيص بأحد الخبرين.

١٥ ــ أنَّ المفتوحة المشدّدة تكون للتوكيد ــ كالمكسورة المشددة ــ فتدخل على الجملة الاسمية.

١٦ ــ أو: تكون حرفَ عطف فتعطف مفرداً على مفردٍ، وجملة على جملةٍ.

قال سيبويه: (أو) يثبتُ بها بعض الأشياء، وتكون في الخبر، والاستفهام، يدخل عليها على ذلك الحدّ، وهي تدخل على المفردات وعلى الجمل.

تقول: ألقيت زيداً أو عمراً أو خالداً؟ أو عندك خالد أو زيد أو عمرو، كأنك قلت: أعندك أحد من هؤلاء؟.

ومن دخولها على الجمل تقول: أتجلس أو تذهب أو تحدثنا؟؛ أي: هل يكون شيء من هذه الأفعال؟

وسمّى سيبويه الجمل كينونات، تقول: أ عندك زيد، أو عندك عمرو، أو عندك خالد؟ كأنك قلت هل عندك من هذه الكينونات شيء؟ فصار هذا كقولك: أتضرب زيداً أو تضرب عمراً أو تضرب خالداً؟ وقولك: أتضرب زيداً أو عمراً أو خالداً؟.

وتدخل (أو) في غير الاستفهام نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين، قال تعالى: (ولا تطعْ منهم آثماً أو كفوراً) [الإنسان: ٢٤]، أي: لا تطع أحداً من هؤلاء.. وتقول: لأكرمنه ذهبَ أو مكث، كأنّه قال: لأكرمنه ذاهباً أو ماكثاً.

من شواهد دخولها عاطفةً جملةً فعلية على فعلية قوله تعالى: (ما ننسخْ من آية أو ننسها نأت بخير منها) [البقرة: ١٠٦]، وقوله سبحانه: (فمن حجَّ البيت أو اعتمر..) [البقرة: ١٥٨]، و: (فأمسكوهن بمعروفٍ أو سرِّحوهن بمعروف) [البقرة: ٢٣١].

وجاءت مرتبطة بجملة اسمية معطوفة على مفرد في قوله تعالى:

(فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) [الأعراف: ٤].

وعطفت النهي على الأمر في قوله: (استغفرْ لهم أوْلا تستغفرْ لهم) [التوبة: ٨٠] وقوله: (قل آمنوا به أوْلا لاتؤمنوا) [الإسراء: ١٠٧] وقوله: (فاصبروا أولا تصبروا) [الطور: ١٦].

وارتبطت (أو) بجملة فعلية معطوفة على جارٍ ومجرور في قوله تعالى: (وأرسلناه إلى مئة ألفٍ أو يزيدون) [الصّافات:١٤٧].

١٧ ــ أيْ: التفسيرية

ترد بعد كلامٍ فيه إبهامٌ أو إجمال، وما بعدها تفسير له، فتربط بجملة مستقلة تفسيرية، فعلية أو اسمية.

قال الشاعر:

وترمينني بالطّرْفِ، أي: أنت مُذْنِبٌ وتقلينني، لكنّ إياك لا أقلي

أي: تفسيرية، والجملة الاسمية (أنت مذنب) تفسيرية لا محل لها.

وتقول: أشرت إليه، أي: اذهب.

وقد زعم الخليل أنّ (أنْ) في قوله تعالى: (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا) [ص:٦]، بمنـزلة: أي؛ لأنك إذا قلت: انطلق بنو فلان أن امشوا، فأنت لا تريد أن تخبر أنهم انطلقوا بالمشي..

١٨ ــ إيْ: المكسورة الخفيفة، معناها الإثبات والتوكيد، ولا تقع في الكلام، إلاّ جواباً مع المقسم به قبله، قال تعالى: (يستنبؤنكَ أحقٌّ هو؟ قل: إيْ وربي إنه لحقّ) [يونس: ٥٣].

١٩ ــ بَلْ: تكون حرف ابتداء، وذلك إذا لم يقع تشريكٌ بين ما بعدها وما قبلها، وتكون عاطفةً جملةً على جملةٍ مُضرَبٍ عن الأولى.. قال الله تعالى: (ق والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) [ق:١، ٢]، و:(ص والقرآن ذي الذكر. بل الذين كفروا في عزّة وشقاق) [ص: ١، ٢].

فهذا حرف ابتداء لا غيـر، وقال تعالى: (بل هم في شكٍّ من ذكري، بل لّما يذوقوا عذاب) [ص:٨] فهذه تعطف جملةً على جملة، والإضراب لازم لها على كل حال.

٢٠ ــ ثُمَّ: تكون حرفَ عطف فتعطف مفرداً على مفرد، وجملة على جملة، فهي تشرك بين الجملتين، ويكون تشـريكهما في الخبر أو العطف أو فيهما، من غير مراعاة لاسمية أو فعلية أو بالعكس، فتقول: قم ثم اقعد. ويجوز: قام زيد ثم عمرو، وقام عمرو ثم ضرب زيداً.

وكذلك يجوز اجتماع النفي والإثبات، كقوله عز وجل: (إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا). [البروج: ١٠].

قال المالقي:

(ثُمَّ) تكون حرف ابتداءٍ على الاصطلاح، أي: يكون بعدها المبتدأ والخبر، نحو أن تقول: أقولُ لك اضرب زيداً ثم أنت تترك الضرب، ومنه قوله تعالى: (قلِ اللهُ ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون) [الأنعام: ٦٤].

وتكون ابتداء كلام، كقولك: هذا زيد قد خرج ثم إنَّك تجلس، قال الله تعالى: (فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنكم بعد ذلك لميتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) [المؤمنون: ١٤ ــ ١٦].

وقد يرجع هذا إلى عطف الجمل، إذا كانت الجملتان في كلامٍ واحد، وذلك بحسب إرادة المتكلم، والأظهر في الجمل الانفصال في المراد إلا حيث يدلّ الدليل على أنَّ مقصود الكلام واحد.

٢١ ــ جَلَل:

جَلَل ليس لها في كلام العرب إلاّ معنى الجواب خاصةً، يقول القائل: هل قام زيد؟ فتقول في الجواب: جلل، و معنـــاها نعم، وهي نائبة مناب الجمل الواقعة جواباً.

٢٢ ــ حيثُ:

ظرف للمكان، تقول: جلســت حيث زيدٌ جالس، أي: في المكان الذي فيه زيد، وتدخل على الجملتين.

قال سيبويه: يبتدأ بعدها الأسماء، فتقول: حيث عبدُ الله قائم زيدٌ، وأكون حيث زيدٌ قائم. جملة: (زيد قائم) اسمية في محل جر بالإضافة.

وقال سبحانه وتعالى: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) [القلم: ٤٤]، جملة (لا يعلمون)، جملة فعلية فعلها مضارع في محل جر.

وقال سبحانه: (ولا يفلح الساحر حيثُ أتى) [طه: ٦٩].

جملة (أتى) فعلية فعلها ماضٍ، في محل جر بالإضافة.

وإذا لزمتها (ما) تمحضَتْ للشرط، فتحتاج إلى جملة فعل الشرط والجواب، كقوله تعالى: (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)_[البقرة: ١٤٤].

قال سيبويه: ولا يكون الجزاء في (حيث) ولا في (إذ) حتى يضم إلى كل واحدة منهما (ما) فتصير إذ مع (ما) بمنزلة إنما وكأنما قال الشاعر:

حيثما تستقمْ يقدّر لك الله نجاحاً في غابر الأزمان.

قال السيرافي: صارت حيث لمجيء (ما) مما يُجازى به فتقول: حيثما تكن أكن، كما تقول: أين تكنْ أكنْ...

٢٣ ــ حتّى:

تكون حرف ابتداء تليها الجملة الاسمية والفعلية من غير عمل، نحو: قام القومُ حتى يخرجُ عمرو ــ بالرّفع ــ وقام القوم حتى عمروٌ خارجٌ، قال الله تعالى:

(وزُلزِلُوا حتى يقولُ الرسول) [البقرة: ٢١٤] على قراءة نافع برفع (يقول).

وتكون حرفَ عطف فتشرك بين المفردين والجملتين في الكلام، كقولك: قام القوم حتى قام زيد.

٢٤ ــ خَلا:

تكون للاستثناء ناصبة لما بعدها فيه، فتكون إذ ذاك فعلاً، وذلك سائغ مثل (حاشى) نحو: إذا قلت: قام القومُ خلا زيداً، والجملة في موضع الحال، كأنك قلت: خالين من زيدٍ وكذلك حكم (حاشى) في ذلك.

٢٥ ــ رُبَّ:

تدخل عليها (ما) فتكفها عن العمل في النكرة، فيرتفع ما بعدها بالابتداء والخبر، وتوطئها للدخول على الفعل، فتقول: (ربما يقوم زيد).

قال تعالى: (ربَمَا يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين) [الحجر: ٢].

٢٦ ــ السين:

حرف تنفيس؛ لأنها تنفّس في الزمان فيصير الفعل المضارع مستقبلاً بعد احتماله للحال والاستقبال، ولاتدخل إلاّ على الجملة الفعلية التي فعلها مضارع قال الله تعالى: (وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) [الشعراء: ٢٢٧].

٢٧ ــ سوف:

حرف يختص بالجملة الفعلية التي فعلها مضارع، فيخلصه للاستقبال.

٢٨ ــ عدا:

هي للاستثناء، فإذا دخلت (ما) عليها كانت معها مصدرية لتخلّصها حينئذٍ للفعل، فينتصب ما بعدها إذ ذاك، نحو: قام القوم ما عدا زيداً، وهما في موضع الحال، أي: عادين زيداً.

٢٩ ــ الفاء:

تكون حرف عطف في المفردات والجمل:

في الجمل تكون مُشرّكة في الكلام خاصة، ويجوز أن يكون قبلها جملة اسمية، وبعدها فعلية، نحو: زيد قائمٌ فضرب غلامه، وبالعكس، نحو: قام زيد فأبوه منطلق، وأن تكون قبلها جملة خبرية وبعدها طلبية، نحو: قام زيد فاضرب عبده، وبالعكس، نحو: اضرب زيداً فيقوم غلامه، والربط والترتيب لازم لها في المعنى، وتكون معهما السببية تارة ولا تكون أخرى.

وإذا أردت الاستئناف بعدها من غير تشريك بجملتين كانت حرف ابتداء، إما للكلام وإما يأتي بعدها المبتدأ وخبره نحو: قام زيد فهل قمت؟ وقام زيد فعمرو منطلق، وعليه قول الشاعر:

ألم تسأل الربع القَواء فينطقُ

أي: فهو ينطق، ومنه قوله تعالى: (أنّما إلهكم إله واحد، فهل أنتم مسلمون) [الأنبياء: ١٠٨].

ومن النّحويين من زاد للفاء موضعاً آخر سماها فيه فاء ربّ وهي التي يقع بعدها الخفض في مثل قول الشاعر:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعٍ فألهيتها عن ذي تمائم محول

والفاء في الحقيقة هنا سببية عاطفة جملةً على جملة، وربّ مضمرة بعد الفاء كما أضمرت بعد الواو.

٣٠ ــ قد: حرف إخبار إلاّ أنها تلزم الجملة الفعلية، فتكون مع الماضي حرف تحقيق، نحو قوله تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)

[المجادلة: ١] (لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة) [الأحزاب: ٢١].

وتكون مع المضارع لعدة معانٍ: منها التوقع تارةً وهو الكثير، ومنها التحقيق معه وهو قليل، ومنه التقليل.

وهي مع الفعل مختصة به لازمة له، تقوم مقام الجزء، فلأجل ذلك لا يجوز الفصل بينها وبينه إلا في الضرورة كقوله:

فقد ــ والله ــ بيّنَ لي عنائي بوشك فراقهم صُرَدٌ يصيح

أراد: فقد بيّن لي، ففصل بينه وبينها للضرورة، وأما في الكلام فلا يجوز.

٣١ ــ كَأَنَّ:

يجوز وقوعها في موضع وقوع الجمل إذا كان المعنى على التشبيه، والجمل تقع صفةً لموصوف، وصلةً لموصولٍ، وخبراً لذي خبرٍ، وحالاً لذي حال؟ فتقول في الصفة: (مررت برجل كأنه قائم)، وفي الصلة (جاء الذي كأنه قائم)، وفي الخبر: (زيدٌ كأنه قائم)، وفي الحال (رأيت زيداً كأنه قائم)، ومن الحال قوله تعالى (فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة). [المدثر: ٤٩ ــ ٥٠].

٣٢ ــ اللام:

تقع في جواب القسم سواء كان جملةً اسمية أو فعلية ماضية أو مستقبلة، لكن لابدّ أن تكون مُوجبةً.

ويجوز حذف القسم، وتبقى جملة الجواب باللام لتدل على ذلك ومنه قوله تعالى: (لتُبْلونَّ في أموالكم وأنفسكم) [آل عمران: ١٨٦].

وقوله سبحانه: (ولتعلمنَّ نبأهُ بعد حين) [ص: ٨٨].

وقال الله تعالى: (ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) [النحل: ٣٠].

وقال تعالى: (ولبئس ما كانوا يعملون) [المائدة: ٦٢].

وإنما دخلت اللام في جواب القسم ليتلَقَّى بها مبالغةً في التوكيد إذ القسم توكيد المقسَم عليه..

ومن مزايا (لو) و(لولا) إذا وقعا في جواب القسم لزم جوابهما اللامُ نحو قولك: (والله لو قام زيدٌ لأحسنت إليك) (والله لولا زيدٌ لأحسنت إليك).

وإذا حذف القسم قبلها بقيت اللام في جوابها تدل عليه، نحو قوله تعالى (ولولا رهطك لرجمناك) [هود: ٩١] و: (لولا أنتم لكنا مؤمنين) [سبأ: ٣١] فذلك كقوله تعالى: (ولتعلمن نبأه) [ص: ٨٨] و: (لتبلون) [آل عمران: ١٨٦].

واللام تكون مُوَطِّئة لجملة جواب القسم، وتوكيداً نيابة عنه في ذلك،وذلك إذا تقدم حرف الشرط الذي هو (إنْ) نحو قوله تعالى: (لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم). [الحشر: ١٢].

وقد تضمَّنُ (علمتُ) معنى القسم، فتدخل اللام فيما بعدها دلالةً على ذلك، كقولك علمت لمن قام لأضربنه، ومنه قوله تعالى: (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خَلاَقٍ). [البقرة: ١٠٢].

قال المالقي: قوله تعالى: (يدعو لمن ضرُّه أقربُ من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) [الحج: ١٣].

(يدعو) معلّقة عن العمل؛ لأنها بمعنى يقول، كما هي في قولِ عنترة:

يدعون عنترُ والرماحُ كأنها أشطان بئرٍ في لبان الأدهم

أي يقولون: يا عنترُ، واللام في (لمن) لام الابتداء، وخبره محذوف.

٣٣ ــ لا العاطفة:

تشرك الجملة الاسمية مع الجملة الفعلية في اللفظ من رفعٍ ونصبٍ وخفض وجزمٍ وتخالف بينهما في المعنى، نحو: ليَقُمْ زيد لا يقعد، ويقوم زيدٌ لاَ يقعد، وأعجبني أن تقوم لا تقعد، قال امرؤ القيس:

فإن تنأ عنها حقبة لا تلاقها فإنك مما أحدثتْ بالمجرّب

٣٤ ــ لا النافية:

تدخل على الأفعال المضارعة غالباً، وتلزم في القسم جملة الجواب نحو قوله تعالى: (الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) [الأعراف: ٤٩] وقوله: (وأقسموا بالله جهدَ أيمانهم لا يبعث الله من يموت) [النحل: ٣٨].

وربما حذفت؛ للدلالة في القسم، إذ جواب القسم في الإيجاب باللام والنون فيقال: (تالله لا يقوم زيد) قال الله تعالى: (تالله تفتؤ تذكر يوسف) [يوسف: ٨٥] أي: لا تفتأ، لأنه الأصل.

وربما حذفت الجملة الفعلية بعد (لا) في الجواب؛ لدلالة السؤال عليها، فتنوب منابَ الجملة، وتكون كلاماً بذلك، كقولك في جواب: هل قام زيدٌ؟ لا، أي: ما قام، وفي جواب: هل يقوم زيدٌ؟ لا، أي: لا يقوم.

و(لا) هذه في الجواب نقيضة (نعم).

وربما نابت (لا) النافية مناب كلامٍ متقدِّم عليها تقتضي نفيه مقدّراً؛ لدلالة ما بعده عليه، كقولك: لا أقوم، في جواب مَنْ قد يقول لك: تقومُ؟ فهي جوابٌ وردٌّ.

ومن ذلك قوله تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة) [القيامة: ١] و(لا أقسم بهذا البلد) [البلد: ١] كأنها رد لمن قال: لا تجمع عظام الإنسان، ولا تخلق ثانية، ولمن قال: لا يُخلق الإنسان في كبد، وكأنَّ المعنى: ليس كما تقولون، ثم أقسم بعد ذلك.

تدخل (لا) على الجملة الاسمية فلا تؤثر فيها، لأنها غير مختصة بها، ويلزم تكريرها نحو قوله تعالى: (لا هُنَّ حِلٌّ لهم ولا هم يحلّون لهنّ) [الممتحنة : ١٠].

تدخل (لا) على النكرات فتشبَّهُ بـ (إنَّ) وتنصب الاسم وترفع الخبر، نحو: لا غلامَ رجل أفضلُ منك.. ومنه: (ذلك الكتاب لا ريبَ فيه) [البقرة:٢].

وقد تشبّه بـ(ليس) فترفع الاسم بعدها وتنصب الخبر إذ هي مثلها، وداخلة على الجمل الاسمية مثلها بشرطين، أحدهما: أن لا يتقدم الخبر عليها، والثاني: ألا تدخل عليه (إلاّ)، تقول: لا غلامُ رجلٍ أفضلَ منك.

وتشبَّه (لا) بـــ(ليس) فتدخل عليها التاء، فتقول: لاتَ الحينُ من قيام، كما قال تعالى: (ولاتَ حينَ مناص) [ص: ٣] واسمها في الآية مضمر دل عليه الخبر، كأنه قال: لاتَ الحينُ حينَ، ويجوز أن ترفع الحين بعدها، وتحذف الخبر للدلالة أيضاً.

تدخل (لا) على جملة اسمية ويراد بها النفي الخاص، نحو: لا رجلٌ في الدار ولا امرأة، قال الله تعالى: (لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعة) [البقرة: ٢٥٤]، وكذلك قوله تعالى: (لا لغوٌ فيها ولا تأثيم) [الطور: ٢٣] على قراءة من رفع (اللغو والتأثيم).

٣٥ ــ لا الناهية:

الجازمـــة تدخل على الجملة الفعلية، فيجزم الفعل المضارع بعدها بها، نحو قوله تعالى: (فلا تكنْ من الممترين) [آل عمران: ٦٠]، (لا تفتروا علـــى الله كذباً) [طه: ٦١]. وهو كثير. قال الشاعر:

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهم يقولون: لا تهلك أسى وتجملِ

٣٦ ــ تدخل (لا) التي للدعاء على الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ، ويكون معناها إذْ ذاك الاستقبال، فيقال: لا غفر اللهُ ولا رحمهُ.. قال الشاعر:

لا بارك الله في الغوانِيِّ هَلْ يُصبِحْن إلاَّ لهنَّ مطَّلَبُ

٣٧ ــ لعلَّ:

معناها الترجي في المحبوبات، والتوقع في المحذورات، فنقول: ادعُ الله علَّهُ يرحمك، فهذا ترَجٍّ. وتقول: لا تدن من الأسد علّه يأكلك، فهذا توقع.

تدخل على الجملة الاسمية تنصب الأول وترفع الثاني كـــ (إنَّ)،

قال تعالى: (لا تدري لعلّ الله يحدثُ بعد ذلك أمراً) [الطلاق:١].

وقال الشاعر:

لا تهينَ الكريمَ علَّكَ أن تر كع يوماً، والدهر قد رفعه

٣٨ ــ تكون (لكنْ) الخفيفة عاطفة، تشرك بين الاسمين والفعلين في اللفظ

لا غير، وهو الاسمية في الاسمين، والفعلية في الفعلين، نحو قولك: ما يقوم زيد لكن يقعدُ عمرو، ولن يقوم زيد لكن يقعد.

قال صاحب رصف المباني:

«إن أدخلت عليها الواو فبعض النحويين يبقيها على عطفها وبعضهم يخرجها عن العطف، ويجعل العطف للواو، وقال بعضهم: العطف للواو، و(لكن) استدراك خالص، وعطفت الواو جملة في التقدير على جملة، فإنك إذا قلت: ما قام زيد ولكن عمرو، فالمعنى: ولكن قام عمرو، والواو عاطفةُ كلامٍ موجَبٍ على كلام منفي، على عادتها في عطف الجمل، إذ لا تشريك في المعنى يلزم لها فيها، وأمَّا أن تجعل المسألة من عطف الجمل في (لكن) فلا».

وإن عطفتَ بـــ (لكن) جملةً على جملة فيصح أن يقع قبل (لكن) المذكورة النفي والإثبات، لكن بشرط أن تكون الجملتان مختلفتين في المعنى، نحو قولك:

(قام زيد لكن لم يخرج عمرو)، و(ما قام زيد لكن قام عمرو)، وإذا جاء بعدها جملة قائمة بنفسها فهي عاطفة للجمل، وإلاّ فلا، وإذا وقع بعدها مبتدأ وخبر فهي المخفَّفة من الثقيلة، وهي حرف ابتداء ومعناها في جميع ذلك الاستدراك، ويكون معناها الإضراب إذا كانت حرف ابتداء، كقوله تعالى: (لكنِ اللهُ يشهد بما أنزلَ إليك) [النساء: ١٦٦]، ولا يقع بعدها إلا الجملة الاسمية لا غير.

٣٩ ــ لمّا:

تكون حرف وجوب لوجوب، نحو قولك: لمّا قمت أكرمتك، ولمّا جئتني أحسنتُ إليك، هذا إذا كانت الجملتان بعدها موجبتين، فإن كانتا منفيتين كان حرف نفي لنفي، نحو: لما لم يقم زيد لم يقم عمرو، و تكون حرف وجوب لنفي إذا كانت الجملة الأولى منفية والثانية موجبة، نحو قولك: لما لم يقم زيد أحسنت إليك، وبالعكس إذا كانت الأولى موجبة والثانية منفية نحو قولك: لما جاء زيد لم أحسن إليك.

وفيها معنى الشـــرط أبداً لا يفارقها، وتلتزم الجملة الفعلية فلا تدخل إلاّ على الماضي لفظاً أو معنى، أو معنى دون لفظ.. وهي مبنية للزومها الجملة

كـــ: إذ وإذا.

٤٠ ــ لو: تكـــون حرف امتناع لامتناع، وتفسير معناها بهذا إنما هو في الجمل الواجبة؛ لأنها الأصل، فهـــي تدخل علـــى جملتين موجبتين، نحو قولك: لو قام زيد لأحسنت إليك.

وهي حرف وجوب لوجوب إذا دخلت على جملتين منفيتين، نحو قولك: لو لم يقم زيد لم يقم عمرو.

وهي حرف امتناع لوجوب إذا دخلت على جملة موجبة ثم منفية، نحو قولك: لو يقوم زيد لما قام عمرو.

وهي حرف وجوب لامتناع إذا دخلت على جملة منفيّة ثم موجبة، نحو قولك: لو لم يقم زيد لقام عمرو.

(لو) تكون حرف شرط بمنزلة (إنْ) إلاّ أنها لا يجزم بها، ولا يكون جوابها بعدها إلاّ محذوفاً لدلالة الكلام عليه، كقوله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين) [يوسف: ١٧] المعنى: وإن كنا صادقين..

و تخالف (لو) هذه (إنْ) بأنها أبداً تلزم الدخول على الجملة التي فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى، أو معنى دون لفظ.

٤١ ــ لولا:

تكون تحضيضاً، مثل (لوما) فتقول: لولا تقوم، لولا تخرجُ، قال الله تعالى: (فلولا تشكرون) [الواقعة: ٧٠]، و: (فلولا تذكّرون) [الواقعة: ٦٢].

ولا تدخـــل إلاّ على الجملة الفعلية، فيليها الماضي بمعنى المضارع، وفيها معنى التوبيخ قال الله تعالى: (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهةً) [الأحقاف: ٢٨]. ولا تليها إلاّ الأفعال ظاهرةً كما مثّل أومضمرة تقدر بحسب دلالة الكلام، كما قال الشاعر:

تعدون عقر النيّب أفضل مجدكم بني ضَوطَرى، لولا الكمِّي المقَنّعَا

أي: لولا تبارزون الكميَّ أو تغلِبون، أو تقتلون أو نحو ذلك.

٤٢ ــ لولا:

تختص بالدخول على الجملة، وتفسيرُها بحسب الجمل التي تدخل عليها.

فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب، نحو قولك: لولا زيدٌ لأحسنت إليك، فالإحسان امتنع لوجود زيد.

وإن كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع، نحو: لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك، وإن كانت موجبة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب، نحو: لولا زيد لم أحسن إليك وإن كانت منفية وموجبة فهي حرف امتناع لامتناعٍ، نحو: لولا عدمُ زيد لأحسنت إليك.

٤٣ ــ لوما:

لم تجئ في كلام العرب إلّا لمعنى التحضيض غالباً، كقوله تعالى: (لوما تأتينا بالملائكة) [الحجر: ٧].

ولا تدخل أبداً إلّا على الجمل الفعلية؛ لأن التحضيض طلب في المعنى، والطلب يكون بالفعل، فإن وجد الاسم بعد (لوما) فعلى تقدير الفعل.

٤٤ ــ ليت:

لم تجئ في كلام العرب إلّا حرف تمنٍّ، تدخل على الجملة الاسمية، تنصب الأول وترفع الثاني كـ)إنّ) التي للتوكيد.

٤٥ ــ ليس:

ليست محضة في الحرفية، ولا محضة في الفعلية، وسياق الكلام يبين ذلك فإذا دخلت على الجملة الفعلية التي فعلها مضارع فهي حرف لاغيرُ، كـ(ما) النافية، كقول الشافعي:

ورزقُك ليس ينقصُهُ التَّأنّي ... وليس يزيدُ في الرِّزقِ العناءُ

وإذا وجدت بشيء من خواص الأفعال، قيل: إنها فعل لوجود خواصّ الأفعال فيها.

فتدخل على الجملة الاسمية، ترفع الأول وتنصب الثاني.

في قول الشاعر:

هي الشِّفاء لدائي لو ظفرتُ بها وليس منها شفاءُ الدّاءِ مبذولُ

دخلت (ليس) على المبتدأ والخبر، وهي ها هنا شأنية، أضمر فيها اسمها بمعنى الأمر والشأن، كأنه قال: ليس الأمر أو الشـــأن شفاء الداء مبذول، وجاءت جملة: (شفاء الداء مبذول) خبراً مفسرةً لذلك الضمير.

٤٦ ــ ما النافية:

تدخل على الجملة الاسمية فتعمل عمل ليس، ترفع المبتدأ اسماً لها، وتنصب الخبر خبراً لها عند أهل الحجاز ونجد، فيقول: ما زيدٌ قائماً، وفي التنـــزيل العزيز (ما هذا بشراً) [يوسف: ٣١]، وقوله: (ما هن أمهاتهم) [المجادلة: ٢].

(ما) النافية تدخل على الجملة الفعلية، على الفعل الماضي والمضارع.

فإذا دخلت على الماضي تركته على معناه من المضي، وإذا دخلت على المضارع خلَّصته للحال، فيقول: ما قام زيد، وما يقوم زيد، قال تعالى: (وما كانوا مؤمنين) [الأعراف: ٧٢] وقال تعالى: (وما يعلم جنود ربك إلّا هو) [المدثر: ٣١]. ولا عمل لها في الجملة الفعلية لعدم اختصاصها بالفعل.

٤٧ ــ ما (المصدرية):

تدخل على الجملة الفعلية ــ غالباً ــ وتُصَيِّر الفعل الذي بعدها في تأويل المصدر وموضعه، تقول: أعجبني ما صنعتَ، وعملت ما عملت، قال تعالى: (والله يعلم ما تصنعون) [العنكبوت:٤٥] (والله عليم بما يفعلون) [النور: ٤١].

وقد يجوز بعدها الجملة الاسمية قليلاً، قال الشاعر:

أعلاقةً أمَّ الوليد بعدما أفنانُ رأسك كالثَّغام المخلس

٤٨ ــ مُذْ: تدخل على الزمان لفظاً أو تقديراً، كقولهم: ما رأيته مذ الحجّاج أميرٌ، والتقدير: مذ زمانِ إمارة الحجّاج.

٤٩ ــ تنوين العِوض: يكون عوضاً من جملة، وذلك إذا لحق (إذْ) التي هي ظرف زمانٍ ماضٍ، وذلك إذا حذفت الجملة بعدها، اختصاراً لدلالة ما قبلها

عليها؛ لأنها تضاف أبداً إلى الجملة الاسمية والفعلية، نحو قوله تعالى: (إذ الأغلال في أعناقهم) [غافر: ٧١] و(إذ أنتم بالعدوة الدنيـــا) [الأنفال: ٤٢] وقوله تعالى: (إذ قالت الملائكةُ) [آل عمران: ٤٢] (وإذ قال موسى لقومه) [الصف: ٥] و: (إذ تقول للذي أنعم الله عليه) [الأحزاب: ٣٧].

والأكثر فيها الإضافة إلى الجملة التي أوّلها الماضي؛ لأنه الملائم لمعناها.

فإذا جاءت (إذ) تحذف فيه تلك الجملة المضافة إليها اختصاراً، وعوّض من الجملة المذكورة التنويـــن نائبـــاً منابهـــا وهو أخف منها، كقوله تعالى: (يومئذ تحدّث أخبارها) [الزلزلة: ٤] (وأنتم حينئذٍ تنظرون) [الواقعة: ٨٤] المعنى: إذ زلزلتَ، وأخرجت، وإذ بلغت الحلقوم..

٥٠ ــ نَعَم:

حرف جواب لمـــا قبلها، فإذا كان قبلـــها طلباً فهي عدةٌ لا غير، وإن كان ما قبلها خبراً فهي تصديق لا غـــير، فمثـــال الأولـــى أن تقول في جواب من قال: أتكرم زيداً؟ أو هل تكرم زيداً؟، أو ألا تكرم زيداً، ونحو ذلك من أنواع الطّلَب: نعم، والمعنى الإخبار بفعل الكرم، ووعد السائل به، ومثال الثانـــي أن تقول فـــي جواب مـــن قال: أكرمت زيداً وقتلتَ عمراً، أو نحو ذلك من أنواع الإخبار: نعم، والمعنى: قد أكرمت أو قتلت، مجاوباً كلامه بالإجابة إلى الفعل وصدّقته وكان كلاماً تاماً بوقوعها موقع الكلام التام، وقد يجوز أن تجتمع معه توكيداً، وقد يجوز أن تأتي بأصل الجملة على نحو ما تقدّم دونها.

قال الشاعر:

أليس الليلُ يجمعُ أمَّ عمرٍو ... وإيانا، فذاك بنا تداني

نعم، وترى الهلال كما أراه ... ويعلوها النَّهارُ كما علاني

٥١ ــ هل:

حرف استفهام تدخل على الجملة الفعلية والجملة الاسمية، لعدم اختصاصها بالأسماء أو الأفعال، وما لم يختص لم يعمل، قال الله تعالى: (هل ترى من فطور) [الملك: ٣] وقال: (فهل أنتم مسلمون) [هود: ١٤] وقال: (وهل أتاك نبأ الخصم) [ص: ٢١].

ويجوز حذف الجملة الداخلة عليها إذا تفسَّرت بعد، كما قال الشاعر:

ليت شعري هل ثم هل آتينّهم أو يحولَنّ من دون ذاك الرَّدى

التقدير: هل آتينهم ثم هل آتينهم، فكرر توكيداً، ثم اجتزأ عن الأول بالثاني.

٥٢ ــ هلاّ:

حرف تحضيض كـ (ألا) تختص بدخولها على الجملة الفعلية، ظاهرة أو مقدرة، ماضية كانت الأفعال أو مضارعة.. وإن جاء بعدها الاسم فعلى تقدير الفعل، فتقول: (هلاّ قتالاً، وهلاّ زيداً)، أي: هلاّ تقصدُ أو تقاتل أو ما أشبه ذلك، مما تدل عليه قرينة الكلام.

قال الشاعر:

الآن بعد لَجاجَتي تَلْحونني هلاّ التقدّمُ والنفوسُ صِحاحُ

أي: هلاّ يحدث التقدم، أو يحضر التقدم.

وقد شذَّ مجيء المبتدأ أو الخبر بعدها، في قول الشاعر:

ونُبِئْتُ ليلى أرسلتْ بشفاعةٍ إليّ؛ فهلاّ نفسُ ليلى شفيعُها

٥٣ ــ الواو:

تكون للعطف، وهي أم حروف العطف لكثرة استعمالها ودورها فيه، ولا تخلو أن تعطف مفرداً على مفرد، أو جملة على جملة.

فإن عطفت جملةً على جملة لم يلزم تشريكٌ في اللفظ ولا في المعنى، ولكن في الكلام خاصةً، ليُعلَمَ أنّ الكلامين فأكثر في زمان واحد، أو في قصد واحد، فلذلك جاز أن يعطف بها إذ ذاك جملة خبرية على مثلها، وعلى طلبية،

وجملة طلبية علـــى مثلها، وعلى خبرية، فنقول: قام زيدٌ وقعد عمرو، وقام زيدٌ واقعدْ، وعلى هذا يجوز: بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله، فالواو عطفت طلباً ــ وهــو الدعاء ــ على الخبر. وحكي من كلام البديع: (ظفرنا بصيد وحيّاك الله أبا زيد)، وكذلك حكم الجملة الابتدائية مع الفعلية، نحو: قام زيد وعمرو قائم، وزيد قائم وقعد عمرو، وكلّ ذلك جائز..

والمناسبة في الجمل هو الكثير، وربما يكون ظاهرُ الكلام عطفَ المفردات وهو عطف الجمل، ومنه:

١ ــ العطف على عاملين، كقوله تعالى: (وتصريفِ الرياحِ آياتٌ) [الجاثية: ٥] تقديره: وإنّ في تصريف الرياح آياتٌ.

٢ ــ عطف النعوت إذا اختلف إعرابها، نحو: مررت بإخوتك الظرفاءِ العقلاءُ الكرامَ، بخفضِ الظرفاء ورفعِ العقلاء ونصبِ الكرام، الأول تابعاً، والثاني: مرفوع على خبر ابتداء مقدّر، و الثالث: على إضمار فعل تقديره: أمدح أو أعني أو شبه ذلك، وعليه قوله تعالى: (لكنِ الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلكَ والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) [النساء: ١٦٢]، ومنه قوله تعالى: (والسائلين وفي الرقاب) ثم قال: (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء) [البقرة: ١٧٧] ومنه قول الشاعرة:

لا يَبْعدَنْ قومي الذين هُمُ سَمُّ العداة وآفة الجُزْرِ
النازلين بكلّ مُعْتَرَكٍ والطيبون معاقد الأُزُرِ

والواو: تكون حرف ابتداء (استئناف)، ومعنى ذلك أن تكون لابتداء الكلام، وسواء كان جملة اسمية أو فعلية، فلا يرتبط ما بعدها من الجمل بما قبلها في شيءٍ من عطف المفردات أو الجمل.

قال تعالى: (هل تعلمُ له سميّاً، ويقولُ الإنسان أإذا ما مت لسوف أُخْرَجُ حيّاً) [مريم: ٦٥ ــ ٦٦] وقال تعالى: (وما أنتم بمعجزين، ولو أنّ لكل نفس ظلمت ما في الأرض) [يونس: ٥٣ ــ ٥٤] وهو كثير.

والواو تكون للحال: ومعنى ذلك أن تجيء بعدها جملةٌ تكون في موضع

الحال من ذي الحال، نحو قولك: جاء زيد ويده على رأسه، وخرج زيد و عبد الله جالس، وقام زيد وقد خرج غلامه، وتقدّر تارةً بـــ(إذ) الظرفية، وتارةً بـــ(في حال) وهي في التقديرين للحال، فحيث لم يكن بعدها ضمير في الجملة الواقعة حالاً بها قدرت بـــ (إذ) نحو قولك: جاء زيدٌ والشمس طالعةٌ، أي: إذ الشمس طالعة، ومنه قوله تعالى: (يغشى طائفةً منكم وطائفةٌ قَدْ أهمتهم أنفسهم) [آل عمران: ١٥٤] وقال الشاعر:

تبدو كواكبه والشّمسُ طالعةٌ لا النّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

وحيث كان في الجملة ضمير يعود على ذي الحال قدّرت بـــ(في حال) نحو قوله تعالى: (ودانيةً عليهم ظلالها وذُلِّلَتْ قطوفها تذليلا) [الإنسان: ١٤]، وقوله تعالى: (لم يدخلوها وهم يطمعون) [الأعراف: ٤٦] ولابدّ مع ذلك من صرف الجملة إلى تقدير المفرد، إما من اللفظ وإما من المعنى؛ لأنّه أصل الحال، فتقديره في نحو قولك: والشمس طالعةٌ: طالعةً الشمسُ في حال قيامه.، وعلى هذا قياس الجملة الواقعة حالاً.

ويشترط في الجملة الواقعة بعد الواو التي للحال أن تكون خبرية، وهي التي تحتمل الصدق والكذب لصحة وقوعها، ولا تكون طلبية لأن (إذ) غير واقعة.

ثم لا تخلو أن تكون اسمية أو فعلية، فإن كانت اسمية فلا يخلو أن يكون فيها ضمير يعود على ذي الحال، أو لا يكون. وإن كانت فعلية فلا يخلو أن يكون فعلاً ماضياً أو مضارعاً، فإن كان ماضياً لفظاً ومعنى لزمته (قد).

المصادر والمراجع:

إنَّ أبرز مصادر هذا البحث كتاب رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام المالَقي (٧٠٢هـ) فقد قرأته بتدبُّر وورويَّة وانتقيت منه ارتباط حروف المعاني بالجمل خاصة. إضافة إلى الكتب المتخصصة في الأدوات كـ:

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام.

الجنى الداني للمرادي.

الأزهية للهروي.

الكافية لابن الحاجب.

النكت الحسان لأبي حيّان الأندلسي.

دراسات لأسلوب القرآن للدكتور عُضَيمة وغيرها..

البحث الثامن

الحديثُ عن

أقسام الجملة نظماً

عُني بعض العلماء ببيان تقسيم الجمل التي لا محل لها من الإعراب والتي لها محل من خلال منظوماتٍ شعرية تُقرِّبُ فهمَها للقارئ.

ومن هؤلاء العلماء نذكر الإمام الدمنهوري والزيّاتي وابن أم قاسم[1].

قال الشيخ سِرَاجُ الدّينِ الدَّمنْهوري في الجمل التي لها محل والتي لا محل لها من الإعراب:

وخُذْ جُملاً عَشْراً وستّاً، فنِصفُها ... لها مَوضعُ الإعراب جاء مبيَّنا
فوصفيّةٌ حاليّةٌ خبريّةٌ ... مُضافٌ إليها، واحكِ بالقولِ مُعْلِنَا
كذلك في التعليق والشرط والجَزَا ... إذا عاملٌ يأتي بلا عملٍ هُنا
وفي الشّرط قالوا: لا محلّ لها كما ... أتتْ صِلةٌ مَبدُوءةً سَرْكَ الهنا
وفي الشرط لم يعملْ كذاك جوابهُ ... جوابُ يمينٍ مثلُهُ فاتك العنا
مُفسّرة أيضاً وحَشْواً كذا أتت ... كذلك في التّحضيض نلت به الغِنَى

وجُمِعنَ في بيتين هما:

خبريّةٌ حاليّة محكيّة ... بالقول ذاتُ إضافةٍ ومُعلَّقُ
وجوابُ ذي جزم بفاءٍ أو إذا ... ولتابعٍ حكمُ المتقدّمِ أطلقوا

وقال الشيخ بدر الدين ابن أمّ قاسم:

جُملٌ أتتْ ولها محلٌّ معرب ... سبعٌ لِأنْ حلّتْ محلّ المفردِ
خبريةٌ حاليّةٌ محكيةٌ ... وكذا المضاف لها بغير تردُّد
ومعلّق عنها وتابعةٌ لما ... هو معرب أو ذو محل فاعدُد
وجوابُ شرطٍ جازمٍ بالفاء أو ... بإذا وبعضٌ قال غيرَ مقيّد
وأتتك تِسعٌ ما لها من موضعٍ: ... صِلةٌ وعارِضَةٌ وجملةُ مُبتدي
وجوابُ أقسام وما قد فسّرَتْ ... في أشهَرٍ، والخلْفُ غيرُ مُبعَّدِ
وبُعيدَ تحضيضٍ وبعدَ معلّق ... لا جازم وجواب ذلك أوردِ

وكذاك تابعة لشيءٍ مالَه من موضعٍ فاحفَظْهُ غيرَ مفنَّدِ

ونظم الزيّاتي الجملَ التي لا محل لها من الإعراب فقال(٢):

الجُمَلُ التي عَرَا محلُّها من معربٍ سبعٌ، وهذا فصلها:
أولُهنَّ الجملُ المستأنفهْ وهيَ نوعانِ، بلا مخالفهْ
فجملُ يُفْتَتَحُ النطقُ بها وجملٌ قُطِعْن عمَّا قبلَها
والاعتراضيّةُ، وهْيَ الواقعهْ في المتلازمين، خُذْ مَوَاضِعَهْ
في الفعل والفاعل والمفعول كما أتى ببعضه تمثيلي:
وبُدِّلَتْ، والدهرُ ذو تبدُّلِ، هيفاً دبوراً بالصَّبا والشَّمْأَلِ
والمبتدا والخبرِ الملاصقِ كقولها: نحنُ بناتِ طارقْ
وبين ما أصلُهُ الابتداء ومثلُ ذاك الشرطُ والجزَاءُ
وبين موصوفٍ وبين صفة وبين موصول وبين صِلَتِه
وبين أجزاء الصِّلاتِ اعترَضَتْ وفي جواب قَسَمٍ قد عَرَضت
والمتضايفين فرّقتْهُما والجارَ والمجرورَ فصَلَتْهُما
وبين ناسخٍ وبين ما دَخَلْ عليه، والتوكيدُ في حرفٍ حَصَل
وبين قد وسوف والفعل اعترضْ وبين منفيٍّ ونافيه عَرَضْ
وجملتين مستقلَّتين فافهم تُصِبْ فهاك جملتين

اللاميّة المجرادية:

نظم أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمران ابن المجرادي المغربي قصيدةً لاميةً لخص فيها القواعد والمسائل التي ضمنها ابن هشام كتابيه مغنى اللبيب والإعراب عن قواعد الإعراب، تيسيراً لهذه القواعد وتقريباً إلى إفهام الدارسين والمتعلمين، فكان هذا النص، قال الشيخ رحمه الله تعالى ورضي عنه:

حَمِدْتُ إلهي، ثمّ صلَّيتُ أولاً على سـيّد الرسل الكرام ذوي العُلا

مُحمّدٍ المبعوثِ للخلق رحمَةً ... وأصحابِهِ طُرّاً أولي الفَضْل والعَلا
وبعدُ، فهاكَ نُبذَةً من قواعدٍ ... تفيدك إعراباً فحصِّلْه تفضُلا
وذلك حكم الظرف والجملتين مَعْ ... بيانِ الذي قَدْ جُرَّ حيثُ تَنَزّلا
وأسألُ ربي اللّهَ عوناً على الذي ... قَصَدتُ فما زال الإلهُ مُؤمِّلا

فصل في بيان الجملة:

ومِثْلُ أتى زيدٌ، أوِ الحقّ واضحٌ ... أو إنْ قام زيدٌ، جملةً، قد تمثّلا
كلاماً تُسمّى، إن أفادت وجملةً ... وإلا فتُسمى جملةً، قطُّ، فاعقِلا
ففعليةٌ قُل إن يكُ الفعلُ صدرَها ... وإن لم يكن فاسميَّةٌ كالفتى العَلا
ولا تعتبِرْ حرفاً تقدَّمَ قبلَها ... كقد قام زيدٌ، أو أزيدٌ تفضّلا؟
وما هُوَ في أصل الكلام مُصدَّرٌ ... فمعتَبَرٌ من غير خُلفٍ، تحصّلا
ففعليةٌ: عمراً رأيتُ، وخالداً ... أجِرْهُ، ويا زيدُ الكريمَ المبجّلا
وكيف أتى زيد، وأيَّ غلامِهم ... ضربتَ؟ وإن زيد أتاك، فحصِّلا
ويحتمل الوجهين بعضٌ، كقولهم: ... أفي الدار زيد؟ أو أعندك ذو الولا؟

بيان الجملة الكبرى والصغرى:

وزيد أبوه قائم، ومحمّدٌ ... أتى، جملةٌ كبرى، فخُذْه مُمَثَّلا
وصغراهما: زيدٌ مقيمٌ، وعامر ... مُعانٌ، وبكرٌ ذو غرامٍ بمَن خَلا
وكُبْرَى و صغرى قد تكون كخالدٌ ... أبوه أخوه عالم بالذي تلا
ويحتمل الوجهين بعضُ كلامهم ... كمثل: (أنا آتيك) في النمل نُزّلا[٣]
ودِرهَمُ ذا في الكيس، ثمّ محمد ... مقيمٌ أبوه، فافهَمنْهُ، مُسهّلا

انقسام الكبرى إلى ذات وجهٍ وذات وجهين:

وإن جاءك اسمٌ صدرَ كبرى وعجزُها ... أتى الفعلُ، تُسمَى ذاتَ وجهين فاعقلا
إذا عجُزَ الكبرى أتى الفعلُ سمّها ... بصاحبة الوجهين، يا صاحِ، فاقبلا
كقولك: زيد يستجيش غلامه ... وعمرو أتى، والحق مازال أعدلا
وإلاَّ فذاتَ الوجهِ تُسمَى، كعامرٌ ... أبوه مقيم، فَافهَمنْه، مكمَّلا

الجمل التي لا محل لها من الإعراب:

وإنْ في ابتداء القول جاءتك جملةٌ ... كـ إنَّا فتحنا، أو غلامُك أقبلا
فليس لها أصلاً محلٌ وسمِّها ... بجملة الاستئناف فهوَ قدِ اعتلى
وقال أبو إسحاقَ: جرّ محلُّها ... إذا وقعت من بعد (حتى) وأُبطِلا
كذا الجملة الموصول الاسم بها،ومثـ ... ـلُها صلة الحرفيّ، خُذْه ممثَّلا
كجاء الذي قد خاف مِمَّا ضربته ... ومعناه مِنْ ضربي له، قد تمثّلا
كذا جملةُ التفسير، وهي تُبينُ ما ... تلتْه، كهل هذا[٤]، وفي (اقترب) انجلى
مجرّدةً تأتي، ومقرونةً بـ أيْ ... وأنْ، كأشرتُ للغلام أنِ افعلا
وقال الشّلوبينُ: المُفَسِّرُ مثلُ ما ... يُفَسَّرُ، في الإعراب، والحقُّ ما خلا
وإن تتعرّضْ بين شيئين جملةٌ ... فليس لها أيضاً محلٌ، فحصِّلا
وقد تتعرَّضْ جملتان فصاعداً ... خلافاً لقومٍ، قد أبَوه، فاقبلا
وإن تلتبِسْ حاليّةٌ معَ هذه ... فميِّز بأشياءٍ، أتتك مُعوّلا
كمثل اقتران الفا بها، أو بأنها ... أتت طَلَباً، أو مثلَ (سوف) بها صِلا
أوِ الواو إن كان المضارع صدرَها ... كيا حَادِيَي عِيرٍ، وأحسَبُني، اعتلى
كذا إنْ تُجب شرطاً بها غير جازمٍ ... كمثل (إذا) ولو ولولا فكمِّلا
وإن يكُ ذا جزم ولم تقترن بـ فا ... ولا بإذا فالحكم فيها كذا اجْعَلا
وإنْ تَقَعَ ايضاً لليمين جوابَهُ ... فحكمُك فيها مثلُ حكمِكَ أوّلا

وإن تبعت مالا محل له فحك ـمها مثلهُ، والعدُّ سَبْعٌ تحصّلا

الجمل التي لها محل من الإعراب:

وإن وقعت حالاً فنصب محلّها وإن تأتِ مفعولاً كذلك فاجعلا
وإن وقعت في موضع الخبر احكُمَنْ عليها برفعٍ، أو بنصبٍ قدِ انجلى
ففي الإبتدا معْ بابِ (إنّ) ارتفاعُها وفي (كان) معْ (كاد) انتصابٌ تَجمَّلا
وقُلْ إن يُضَف شيءٌ لها الجرُّ حكمُها كيومَ أتى زيدٌ، أخو الفضل والعلا
ومهما أتت من بعدِ: حيث وإذ، إذا ولمّا، فجرٌّ حُكمها عند مَنْ بَلا
وذلك في (لمّا) على قول فرقةٍ رأوا أنها اسمٌ مثلَ (حينَ) تَنــزّلا
وإن وردت أيضاً لشرطٍ جوابَه وجاء (إذا) مَعْها، أو الفاءُ تُجتَلَى
فموضعُها جَزْمٌ، كـ إنْ جاءَ خالدٌ إذا عمرو أتى، أو فعمرو قدَ اقبلا
وإن مفرد يُنَعَتْ بها فهي مثلُهُ لدى الرفع ثم النّصب والجرِّ مُجملا
كجا رجلٌ يدعو على رَجُلٍ عَصَى خطيباً، يجوشُ القومَ للفضل والعَلا
وإن جملةٌ تُعطَفْ على جملةٍ لها محلٌ فذاك الحكمُ فيها تحصَّلا
كـ زيد أبوهُ راحل، وغلامُه مقيمٌ، وسَبْعٌ عُدَّها متجمّلاَ

حكم الجملة بعد النكرة والمعرفة:

وإن وردت مِنْ بعد مَحْضِ مُعرَّفٍ فإعرابها حالٌ لما قبلُ قد خلا
وإن وردت من بعد محضِ منكّرٍ فإعرابُها نعْتٌ لما قبلُ قد تَلا
وتحتمل الوجهين بَعْدَ مُنَكَّرٍ ومعرفةٍ ليسا بمحضٍ فاقبلا(٥)

ونظم أبو الفداء الزّواوي أقسام الجملة وإعرابها بتفصيل دقيق، ذكر فيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: في شرح الجملة

فَسَمِّ بالكَلامِ لَفْظَكَ المُفيدْ ... أوْ جُمْلَةً كَـ: العِلْمُ خَيْرٌ ما اسْتُفيدْ

لكنّها أعَمّ مَعْنىً منْهُ ... إذْ شرْطُهُ حُسْنُ السّكُوتِ عَنْهُ

إنْ بُدِئَتْ بالاسْمِ فَهْيَ اسْميّةْ ... أوْ بُدِئتْ بالفِعْلِ قُلْ فِعْليّةْ

إنْ قيلَ: ذا أبُوهُ شأْنُهُ النّدا ... فَكُلُّها غَيْرُ الأخيرِ مُبْتَدا

بلْ خَبَرٌ عَنْ ثَالِثٍ كمَا هُمَا ... عَنْ وَسَطٍ والكُلّ عَمّا قُدّمَا

فجُملةُ الأوّلِ سَمّ كُبرَى ... وجُملةُ الثالثِ سَمّ صُغْرَى

وذاتُ حَشْوٍ باعْتبارِ مَا ولِي ... كُبْرَى وصُغْرَى باعْتبارِ الأوّلِ

المسألة الثانية: في الجمل التي لها محل من الإعراب

موْضِعُهَا خَبَرَ مُبْتَدَا وَإنْ ... رَفْعٌ وفي كَانَ وكَادَ النّصْبُ عَنْ

والحالِ والمَفْعُولِ أرْبَعُ جُمَلْ ... ممّا حكَوْا أوْ عَلّقُوا عَنْها العَمَلْ

أوْ كانَ آخِرَ مَفَاعِلَ أرَى ... أو ظَنّ أو تُضَفْ إلى الوَقْتِ اجْرُرَا

وكُلّما منْ بَعْدِ إذْ حَيْثُ إذا ... لَمّا الزّمَاني بَيْنَما بَيْنَ كَذَا

جوَابَ شَرْطٍ جَازِمٍ فَا جْزِمْ إذا ... بالفَاءِ كَانَتْ قُرِنَتْ أوْ بإذَا

واحْكُمْ بهِ للفِعْلِ لا للْجُمْلَةْ ... في نَحْوِ: إنْ زُرْتُكَ زُرْتُ وَصِلَةْ

كذَلِكَ الشّرْطُ إذا الآتي جُزِمْ ... في عَطْفِهِ عَلَيْهِ قَبْلَ أن تَتِمْ

جمْلَتُهُ إنْ أُعْمِلَتْ في مِثْلِ: إنْ ... قَامَ ويَقْعُدْ ذا الفَتَى سَرَّ الحَزِنْ

وفي أقُومُ بَعْدَ إنْ قُمْتَ اخْتُلِفْ قِيلَ دَلِيلُهُ وقِيلَ الفَا حُذِفْ
وهْيَ عَلَى حَسَبِ ما قَدْ تَبِعَتْ منْ مُفْرَدٍ أوْ جُمْلَةٍ تَقَدَّمَتْ
منْ ظَنَّنِي أعْلَمْتُهُ فَضْلي ظَهَرْ إذ صُغْتُ نَظْماً اسْتَنَارَ وَزَهَرْ
فاللهُ يَعْلَمُ أكُنْتُ كِدْتُ أقُولُ أنوي الخَيْرَ إنّي سُدْتُ

المسألة الثالثة: في الجمل التي لا محل لها من الإعراب

في الابْتِداءِ سَمِّهَا اسْتِئنافِيَهْ وَبَعْدَ حَتَّى وَهْيَ الابْتِدَائِيَهْ
وقَوْلُ منْ جَرّ بِهَا لا يَجْرِي إذْ لا تُعَلَّقُ حُرُوفُ الجَرّ
عنْ عَمَلٍ وَبَعْدها مكْسُورَهْ إنَّ أتَتْ وَفَتْحُهَا مَجْرُورَهْ
وصِلَةُ اسْمٍ أوْ لِحَرْفٍ والّتي بَيْنَ شَيْئَيْنِ لِبَيَانٍ عَنَّتِ
والاعْتِرَاضُ جَائِزٌ بِأكْثَرَا منْ جُمْلَةٍ والفارسِيّ حَظَرَا
وذاتُ تَفْسِيرٍ أيْ الْمُعَدَّهْ لِكَشْفِ ما تَليهِ غَيْرَ عُمْدَهْ
أيْ غَيْرَ مَخْبَرٍ بها عَنْ مُضْمَرِ شَأْنٍ وقُلْ بِحَسَبِ المُفَسَّرِ
وفي جَوابِ قَسَمٍ كذا مُنِعْ زَيْدٌ لأكْرِمَنَّهُ لكنْ دُفِعْ
إذْ جُمْلَةُ القَسَمِ مَعْ ما بَعْدَهُ خَبَرُ زيدٍ لا الجَوابُ وَحْدَهُ
والشَّرْطِ لَمْ يَجْزِمْ كَلَوْلا لَوْ إذا أوْ جازِمٍ خَالٍ منَ الْفَا أوْ إذا
أوْ إن أنَتْ تَتْبَعُ فَاقْدَ المَحَلّ وَالواوُ لا للْحَالِ بَلْ للْعَطْفِ حَلّ
آلَيْتُ أيْ أقْسَمْتُ والقَسَمُ بَرّ لوْ تابَ منْ عَصَى لَعَزّ وانْتَصَرْ

المسألة الرابعة: في الجملة الخبريّة التي لم يطلبها العامل لزوماً

إنْ وليتْ نكرةً فهي صفَة وحالٌ إن جاءتك بعد المعرفة

إن كانتا في ذاك محَضْتَينِ أوْ لا..فمحتملَةُ الوجهين

وجمع اليازجي في مجمع البحرين الجمل التي لها محلٌ من الإعراب في أبيات ثلاثة:

وتَأخُذُ المحلَّ وَهْيَ تُخْبِرُ أَوْ وَهْيَ مفعولٌ بهِ إذْ تُذْكَرُ

أو وَهْيَ حال أو لها المضاف ضَمّ أو قَدْ أجابَتْ بعد رَبْطٍ ما جزم

أو مفرداً قد تَبِعَتْ، والتابعه لجملةٍ في الطّرفين سابِعَهْ

كما جمع الجمل التي لا محلَّ لها في بيتين، هما:

ولا محلَّ إذْ بَدَتْ أو وصلَت أو فَسَّرَت أو لاعتراضٍ فَصلَت

أو كانتِ الجوابَ في اليمين أو في باب إنْ لم ترتبط أو باب لو(٧)

* * *

الحواشي:

١ ــ انظر الأشباه والنظائر للسيوطي ٢/٢٠، عمدة القاري ١/٢٥٢.

٢ ــ هذا النص مــن كتاب: مبرز القواعد الإعرابية من القصيدة المجرادية للجزولي، تح. د. فخر الدين قباوة، ص١٣٩ و ١٨١.

٣ ــ للمعربين توجيهان في إعراب: آتيك، أحدهما: أنه فعل مضارع والجملة خبر أنا، والثاني: أنه اسم فاعل وهو خبر مفرد.

٤ ــ المراد قوله تعالى: (هل هذا إلاّ بشرٌ مثلكم)، بعد قوله: (وأسرُّوا النجوى الذين ظلموا) [سورة الأنبياء: ٣].

٥ ــ انظر مبرز القواعد الإعرابية من القصيدة المجرادية للرسموكي الجزُولي، تح. د. فخر الدين قباوة. دار الأوزاعي، ط١، ١٩٨٨م. شرح اللاميّة المجرادية للزياتي ص ٦٦ ــ ٦٧.

٦ ــ نظر القبس النحوي في شرح نظم الزّواوي ١٥ و ٢١ و ٣٣ و ٤١.

٧- مسالك التراث. الأستاذ ياسين طربوش ٢/٤٥، ٣٠٩.

البحث التاسع

الجـــــــــــملةُ

بـــــــــين

عِلمَيِّ النـــّحْو والمعاني

- تمهيد.
- نظرة علم المعاني إلى مدلول الجملة.
- الاسم والفعل في الإثبات والتجدّد.
- تقسيم معاني الكلام إلى الخبر والإنشاء.
- أقسام الكلام عند الجاحظ.
- مواقع الجمل الخبريّة والإنشائية.
- التعليل البلاغي لمواقع الخبر موقع الإنشاء.
- التعليل النحوي.
- الجملة الإنشائية خبراً لـ(إنّ).
- توجيه آخر للجملة في تركيب الكلام.
- مقامات الكلام.
- اللغة الانفعالية.
- لكل كلمة مع صاحبتها مقام.
- أثر علم المعاني في بلاغة الكلام.

تمهيد:

بَعدَ أن استقرّت تسمية النحويين لأجزاء الكلام وتركيب الجمل، وبعد أن بيّنوا معظم التقسيمات الأساسية للجمل التفتوا إلى بيان مدلول كلِّ جملة؛ ما مدلولُ الجملةِ الاسمية وما أسرارها؟ وما مدلولُ الجملةِ الفعلية وما أسرارها؟ وعُنُوا ببيان الروابط بين الجمل في مجال العطف، ونظروا إلى الكلام بين الإخبار والإنشاء، ونحو ذلك.

وكل ذلك مما يُغني دراستنا للجمل وتقديمها بأسلوب واضح مشرق، يوجّهه علماء المعاني خاصةً، فيبرزُ تكامل علوم العربية، ويضيء دلالاتٍ متنوعةً لكلِّ تركيب لغوي وبلاغي.

نظرة علم المعاني إلى مدلول الجملة:

الاسم والفعل في الإثبات والتجدّد:

وُضِعَ الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدُّده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدّد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء، إذا كان الحديث عن شيء يزيد وينمو، كالشجر والنبات والصبي ونحو ذلك.

هذا وإنَّ بين التراكيب الفعلية والتراكيب الاسمية فروقاً في مواضعَ كثيرةٍ، لا يصلح أحدهما في موضع صاحبه، بل المعنى مع أحدهما غيره مع الآخر، كما هو العبرة في حمل الخفي على الجليّ، فكما وجدت الاسم يقع حيث لايصلح الفعل مكانه، كذلك تجد الفعل يقع حيثُ لا يصلح الاسم مكانه، ولا يؤدي ما كان يؤديه، فمن البيِّن في ذلك قول الشاعر طريف بن تميم العنبري:

أوَ كلما وردتْ عُكاظَ قبيلةٌ بعثوا إليَّ عريفَهم يتوسَّمُ

معلوم أنه لو قيل: بعثوا إليَّ عريفهم متوسِّماً لَنَبا عنه الطبع، وأنكرته

النفس، ذلك أن المعنى: على توَسُّم وتأملٍ ونظر يتجدد من العريف هناك حالاً فَحَالاً، وتصفح منه للوجوه واحداً بعد واحد، ولو قيل: متوسماً لم يفد ذلك حق الإفادة.[1]

والجملة الفعلية موضوعة لإفادة التجدّد والحدوث، في زمن معين مع الاختصار، نحو:

أشرقتِ الشمسُ وقد ولّى الظلامُ هارباً

فلا يستفاد من ذلك إلاّ ثبوت الإشراق للشمس، وذهاب الظلام في الزمان الماضي.

وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجددي شيئاً فشيئاً بحسب المقام، وبمعونة القرائن، بشرط أن يكون الفعل مضارعاً، نحو قول المتنبي:

تدبِّرُ شرقَ الأرضِ والغربِ كفُّه وليسَ لها يوماً عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أنّ تدبيرَ الممالك دَيْدَنُه، وشأنه المستمر الذي لا يحيد عنه، ويتجدد آناً فآناً.

والجملةُ الاسميةُ تفيدُ بأصل وضعها ثبوتَ شيء لشيء ليس غير، من دون نظر إلى تجدُّدٍ ولا استمرار، نحو: (الأرض متحركة) فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض بدون نظر إلى تجدّد ذلك ولا حدوثه.

وقد تخرج الجملةُ الاسميةُ عن هذا الأصل، وتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن إذا لم يكن في خبرها فعلٌ مضارع؛ وذلك بأن يكون الحديث في مقام المدح، كقوله تعالى: (وإنّك لعلى خلق عظيم) [القلم: ٤]، فسياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت.

قال البلاغيون: إنَّ الجملةَ الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن، إلاّ إذا كان خبرها مفرداً، نحو: (الله وليُّ الذين آمنوا) [البقرة:

٢٥٧]، أو كان خبرها جملةً اسمية نحو: (وَالذين كفروا أولياؤُهم الطاغوت) [البقرة: ٢٥٧]، أمَّا إذا كان خبرها فعلاً فإنها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد والحدوث في زمن مخصوص، نحو: «الوطن يسعد بأبنائه» وكقول الآخر:

نروحُ ونغدو لحاجاتِنا وحاجةُ من عاشَ لا تنقضي

ولا يحسنُ وضع إحداهما موضع الأخرى؛ فمن ذلك قوله تعالى: (وكلبهم باسطٌ ذراعيه) [الكهف: ١٨] ولو قيل: يبسط لم يفدِ الغرض؛ لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط، وأنه يتجدد له شيئاً بعد شيء، فـ)باسط) أشعر بثبوت الصفة.

ومن ذلك قوله تعالى: (هل من خالقٍ غيرُ الله يرزقكم) [فاطر: ٣]

لو قيل: (رازقكم) لفات ما أفاده الفعل من تجدد الرزق شيئاً بعد شيء، ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع، مع أنَّ العامل الذي يفيده ماضٍ نحو: (وجاؤوا أباهم عشاء يبكون) [يوسف: ١٦] إذ المراد أن يفيد صورة ما هم عليه وقت المجيء، وأنهم آخذون في البكاء يجددونه شيئاً بعد شيء، وهو المسمّى حكايةَ الحال الماضية، وهذا هو سر الإعراض عن اسم الفاعل والمفعول.

ولهذا أيضاً جاء تعبير البيان القرآني بـ:)الذين ينفقون) [البقرة: ٢٦٢]، ولم يقل: المنفقون، كما قيل: المؤمنون والمتقون؛ لأنَّ النفقةَ أمرٌ فعلي، شأنه الانقطاع والتجدد، بخلاف الإيمان، فإن له حقيقةً تقوم بالقلب يدوم مقتضاها، وكذلك التقوى والإسلام والصبر والشكر والهدى والعمى والضلالة والبصر، كلها مسميات حقيقية أو مجازية تستمر وآثار تتجدد وتنقطع، فجاءت بالاستعمالين، قال تعالى في سورة الأنعام: (يخرج الحيّ من الميتِ ومُخرِجُ الميتِ من الحيّ) [الأنعام: ٩٥]، قال الإمام فخر الدين: لما كان الاعتناء بشأن إخراج الحي من الميت أشد أتى فيه المضارع؛ ليدلّ على التجدد، كما في قوله: (الله يستهزئُ بهم) [البقرة: ١٥].

ومن أسرار الفعل المضارع في قوله تعالى: (إنَّ اللهَ فالق الحَبِّ والنّوى يخرج الحيَّ من الميّت ومخرجُ الميِّتِ من الحيِّ ذلكم الله فأنّى تؤفكون)

[الأنعام: ٩٥].

وقوله: (يخرج الحيّ من الميت ويخرجُ الميت من الحيّ ويُحيي الأرضَ بعد موتها وكذلك تخرجون) [الروم: ١٩].

وقوله: (أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ) [يونس: ٣١].

إنّ عطفَ أحد القسمين على الآخر كثيراً (يخرج الحيّ.. ويخرج الميت) دليلٌ على أنهما توأمان مقترنان، وكان الأصل في سورة الأنعام ورود المضارع بصيغة اسم الفاعل أسوةَ أمثاله من الصفات المذكورة في هذه الآية من قوله: (فالق الحبّ) [الأنعام: ٩٥]، (فالق الإصباح) [الأنعام: ٩٦]، (وجاعل الليل)، و(مخرج الحي من الميت) [الأنعام: ٩٥]؛ إلا أنه عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع في هذا الوصف ــ وحده ــ وهو قوله: «يخرج الحيّ»؛ إرادةً لتصوير إخراج الحي من الميت واستحضاره في ذهن السامع، وهذا التصوير والاستحضار إنما يتمكن في أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضي، وأبرز شواهده عند البلاغيين قوله تعالى: (ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فتصبحُ الأرضُ مخضرَّةً) [الحج: ٦٣]، فعدل عن الماضي المطابق لقوله (أنزل) لهذا المعنى، ومنه ما في قول الشاعر مفتخراً:

وإنّي قد لقيتُ الغول تسعى بسهبٍ كالصحيفة صحصحان
فآخذها فأضربها فخرَّتْ صريعاً لليدَينْ وللجران

فعدل إلى المضارع (فأضربها)؛ إرادةً لتصوير شجاعته، واستحضارها لذهن السامع.

ومنه قوله تعالى: (إنّا سخَّرنا الجبالَ معه يُسَبِّحْنَ بالعشي والإشراق، والطيرَ محشورةً) [ص: ١٨ ــ ١٩] فعَدَلَ عن: مسبحات، وإن كان مطابقاً لمحشورة بهذا السبب ثم هذا المقصد إنما يجيء فيما تكون العناية به أقوى، ولاشكَّ أنّ إخراج

الحي من الميت أشهرُ في القدرة من عكسه، وهو أيضاً أول الحالين، والنظر أول ما يبدأ فيه، ثم القسم الآخر، وهو إخراج الميت من الحي ناشئ عنه، فكان الأول جديراً بالتصدير والتأكيد في النفس ولذلك هو مقدم أبداً على القسم الآخر في الذكر، على حسب ترتيبهما في الواقع.

وقال تعالى حكايةً عن سيدنا إبراهيم: (الذي خلقني فهو يهدينِ، والذي هو يطعمنِي ويسقينِ، وإذا مرضت فهو يشفينِ) [الشعراء: ٧٨ ــ ٨٠].

أتى النّظم البياني القرآني بالماضي في الخلق؛ لأنه مفروغ منه، وبالمضارع في الهداية والإطعام والإسقاء والشفاء؛ لأنها متكررة متجددة، تقع مرةً بعد مرة.

وتظهر جليّاً فوائد الجملة الاسمية في قوله تعالى:

(يا أيها الناسُ اتقوا ربكم واخشَوا يوماً لا يَجزي والدٌ عن ولدِهِ، ولا مولودٌ هو جَازٍ عن والده شيئاً) [لقمان: ٣٣].

جاءت الجملة الاسمية: (هو جازٍ) على طريق من التوكيد، لم ترد بصيغة (ولا يجزي مولود..)؛ لأنّ الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله (هو) وقوله (مولود) والسبب في ذلك: أنَّ الخطاب للمؤمنين، وعلّيتهم قُبِضَ آباؤهم على الكفر فأريد حسمُ أطماعهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة.

ومعنى التوكيد في لفظ المولود أنَّ الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته، فضلاً أن يشـــفع لأجداده، إذ الولد يقعُ على الولد وولد الولد، بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك.

وفي قوله تعالى: (ذلك يومٌ مجموعٌ لهُ الناسُ) [هود: ١٠٣].

الحكمة في اختيار كلمة (مجموع) وإيثارها على (يجُمَع): أنّ اسم المفعول

فيه دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه يوم لابد من أن يكونَ ميعاداً مضروباً لجمع الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس، وأنَّهم لا ينفكون منه.

ولهذا السرّ ورد قوله تعالى: (إنا سخرنا الجبال معه يُسَبِّحْن بالعشي والإشراق، والطيرَ محشورة) [ص: ١٨ ــ ١٩] فاستعمل الفعل حيث يليق به، واسم المفعول حيث يحسن استعماله أيضاً، ونظيره قول المتهدد: (إنك لمنهوب مالك محروب قومك)، فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل.

قال الزمخشري: وإن شئت فوازن بينه وبين قوله: (يوم يَجمعُكم ليوم الجمع) [التغابن: ٩] تعثر على صحة هذه الحكمة، ومعنى يجمعون له: يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب.

وفي قوله تعالى: (سواءٌ عليكم أدَعوتموهم أم أنتم صامتون) [الأعراف: ١٩٣].

ذكر الإمام الزمخشري الحكمة من وضع الجملة الاسمية (أنتم صامتون) موضع الفعلية: صَمَتُّم، فقال: إنهم كانوا إذا حَزَبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم، كقوله تعالى: (وإذا مَسَّ الناس ضرّ دَعَوا ربَّهم منيبين إليه) [الروم: ٣٣] فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: إذ دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم.

ومنه: (الله يستهزئ بهم) [البقرة: ١٥] لم ترد الصيغة: الله مستهزئ بهم مقابلة لقوله: (إنما نحن مستهزئون) [البقرة: ١٤]؛ لأن (يستهزئ) يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتاً بعد وقت، وهكذا كانت نكايات الله في الكفار وبلاياه النازلة بهم، نحو: (أولا يرون أنهم يُفتنون في كلّ عامٍ مرّةً أو مرتين) [التوبة: ١٢٦] وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستارٍ، وتكشف أسرار، ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينـــزل فيهم: (يحذر المنافقون أن تُنـــزَّل عليهم

سورة تنبئهم بما في قلوبهم، قل استهزؤوا إنّ الله مخرج ما تحذرون) [التوبة: ٦٤].

قال الجرجاني: إفادة المضارع الحدوث؛ لكونه فعلاً، وكونه وقتاً بعد وقت، لأنّ المضارعَ لما كان دالاً على الزمان المستقبل الذي ينقلب حالاً شيئاً بعد شيء على الاستمرار، ناسبَ أن يقصدَ به إذا وقع موقع غيره أن معنى مصدره المقارن لذلك الزمان يحدث على منواله مستمراً استمرارً تجددياً لا ثبوتياً كما في الجملة الاسمية.(٢)

وفي الحديث النبوي الشريف: «أحبُّ البيوت إلى الله بيتٌ فيه يتيمٌ يُكْرَمُ»(٣)

جاء اختيار كلمة (يكرم) بصيغة المضارع؛ لإشعارها بالتجدد الاستمراري، أي: إشعارها السامع بأن اليتيمَ من شأنه أن يكرم مرةً بعد أخرى على الاستمرار، وفي كل الظروف والمناسبات..

تقسيم معاني الكلام إلى الخبر والإنشاء:

كما انقسمت الكلمة إلى ثلاثة أنواع: اسم وفعل وحرف، انقسم الكلامُ إلى ثلاثة أنواع: خبر وطلب وإنشاء.

وضابط ذلك أنه إما أن يحتمل التصديق والتكذيب، أو لا، فإن احتملهما فهو الخبر، نحو: قام زيد، وما قام زيد، وإن لم يحتملهما فإما أن يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه أو يقترنا، فإن تأخر عنه فهو الطلب، نحو: اضرب ولا تضرب، وهل جاءك زيد، وإن اقترنا فهو الإنشاء، كقولك لعبدك: أنتَ حُرٌّ. وقولك لمن أوجب النكاح: قبلتُ هذا النكاح.

قال الإمام ابن السّيد البَطَلْيَوسي:

لم يختلف أحدٌ من المتقدمين والمتأخرين في أصول الكلام أنها ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ويسمى الفعل كلمة، ويسمى الحرف أداةً ورابطاً.

فأما معاني الكلام الذي يتركب من هذه الأصول فإنّ المتقدمين والمتأخرين

قد اختلفوا في أقسامها؛ كم هي؟ فزعم قوم أنها لا تكاد تنحصر، ولم يتعرّضوا لحصرها، وهو رأي أكثر النحويين البصريين..، وزعم قوم أن الكلام كلَّه قسمان: خبر، وغير خبر، وهذا صحيح؛ ولكن يحتاج كل واحد من هذين القسمين إلى تقسيمٍ آخر. وزعم آخرون أنها عشرة:

نداء، ومسألة، وأمر، ونهي، وتشفّع، وتعجّب، وقَسَم، وشرط، وشكٌّ، واستفهام.

وزعم آخرون أنها تسعة فأسقطوا الاستفهام؛ لأنهم رأوه داخلاً في المسألة، وزعم قوم أنها ثمانية، وأسقطوا التشفّع؛ لأنهم رأوه داخلاً في المسألة كدخول الاستفهام، وزعم قوم أنها سبعة، وأسقطوا الشك؛ لأنه من قسم الإخبار، وزعم آخرون أنها ستة فأسقطوا الشرط؛ لأنهم رأوه من قسم الإخبار، وكان أبو الحسن الأخفش يرى أنه ستة، وهي عنده: الخبر والاستخبار والأمر والنهي والنداء والتمني.

وقال قوم: هي خمسة: قول جازم وهو خبر وأمر وتضرع وطلب ونداء.

وقال جماعة من النحويين: الكلام أربعة؛ خبر واستخبار وطلب ونداء، فجعلوا الأمر والنهي داخلين تحت الطلب، والتمني داخلاً تحت الخبر.

وقال آخرون: أقسام الكلام أربعة؛ أمر واستخبار وخبر ورغبة.

وقال قوم: هي ثلاثة: أمر واستخبار وخبر، وجعلوا الرغبة داخلة في الأمر.[٤]

أقسام الكلام عند الجاحظ:

لعلَّ من أوائل من ذكر تقسيم الكلام الجاحظ، وقد استدل على أنَّ الكلام ثلاثةُ أقسام بقوله تعالى: (أفترى على الله كذباً أم به جِنَّةٌ) [سبأ: ٨].

فالتقسيم: صدق، كذب، لا صدق ولا كذب.

ووجه الاستدلال منه على القسم الثالث أن قوله: «أم به جنة» لا جائز أن يكون كذباً؛ لأنه قسيم الكذب، وقسيم الشيء غيره، ولا جائز أن يكون صدقاً؛ لأنهم لم يعتقدوه، فثبت قسم ثالث.[٥]

مواقع الجمل الخبرية والإنشائية:

اشترط النحاةُ في بعض الجمل الخبريَّةَ، وفي بعضها الإنشائية؛ فالأول: كثيرٌ، كجملة الصلة والصفة والحال والجملة الواقعة خبراً لـ(كان)، أو خبراً لـ (إنَّ) أو لضمير الشأن، قيل: أو خبراً للمبتدأ أو جواباً للقسم غير الاستعطافي.

ومن الثاني: جواب القسم الاستعطافي كقوله:

بِرَبِّكَ هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلى قُبَيلَ العصرِ أو قَبَّلْتَ فاها

وما وَرَدَ من هذه الجمل الطلبية، ووهم فيه بعض المعربين فجعله حالاً أو صفةً مثلاً، له توجيه دقيق عند أرباب المعاني، ومثال ذلك قول الشاعر:

اطلُبْ ولا تضجَرَ مِن مَطلَبٍ فآفَةُ الطالبِ أن يضجَرا

أما ترى الحبل بِتَكْراره في الصّخرة الصمَّاء قد أثّرا

فالجملة الحالية شرطها الأول أن تكون خبريةً، وغَلِط من قال إنَّ جملة (ولا تضجر) حالية، و(لا): ناهية، وهذا مخالف لما وقع عليه الإجماع من النحاة من أنه يشترط في جملة الحال أن تكون خبرية، ولا يجوز أن تكون طلبية أصلاً، والصواب المطابق لهذا الإجماع أن يجعلَ الواو عاطفة نحو قوله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) [النساء: ٣٦]. والفعل (تضجر) مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة، المحذوفة، في محل جزم، أو الواو واو المعيّة و(لا) بعدها نافية، والمضارع منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية..[٦]

قال الفارسّي: والعربُ يوقعون الجملَ المركبة تركيب الدعاء والأمر والنهي والاستفهام التي لا يصلح أن يقال فيها صدق ولا كذب موقعَ الجمل

الخبرية، التي يجوز فيها الصدق والكذب كنحو ما أنشد:

ولو أصابتْ لقالتْ وهي صادقة إنّ الرياضةَ لا تُنْصِبُك للنّسبِ

فأوقع النهيَ موقعَ الخبر، خبر إنَّ. وقال آخر:

ألا يا أمّ فارع لا تلومي على شيءٍ رفعْتُ به سَمَاعي

وكوني بالمكارم ذَكّريني وذلّي دلّ ماجدةٍ صنَاع

الشاهد الجملة الأمرية (ذكّريني) جاءت خبراً لـــ(كان).[٧]

وقال الرّاجز: فإنما أنت أخٌ لا نعدمُهُ.

فأوقع الجملةَ التي هي (لا نعدمه) ومعناها الدعاء موقع الصفة لأخ حملاً على المعنى، كأنه قال: إنما أنت أخ ندعو له بأن لا يعدم..

هذا في مجال الشعر، وقد جاء في القرآن الكريم والكلام الفصيح، فمن ذلك قول الله تعالى: (قُلْ من كان في الضلالةِ فلْيَمْدُدْ له الرحمنُ مدّاً) [مريم: ٧٥].

جملة (فليمدد) دعاء عليه، بأن يمهله اللهُ وينفّس في مدة حياته وقد جاءت خبراً.

التعليل البلاغي لمواقع الخبر موقع الإنشاء:

قال التفتازاني: قد يقع الخبر موقع الإنشاء لمقاصد عديدة، منها:

ــ التفاؤل: ويأتي بصيغة الماضي على أنه من الأمور الحاصلة التي حقُّها أن يُخبَر عنها بأفعال ماضية، كقولك: وفّقَكَ الله للتقوى.

ــ إظهار الحرص في وقوعه: فالطالب لشيءٍ إذا عظمت رغبته في هذا الشيء كثُر تصوُّره إياه، فربما يخيل إليه حاصلاً فيورده بلفظ الماضي، كقولك: رزقني الله لقاءك.

ــ الدعاء بصيغة الماضي من البليغ، نحو: رحمه الله وغفر له.

ـ الاحتراز عن صورة الأمر: كقول العبد للمولى: «ينظر المولى إليّ ساعةً» دون أن يقول: انْظر إليّ؛ لأنه في صورة الأمر، وإن كان دعاءً أو شفاعةً في الحقيقة.

ـ حمل المخاطب على المطلوب بأن يكون المخاطب ممّن لا يحب أن يكذّب الطالبَ، كقولك لصاحبك الذي لا يحب تكذيبك: «تأتيني غداً» مقام: ائتني غداً، تحمله بألطف وجه على الإتيان؛ لأنه إن لم يأتك غداً صرت كاذباً من حيث الظاهر، لكون كلامك في صورة الخبر، فالخبر في هذه الصورة مجاز؛ لاستعمالها في غير ما وضع له..

ـ القصد إلى المبالغة في الطلب، حتى كأنّ المخاطب سارع في الامتثال..

ـ القصد إلى استعجال المُخَاطَب في تحصيل المطلوب.

ـ التنبيه على كون المطلوب قريب الوقوع في نفسه؛ لقوّة الأسباب المتآخذة في وقوعه، ونحو ذلك من الاعتبارات التي مقصدها العام: أبلغ الكلام ما تعدّدت وجوه إفادته[٨].

التعليل النحوي:

ذكر ابن هشام في قوله تعالى: (والمطلقاتُ يتربصْنَ بأنفُسهنَّ ثلاثة قُروء) [البقرة: ٢٢٨]. وقوله: (والوالداتُ يُرضعنَ أولادهن حولين كاملين) [البقرة: ٢٣٣].

(يتربصْنَ) و(يرضعْنَ): فعلان مضارعان في موضع رفع، لخلوهما من الناصب والجازم، ولكنهما لمّا اتصلا بنون النسوة بنيا على السكون، وهذان الفعلان خبريان لفظاً طلبيّان معنى، ومثلهما: (يرحمك الله) وفائدة العدول بهما عن صيغة الأمر؛ التوكيد، والإشعار بأنهما جديران بأن يُتَلَقَّيا بالمسارعة، فكأنهن امتثلن، فهما مخبر عنهما بموجودين.[٩]

وفي قول الشاعر:

فَدت نفسي وما ملكتْ يميني فوارسُ صدَّقتْ فيهم ظُنوني

جاء قوله (فدت نفسي) لفظه الخبر، والمعنى: معنى الدعاء.

ويبرز معنى الدعاء جليّاً في قوله تعالى عن المنافقين: (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) [التوبة: ١٢٧] فصيغة (صرف الله قلوبهم) صيغة الفعل الماضي والمراد الدعاء.

ومن ورود الطلب بلفظ الماضي والمعنى الأمر قول العرب: اتقى الله امرؤ فَعلَ خيراً يُثَبْ عليه، والمعنى: ليتق وليفعل، ولكونه بمعنى الأمر جيء بعده بجوابٍ مجزوم، كما يُجَاء بعد الأمر الصريح[١٠].

الجملة الإنشائية خبر لـــ(إنَّ):

وردت الجملة الإنشائية خبراً لإنّ وأخواتها، في الشواهد التالية:

١ ــ قوله تعالى: (إنهم ساء ما كانوا يعملون) [المنافقون: ٢]، جملة (ساء) الخبر.

٢ ــ قوله سبحانه: (إنّ الله نِعِمَّا يعظكم به) [النساء: ٥٨]، جملة (نعمّا) هي الخبر.

٣ ــ قول الشاعر:

إنّ الذين قتلتم أمسِ سيِّدهم لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما

الجملة الطلبية (لا تحسبوا) هي الخبر.

ولا داعي لتكلّف قول محذوف يقع خبراً لإنّ، وتقع هذه الجملة الإنشائية معمولة له، فيكون الكلام من باب حذف العامل وإبقاء المعمول، والتقدير: إنّ الذين قتلتم أمس سيدهم مقولٌ فيهم لا تحسبوا.. وهذا تكلُّف والتزام ما لا لزوم له.

وقد انفردت (أنْ) المفتوحة المخفّفة بجواز وقوع خبرها جملة إنشائية وهو

مقيس فيما إذا خففت، نحو قوله تعالى: (وأنْ عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) [الأعراف: ١٨٥]. وقوله جلّ شأنه: (والخامسةُ أنْ غَضِبَ اللهُ عليها) [النور: ٩].

كما ترد الجملة الاعتراضية محققةً هذا المعنى كقول الشاعر:

إنّ الثمانين ــ وبلّغتَها ــ قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وقال شارح الآجرومية:

يبدأ المصنفون كتبهم بـــ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد:

فجملة (الحمد لله) خبرية لفظاً، إنشائية معنى، إذ المراد بها إيجاد الحمد، أي: الثناء على الله تعالى بأنه مالك لجميع الحمد من جميع الخلق المتضمن ذلك الثناء عليه بأنه المتصف بكل كمال، والمنــزَّه عن كل نقص، وكذلك جملة: (الصلاة والسلام) وجملة البسملة، فإنها خبرية لفظاً، إنشائية معنى؛ لأنّ القصد الثناء على الله بمضمونها من أنه لا يبتدأ إلا باسم الله الرحمن الرحيم[١١].

وكثير من أساليب العربية يجري وفقَ الحمل على المعنى، مثال ذلك أنهم يقولون في معنى التعظيم والتعجب: أيُّ رجلٍ أنت! المعنى: ما أكملَكَ، فصورته صورة الاستفهام ومعناه التعجب، ولذلك لايجاب مثل هذا الاستفهام، فقد غيّروه عن الاستفهام إلى غيره.

قال أبو حيان الأندلسي: وكثير من لسان العرب أن يكون الكلام لفظُهُ مخالفاً لمعناه، ألا ترى مجيء الأمر بصورة الخبر، ومجيء الخبر بصورة الأمر.

توجيه آخر للجملة في تركيب الكلام:

قال الراغب الأصبهاني في (مفردات القرآن):

«جملة الكلام المركب ثلاثة أضرب، ضرب لاختصار الكلام، نحو قوله

تعالى: (وإنْ خفتُم ألّا تُقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طـاب لكـم) [سورة النساء: ٣]، وضرب لبسطه نحـو قولـه تعالى: (ليس كمثله شيء) [الشورى: ١١] لأنه لو قيل: ليس مثلَه شيءٌ كان أظهر للسامع، وضرب لنظم الكلام نحو: (أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً قيّماً) [الكهف: ١ ــ ٢] تقديره: أنزل على عبـده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجاً[١٢]».

مقامات الكلام:

إنّ مقامات الكلام متفاوتة، فإنّ مَقَام الإيجاز يباين مقام الإطناب و المساواة، وخطابُ الذكي يباين خطابَ الغبي، فكما يجب على البليغ في موارد التفصيل والإشباع أن يفصّل ويشبع، فكذلك الواجب عليه في خطاب الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز، أنشَدَ الجاحظ:

يرمون بالخطبِ الطّوالِ وتارةً وحْيَ الملاحظِ خيفةَ الرُّقباء[١٣]

اللغة الانفعالية:

للّغة الانفعالية تأثيـرٌ في اللغة النحوية، فالانفعالية لا تنفكُّ تكسو عبارة الفكر المنطقية وتلوّنها، إذ لا يكرر المرء مطلقـاً جملـةً واحـدةً بعينـها مرتين، ولا يستعمل كلمة بعينها مرتين بنفس القيمة؛ لأنه لا يوجد مطلقاً واقعتان لغويتان تتماثلان تماثلاً تاماً، ويرجع السبب في ذلـك إلـى ظروف دائبة على التعديل من أحوال انفعاليتنا[١٤].

لكل كلمة مع صاحبتها مقام:

يذكر علماء المعاني أن أصلَ الكلام البليغ وارتفاع شأنه في الحسن والقبول يتم بمطابقته لنظم الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ليس لها ما يشارك تلك المصاحبة في أصل المعنى، مثلاً: الفعل الذي قصد اقترانه بالشرط، له مع كل من أدوات الشرط مقام ليس له مع الآخر، ولكل من أدوات الشـرط مثلاً مع الماضي مقام ليس له مع المضارع، وكذلك كلمات الاستفهام والمسند إليه كزيد

مثلاً له مع المسند المفرد اسماً أو فعـلاً، ماضياً أو مضارعاً مقام، ومع الجملة الاسميـة أو الفعليـة أو الشرطية أو الظرفية مقام آخر، إذ المراد بالصاحبة الكلمة الحقيقية أو ما هو في حكمها وأيضاً له مع المسند السبـبي مقام ومع الفعل مقام آخـر، إلى غير ذلك.

هكذا ينبغي أن يتصور هذا المقام، فجميع ما يذكر من التقديم والتأخير والإطلاق والتقييد وغير ذلك اعتبارات مناسبة.(١٥)

والذي يُعنى بدراسةِ هذه المباحث خاصة هم علماء الدلالة الذين ينطلقون من توضيح معنى الكلمة الواحدة، ثم أسرار ارتباطها بالتركيب، ثم أسرار ارتباط التركيب بغيره من التراكيب والجمل؛ لتبدو الدراسة للنـص دراسة متكاملة.

أثرُ عِلمِ المعاني في بَلاغة الكلام:

نستطيع هنا بعد الدراسة السابقة أن نُلَخِّص لك مباحث علم المعاني في أمرين اثنين:

الأول: أنه يبيِّن لك وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، ويُريك أن القول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائمَ المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي أُلقي عليه، وقديماً قال العرب: لكل مقام مقال.

فقد يؤكد الخبر أحياناً، وقد يُلقى بغير توكيد، على حسب حال السامع مِنْ جَهْل بمضمون الخبر أو تردد أو إنكار. ومناهضة هذا الأصل بلا داع نُشوزٌ عما رُسم من قواعد البلاغة. انظر إلى قوله تعالى في شأن رُسـل عيسى ــ عليه السلام ــ حين بعثهم إلى أهل أنطاكية:

(واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أصْحابَ القَرْيةِ إذْ جاءَها المُرْسَلونَ، إذْ أرْسلْنَا إليْهِمُ اثْنيْن فكذَّبُوهُما، فَعزَّزْنَا بثالِثٍ، فَقَالُوا إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُون، قالُوا ما أنْتُمْ إلاَّ بشَرٌ مِثْلُنَا،

وما أَنْزلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيءٍ إنْ أَنْتُمْ إلاَّ تَكْذِبُونَ، قَالوا ربُّنَا يعْلَمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسلُون) [يس: ١٣ــ١٦]

فإنّ الرسل حين أحسُّوا إنكارهم في المرة الأولى اكْتفوْا بتأكيد الخبر «بإنّ»، فقالوا: «إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُون»، فلما تزايد إنكارهم وجحودُهم قالوا: «ربُّنَا يعْلَمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسلُون»، فأكدوا بالقَسم وإنّ واللام.

وقد تَخْفى هذه الحقائق على غير أهل اللغة، رُوِي أن الكِنْدِيَّ [١٦] ركِب إلى أبي العباس المبرِّد وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً!. فقال أبو العباس: أيْن وجدت ذلك؟ فقال: وجدتهم يقولون: «عبد الله قائم» ثم يقولون: «إن عبدَ الله قائم» ثم يقولون: «إنّ عبد الله لقائم» فالألفاظ مكررة والمعنى واحد؛ فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة، فالأول: إخبارٌ عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال، والثالث: رَدٌّ على منكر.

كذلك يوجب علم المعاني أن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم ونصيبه من اللغة والأدب، فلا يُجيزُ أن يخاطب العاميُّ بما يخاطبُ به الأديب المُلِمُّ بلغة العرب وأسرارها.

قال بعضهم لبشـــار بن بُرْد: إنك لَتَجيءُ بالشيء الهجين المتفاوت؛ قال: وما ذاك؟ قال: بينما تثير النقْع وتَخْلَعُ القلوب بقولك:

إذَا ما غضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً هتَكْنَا حِجاب الشمس أو تقطِرُ الدِّمَا

إذَا ما أعرْنَا سيِّداً مِنْ قَبيلَةٍ ذُرا مِنْبَرٍ صلّى علينَا وسلَّما

نراك تقول:

ربابةُ ربَّةُ البيْتِ تصُبُّ الخلَّ في الزَّيْتِ

لَهَا عشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ حسنُ الصَّوْتِ

فقال بشار: لكلٍّ وجْهٌ وموْضع؛ فالقول الأول: جدٌّ؛ والثاني قلتُه في ربابة

جاريتي، وأنا لا آكل البيْض من السوق. وربابة لَهَا عشر دجاجات وديكٌ فهي تجمع لي البيض. فهذا القول عندها أحسنُ من: «قِفَا نَبك مِنْ ذكرى حبيب ومنْزلِ» عندك!.

وكثيراً ما تجد الشَّاعر يسْهُلُ أحياناً ويلين حتى يُشْبه شعره لغة الخطاب، ويخشُن آونة ويصلُب حتى كأنه يقذفك بالجَلْمَد (الصخر)، كل ذلك على حسب موضوعه الذي يقول فيه والطبقة التي يُنشدها شعرَه. ومن خير الأمثلة لهذا الموضوع أبو نواس، فإنه في خمرياته غيرُه في مدائحه ووصفه.

واعتبر هذا الأصل بما كان من النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لما أراد أن يَكتب إلى مَلك فارس اختار أسهل الألفاظ، وأوضحها؛ فقال:

«من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأدعوكَ بدعايةِ الله، فإني أنا رسول الله إلى الخلق كافَّة لينذر من كان حيَّاً ويحِقّ القولُ على الكافرين، فأسلمْ تسلم، فإن أبيْتَ فإثمُ المجوس عليك».

وحين أراد أن يكتب إلى أُكَيْدِر صاحبِ دومةِ الجنْدل فَخَّم الألفاظ، وأتى بالجزْل النادر فقال:

«من محمد رسول الله لأُكيْدِر حين أجاب إلى الإسلام وخلَع الأنداد والأصنام، إن لنا الضَّاحيةَ من البَعْل والبُور والمَعامَى وأغفالَ الأرض والحَلْقةَ والسلاح، ولكم الضَّامِنَةُ من النَّخل والمعين[١٧] من المعمور، لا تُعْدل سارِحَتُكم ولا تُعَدُّ فارِنَتُكم[١٨] ولا يُحْظَرُ عليكم النَّبات، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه».

وتكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضاً فيما يتصرف فيه القائل من إيجاز وإطناب: فللإيجاز مواطنه، وللإطناب مواقعه، كل ذلك على حسب حال السامع وعلى مقتضى مواطن القول؛ فالذكيّ الذي تكفيه اللَّمحة يحسن له

الإيجاز، والغبي أو المكابر يجمل عند خطابه الإطناب والإسهاب.

وإذا تأملت القرآن الكريم رأيته إذا خاطب العرب والأعراب أوجز كلّ الإيجاز، وأخرج الكلام مخرج الإشارة والوحْي، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم أسهب وأطنب؛ فمما خاطب به أهل مكة قوله تعالى: (إنَّ الذين تدْعُون منْ دُون الله لَنْ يخْلُقُوا ذُباباً ولَوِ اجْتَمعُوا لَهُ، وإنْ يسْلُبْهُمُ الذبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقذُوهُ منْهُ، ضَعُفَ الطَّالب والْمطْلوبُ) [الحج: ٧٣].

وقلَّما تَجدُ خِطاباً لبني إسرائيل إلّا وهُو مسهب مطوّلٌ؛ لأن يهودَ المدينة كانوا يرون أنفسهم أهل علم وأهل كتاب، فتجاوزوا الحدّ في المكابرة والعناد، وقد يكون القرآن الكريم نزَّلَهم منـــزلة قصار العقول فأطنب في الحديث إليهم، ويشهد لهذا الرأي ما حكاه عنهم وعن مقدار معرفتهم بما في أسفارهم.

وللإيجاز مواطن يحسن فيها، كالشكر والاعتذار والتعزية والعتاب إلى غير ذلك، وللإطناب مواضع؛ كالتهنئة و الصلح بين فريقين والقَصص والخطابة في أمر من الأُمور العامة، وللذوق السليم القولُ الفصل في هذه الشؤون.

أما الأمر الثاني الذي يبحث فيه عِلْم المعاني: فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن؛ فإنه يريك أنّ الكلامَ يفيد بأصل وضعه معنىً، ولكنّه قد يؤدي إليك معنى جديداً يفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها، فيقول لك: إنَّ الخبر قد يفيد التحسُّر، والأمر قد يفيد التعجيز، والنهي قد يفيد الدعاء، والاستفهام قد يفيد النفي، إلى غير ذلك.

ويقول لك: إنّ الخبر قد يلقى مؤكداً لخالي الذهن، وقد يلقى غير مؤكد للمنكر الجاحد؛ لغرض بلاغي بديع، أراده المتكلم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام.

ويرشدك علمُ المعاني إلى أن القصر قد ينحو فيه الأديب مناحيَ شَتَّى، كأنْ يتجه إلى القصر الإضافي رغبةً في المبالغة، فيقول المفائل:

وما الدنيا سِوىَ حُلْمٍ لذيذ تُنَبِّهُهُ تَباشِيرُ الصَّباح

ويقول المتنبئ:

هل الدَّهْرُ إلّا ليلَةٌ طال سُهْدُها تنَفَّسُ عنْ يوْمٍ أحمَّ عصيب

وقد يكون من مرامي القصر التعريضُ كقوله تعالى: (إنما يتذكرُ أُلو الأَلباب) [الزمر: ٩] إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين وأنهم لفرط عنادهم وغلبة الهوى عليهم في حكم من لا عقل له.

ويَهديك علم المعاني إلى أنّ من أغراض الفصل في بعض أنواعه تقريرَ المعنى وتثبيته في ذهن السامع، كما في الفصل لكمال الاتصال وشبهه.

ولعل في هذه الكلمة الموجزة مَقنعاً في بيان ما لعلم المعاني من الأثر في بلاغة الكلام، وما يَمُدُّ به الناشئ في الأدب من أساليب، وما يرسمُ له من طُرُق لحسن تألفها واختيار الأحوال والمواطن التي تقال فيها. (١٩)

الحواشي:

١ ــ دلائل الإعجاز: ١٣٥ ــ ١٣٦.

٢ ــ الكشاف: ١/ ١٨٨.

٣ ــ الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٦٠ وعزاه للطبراني.

٤ ــ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ١٩ ــ ٢٠. وانظر الإتقان ٢/٦٠.

٥ ــ الدر المصون ٩/ ١٥٩.

٦ ــ انظر أوضح المسالك ٢/ ١٧٨.

٧ ــ همع الهوامع ٢ /٦٠، وانظر الخزانة ٤/٢٩٥، وأمالي الشجري ١/٣٣٢.

٨ ــ المطوّل للتفتازاني: ٢٤٦.

٩ ــ شرح شذور الذهب: ٩٠.

١٠ ــ الكتاب ١/٣٢٠.

١١ ــ شرح متَمّمة الآجروميّة ١/ ٣.

١٢ ــ المفردات: (شبه) ٢٥٤ والإتقان ٢ /٥.

١٣ ــ البيان والتبيين ١ /١٨٠.

١٤ ــ النحو العربي ٧٧.

١٥ ــ المطوّل: ٢٦.

١٦ ــ هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق فيلسوف العرب، كان معاصراً للمأمون والمعتصم والمتوكل وله عندهم منــزلة سامية، برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم، نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره، وحذا في تأليفه حذو أرسطو.

١٧ ــ الضاحية (من النخل): النخلة الظاهرة البارزة الخارجة عن أسوار المدينة والعمران.

البعل: النخل الراسخة عروقه في الأرض. البور: الأرض الخراب التي لا تزرع. المعامي: جمع معمي وهي الأرض المجهولة. أغفال الأرض: الأراضي التي لا أثر للعمارة فيها. الحلقة بسكون اللام: السلاح عاماً. الضامنة من النخل: ماكان داخلاً في العمارة وأطاف بها سور المدينة. المعين: الماء الجاري على وجه الأرض، وقيل: الماء العذب الكثير.

١٨ ــ لا تعدل سارحتكم: السارحة: الماشية، يريد أن ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده. لا تعد فاردتكم: الفاردة: الزائدة على الفريضة، يقول: لا تضم فاردتكم إلى غيرها فتعد معها وتحسب.

١٩ ــ انظر البلاغة الواضحة: ٢٧٨ ــ ٢٨٠.

البحث العاشر

مـــــــــــن

بلاغة الجملة

العربيّة

- الجملة بين الحذف والإثبات.
- تعدّد الجمل.
- المجاز في دلالات الجمل.
- بلاغة الكلام.
- التعقيد في الكلام.
- ضعف التأليف.
- الألفاظ والمعاني.
- المطابقة بين اللفظ والمعنى.
- المعنى ومعنى المعنى.

الجملة بين الحذف والإثبات

ذكر علماء البلاغة أنَّ الإيجاز والإطنابَ من أعظم أنواع البلاغة، حتى نَقل صاحب سرّ الفصاحة عن بعضهم أنه قال: البلاغةُ: هي الإيجاز والإطناب، وقال الزمخشري:

كما أنه يجب على البليغ في مظانِّ الإجمال أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يُفصِّلَ ويشبعَ، وجعل الجاحظ مدار البلاغة عند العرب على هذين القطبين فأنشد:

يرمون بالخُطبِ الطّوال وتارةً وَحْيَ الملاحظ خيفةَ الرُّقباءِ

أولاً ــ الإيجاز:

المعهود في أبحاث النحو أن يتعرّض النحويّون إلى أوجه الاختصار في مفردات العربية، فيبّينون حذف المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والحال وغيرها.

ومعرفةُ هذا الحذف لا تخفى على البلغاء الذين عرفوا أصول التراكيب العربية، وثقفوها صناعةً، أمَّا أن يتطرّق أسلوب الاختصار إلى حذف الجمل فهو ــ لاشك ــ بلاغةٌ عظيمة وسرٌّ من أسرار اللغة وبيانها المعجز.

قال ابن هشام:[1] «الموضوع لتقوية الكلام لايناسبه الحذف»؛ فالحذف إنّما هو للاختصار والإيجاز.

وقال الجرجاني في الحذف:

هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به تركَ الذكر أفصح من الذكر، والصمتَ عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدُك أنطق ماتكون إذا لم تنطق، وأتم ماتكون بياناً إذا لم تبن، وهذه جملة قد تُنْكرها حتى تَخْبُرَ، وتدفعها حتى تنظرَ...[2]

وذكر الإمام ابنُ جني في الخصائص باباً في: (شجاعة العربية) قال فيه:[٣]

قد حذفت العربُ الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، وإلّا كان فيه ضرب من تكلُّف علم الغيب في معرفته.

فأما الجملة فنحو قولهم في القسم: والله لأفعلن، وتالله لقد فعلت، وأصله: أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال ــ من الجار والجواب ــ دليلاً على الجملة المحذوفة.

وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتّحضيض، نحو قولك: زيداً، إذا أردت: اضرب زيداً أو نحوَه، ومنه: إيّاك، إذا حذّرته، أي: احفظ نفسَك ولا تُضيعها، والطريقَ الطريقَ، وهلاّ خيراً من ذلك.

وقد حُذِفَت الجملة من الخبر، نحو قولك: القرطاسَ والله، أي: أصاب القرطاس. وخيرَ مَقدَم، أي: قَدِمْتَ خيرَ مقدَم.

وكذلك الشرط في نحو قوله: (الناس مجزيون بأفعالهم إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّ)، أي: إن فعل المرء خيراً جُزي خيراً، وإن فعل شراً جُزي شراً.

وذكر ابنُ جني حول حذف الجملة أنّ الفعلَ يُحذف والفاعل فيه، فإذا وقع ذلك فهو حذف جملة، وذلك نحو: زيداً ضربته؛ لأنك أردت: ضربتُ زيداً، فلما أضمرت (ضربت) فسّرته بقولك ضربته، وكذلك قولك: أزيداً مررت به، وقولهم: (المرء مقتول بما قتل به إن سيفاً فسيف، وإن خنجراً فخنجر)، أي: إن كان الذي قُتِل به سيفاً فالذي يُقتل به سيفٌ، فكان واسمها وإن لم تكن مستقلة فإنها تعتد اعتداد الجملة.

قاعدة في حذف الجمل:

يجوز حذفُ جمل القسم والشرط والخبر مع صحة المعنى بدونها، إذا كان الموضعُ الذي جاز فيه الحذف مستعملاً فيه ثبوت هذه الجمل، وفهم المعنى، واستعملته العرب باطراد...

حذف المفرد أسهل من حذف الجملة:

ذكر ابن الشجري في قوله تعالى في مدح سليمان وأيوب: (نعْم العبَدُ) [ص: ٣٠] وأراد نعم العبد سليمان، ونعم العبد أيوب، ولكن المقصود بالمدح قد يحذف تخفيفاً إذا تقدم ذكره، وحذفه يقوّي قول من يرى رفعه بالابتداء، لأنّك إن جعلته خبر مبتدأ مقدر كان الحذف واقعاً بجملة، وحذف المفرد أسهل من حذف الجملة.(٤)

حذف الكلام بجملته:

المشهور من بلاغة العربية حذف المفردات، وأما حذف الكلام بجملته فهو من أرقى البلاغة، وقد تتبع العلماء هذا الحذف فقالوا: يقع ذلك باطِّراد في مواضع:

أحدها: بعد حرف الجواب، وأحرف الجواب: نعم، لا، أجل، بلى، جَيْرِ، إنّ.

يقال: أقام زيد؟ فتقول: نعم، وألم يقم زيد؟ فتقول: نَعَمْ، إن صدّقت النفي، وبلى، إن أبطلت النفي، ومن ذلك قول بعض الأغفال:

قالتْ: أراك هارباً للجَور من هدّة السُّلطانِ؟ قلت: جَيْرِ

ومن ذلك قوله:

قالوا: أخفت؟ فقلت: إنّ وخيفتي ما إن تزالُ منوطةً برجائي

فإنَّ (إنَّ) هنا بمعنى: نعم.

الثاني: بعد نعم وبئس إذا حذف المخصوص، وقيل: إنّ الكلام جملتان نحو (إنا وجدناه صابراً نِعْمَ العبدُ) [ص: ٤٤].

الثالث: بعد (إنْ) الشرطية، كقوله:

قالت بناتُ العمِّ: يا سلمى وإنْ كان فقيراً مُعدِماً؟ قالت: وإنْ

أي: وإن كان فقيراً معدِماً رضيته.

الرابع: في قولهم افعل هذا إمّالا، أي: إن كنت لاتفعل غيره فافعله.

الخامس: في نحو:

إنْ يكن طِبُّكَ الدّلال فلو في سالفِ الدهرِ والسّنين الخوالي

أي: إن كان عادتك الدلال، فلو كان هذا فيما مضى لاحتملناه منك.(٥)

وفي «إعراب القرآن» المنسوب للزّجاج:

«هذا بابُ ماورد في التنــزيل من إضمار الجمل، قال: ولاشكّ أنّك قد عرفت الجمل، ألا ترى أنهم عزموا أنّ الجمل اثنتان: فعلية واسمية، وقد ورد القبيلان في التنــزيل.

وذكر سيبويه إضمار الجمل في مواضع، من ذلك قوله: (العباد مجزيّون بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر) أي: إن عملوا خيراً فالمجزيُّ به خير. ومثله: (هذا ولاَ زَعماتِك) أي: ولا أتوهَّم زعماتِكَ.

ومن ذلك قوله عز وجل: (بسم الله الرحمن الرحيم) [الفاتحة: ١]. قال: التقدير: أبدأ باسم الله، أو: بدأت باسم الله، وابدأ بسم الله أو بسم الله بدأت...

ومنه (وإذْ قال ربُّك) [البقرة: ٣٠] أي: واذكر إذ قال ربك... وجميع (إذ) في التنــزيل أكثره على هذا...»

ثم ذكر شواهد عديدة حول حذف الجملة المعطوفة وإضمار جمل القول. وإضمار الجمل المحذوفة للاكتفاء، وإضمار جمل جواب لو، وإضمار الجمل الواقعة في جواب الشرط الجازم، وحذف جمل جواب لمّا...(٦)

وقال ابن النقيب: المحذوفات على قسمين: جمل ومفردات.

أما الجمل فهي على قسمين: موجزة ومطولة؛ فالموجزة مثل قوله تعالى: (واللائي يَئِسْنَ من المحيضِ من نسائكم إنِ ارتبتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثةُ أشهرٍ، واللائي لم يَحضْنَ) [الطلاق: ٤]. تقديره: واللائي لم يحضن فعدتهنَّ كذلك.

وأما الجمل المطولة فكقوله تعالى: (اذهبْ بكتابي هذا فألْقه إليهم) [النمل: ٢٨]. فأعقبه بقوله حكايةً عنها: (قالت يا أيها الملأُ إني أُلْقِيَ إلَيَّ كتابٌ

كريمٌ) [النمل: ٢٩]. تقديره: فأخذ الكتاب فألقاه إليهم فرأته المرأة بلقيس وقرأته، وقالت: (يا أيها الملأ)...

ومن ذلك قوله تعالى: (يا يحيى خُذ الكتابَ بقُوَّة وآتيناه الحكمَ صبياً) [مريم: ١٢] فيه محذوف مطوّل تقديره: فلما وُلِد يحيى ونشأ وترعرع قلنا له: يا يحيى خذ الكتاب بقوة.

ومن ذلك قوله تعالى: (أَفَمَنْ شرحَ اللهُ صدرهُ للإسلامِ فهو على نورٍ من ربِّه) [الزمر: ٢٢]. فيه محذوف تقديره: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه وتركه على ظلمة من كفر؟، ودل على هذا المحذوف قوله تعالى: (فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهم من ذكرِ اللهِ) [الزمر: ٢٢] وذلك في القرآن العظيم كثير جدا.(٧)

ثانياً: الإطناب

الإطناب في اللغة: يدور حول معنى الإطالة والإكثار والطول والكثرة والزيادة عن المعتاد(٨).

والإطناب في اصطلاح البلاغيين: كون الكلام زائداً عمّا يمكن أن يؤدّى به من المعاني في معتاد الفصحاء لفائدة تُقصدُ.

ومن موارد الجمل المراد بها الإطناب ما جمع البسط والزيادة بتكثير الجمل وبسط المعاني واستعمال كلام طويل يغني عنه كلام قصير، كقوله تعالى: (إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر، بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابة وتصريف والرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقومٍ يعقلون). [البقرة: ١٦٤].

أطنب في الآية أبلغ إطناب؛ لكون الخطاب مع الثقلين، وفي كل عصر وحين، للعالِم منهم والجاهل، والموافق منهم والمنافق.

ومن ذلك قوله تعالى: (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) [غافر: ٧]، فقوله: (ويؤمنون به) إطناب؛ لأن إيمان حملة العرش معلوم، وحسّنه إظهار شرف الإيمان وترغيبه فيه..

ومنه: (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) [فصلت: ٦ـ٧]، وليس من المشركين مُزكٍّ، والنكتة فيه الحثّ للمؤمنين على أدائها والتحذير من المنع، حيث جُعل من أوصاف المشركين[٩].

ومما يدخل في فلك الإطناب الاستقصاء، وهو أن يتناول المتكلّم معنى فيستقصيه، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية، بحيث لا يتركُ لمن يتناوله بعده فيه مقالاً.

وأبرز شواهده قوله تعالى: (أيودّ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) [البقرة: ٢٦٦].

تعدُّد الجُمَل:

من البلاغة العربية في مبحث الإطناب تعدّد الجمل التي لها محل من الإعراب، والتي ليس لها محل، كالجمل الاستئنافية خاصّةً.

فمن تعدد الجمل الواقعة خبراً لمبتدأ قوله تعالى: (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) [الرحمن: ١ ــ ٤]، توالى ثلاث جمل: (علم القرآن)، خبر أول، (خلق الإنسان) خبر ثان، (علمه البيان) خبر ثالث..

ومن تعدد جملة الصفة قول الشاعر:

ألا عمر ولّى مُستطاعٌ رجوعُه فيرأب ما أثأت يدُ الغفَلاتِ

فجملة (ولّى) في محل نصب صفة أولى لعمر، والجملة الاسمية (مستطاع رجوعه) في محل نصب صفة ثانية لعمر.

ومن تعدد جمل الحال قوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) [الأنبياء: ٢] جملة (استمعوه) حال أول، (وهم يلعبون) حال ثانٍ.

المجاز في دلالات الجمل:

لبلاغة الجملة مفاهيمُ عديدةٌ في مجال علم النحو وعلم البيان والمعاني، فالتراكيب الصحيحة المستقيمة في ميزان النحو بلاغة، والألفة التامة بين الألفاظ ومعانيها بلاغة، وما ينبث من الجمل من بديع المعاني، والصور الجميلة بلاغة، والموضوع الإنشائي المطابق لمقتضى الحال بلاغة.

ولا يتكامل تذوُّقنا البلاغي لنصوص الأدب العربي حتى نضعَ أيدينا على تركيب الجملة العربيّة، نتبيّن ارتباطها في سياق الكلام ونظم التعبير اللغوي، من خلال مسائل عديدة، منها ارتباط اللفظ بالمعنى، وجودة التأليف، ومنها الحديثُ عن المجاز، ومجاز المجاز، مما تكفّلَ بدراسته أربابُ البلاغة، وقد بلغ من دقة تفكيرهم أنهم تتبعوا المعنى الحقيقي للكلمة فبيَّنوا المراد منه، ونظروا إلى ما يوحيه اللفظ من معنى آخر وراء معناه الحقيقي، مما يُسمّى الاستعارة والكناية والتورية، وينضوي تحت بحث عامّ هو المجاز، يحتاج فهمه إلى مزيد من الفكر، وذلك من خصائص العربية.

إنّ لغة العرب لها نسيج مميَّز، وسماتٌ معيّنة في تركيب جملها وأساليب الدلالة على المراد بها، فهي لغة تجعل القائل أو الكاتب يصل إلى عمق نفسه ونهاية شعوره؛ ليستخرج ما فيهما من فكرٍ وإحساسٍ، ويودعه ألفاظاً تتفق مع جلال الفكر وجمال الإحساس.

قال ابن النقيب: للمجاز حدٌّ في المفردات وحدٌّ في الجمل.

وحدّه في الجمل: هو كلُّ جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل بضربٍ من التأويل(١٠).

بلاغةُ الكلام:

إنّ مصطلحات البلاغة التي تُطْلَقُ على الكلام متعددةٌ، أهمُّها: أنّ الكلام لا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه إلى لفظه، ولفظه معناه، ولا يكون أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك، ومن هنا قولهم: كلام يَدْخل في الأُذنِ بلا إذنٍ، وهذا مرتبط بالألفة بين اللفظ والمعنى وهو النَّظْمُ؛ لأنه إذا كان النَّظْمُ سَوِيّاً،

والتأليف مستقيماً، كان وصول المعنى إلى قلبك تِلْو وصول اللفظ إلى سمعك، وإذا كان على خلاف ما ينبغي وصل اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه، وإذا أفرط الأمر في ذلك صار إلى التعقيد الذي قالوا: إنه يستهلك المعنى.

التعقيد في الكلام:

التعقيد: أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد منه؛ لخلل واقع إمّا في النظم: بأن يكون ترتيب الألفاظ لا على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو إيجاز، أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد.. وإما في الانتقال، أي: لا يكون ظاهر الدلالة على المراد؛ لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول بحسب اللغة إلى الثاني المقصود، وذلك الخلل يكون لإيراد اللوازم البعيدة المفترقة إلى الوسائط الكثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المقصود.

نقل الجاحظ من صحيفة بشر بن المعتمر من تحبيره وتنميقه قوله: «فإنّ التوعُّرَ يُسلمُك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما..» وبيّن علاقةً وثيقة متكاتفة بين اللفظ والمعنى منها:

* أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً.

* مدار شرف المعنى على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام مقال.

* ينبغي أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات.. يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.

وتوسع بشر في بيان شروط اللفظ الصحيح وضوابط ذلك[١٢].

ضعف التأليف:

ضعف التأليف: أن يكون تأليف أجزاء الكلام على خلاف القانون النحوي المشتهر فيما بين معظم أصحابه، حتى يمتنع عند الجمهور، كالإضمار قبل الذكر لفظاً ومعنى.

ومنه وصل الضميرين، وتقديم غير الأعرف، مع وجوب الفصل في نحو هذا، كقول المتنبي:

خَلَتِ البلادُ من الغزالة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا

(الغزالـــة: الشمس، يريد أن البلاد إذا خلت من الشمس ليلاً جعلك الله عوضاً منها). والصواب: أعاضاها الله إياك، أو أعاضكها الله..

ومنه نصب المضارع بلا ناصب نحو:

انظرا قبل تلوماني إلى طللٍ بين النَّقَا والمنحنى

وحذف نون (يكن) في الجزم حين يليها ساكن، نحو:

لم يكُ الحقُّ سوى أنْ هاجه رسمُ دارٍ قد تعفت بالسَّرر

الألفاظ والمعاني:

قال الجرجاني في (دلائل الإعجاز):

«إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظٌ مجردةٌ، ولا من حيث هي كَلِمٌ مفردةٌ، وإن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلّق له بصريح اللفظِ»[١٣].

وقال التفتازاني:

«الألفاظ قوالب المعاني، والقدرة على تأدية المعاني بعباراتٍ مختلفة في الطول والقصر والتصرف في ذلك بحسب مناسبة المقامات، إنما هي من دأب البلغاء»[١٤]. وسبق إلى هذا المعنى الجرجاني فقال:

«إنّ اللفظ تبعٌ للمعنى في النظم، وإنّ الكلم تترتب في النطق بســبب ترتب

معانيها في النفس، وإنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروف لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطرٍ أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك»[١٥].

والنظم الذي يتوخاه عبد القاهر الجرجاني ليس في الألفاظ ولا في المعاني ولا في حركات الإعراب، وإنّما في اتحاد أجزاء الكلام ودخول بعضها في بعض، وارتباط الثاني بالأول، كما يتضح في الوحدة الشاملة بين أجزاء الجملة، وبين الجملة والجملة في مجموعة من العلاقات المنظمة المتناسقة بين أطراف الكلام، وبعبارة أكثر إيجازاً النَّظم عند عبد القاهرِ هو: (الأسلوب) كما نسميه الآن[١٦]، وكما يحلو لعبد القاهر أن يسميه: (توخي معاني النحو)، وهذا الرأي أعدل الآراء في وجوه إعجاز القرآن العظيم وبيان سببه، وهذا الرأي هو الذي مال إليه الحذّاق من أهل الصنعة، وأخذ به الجمهور من العلماء.

المطابقة بين اللفظ والمعنى:

كلامُ العرب ينقسم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مطابقة اللفظ لمعناه، وهذا الأكثر والأعلى.

القسم الثاني: أن يغلب اللفظ على المعنى، نحو قولِهم: أظنُّ أن تقوم، اتفق العرب والنحاة على صحتها وأبطل النحويون: أظن قيامك، ومعنى (أن تقوم): قيامك، وإنما جاز ذلك؛ لأنَّ الظن لا يكتفي بكلمة واحدة، و(أن تقوم) كلمتان، وكأنك أتيت بما أصله المبتدأ والخبر الذي يلتقي بهما الظن، بخلاف (قيامك) فإنه كلمة واحدة في اللفظ، فهذا من تغليب اللفظ على المعنى.

والقسم الثالث: تغليب المعنى على اللفظ، كقولهم: (ليت شعري أبوك ما صنع؟). فغلِّبَ المعنى على اللفظ حين اختزل من ليت اسم المتكلم، ولم يظهر لـ(ليت) خبراً ولا يقال ذلك في أخوات ليت.

المطابقة بين اللفظ والمعنى في أساليب الاستفهام:

الأكثر في جواب الاستفهام بأسمائه، مطابقة اللفظ والمعنى، وقد يكتفى بالمعنى في الكلام الفصيح، فمن مطابقة اللفظ والمعنى قوله تعالى: (فمن ربكما يا موسى، قال: ربُّنا الذي أعطى) [طه: ٤٩ ــ ٥٠] و: (وما تلك بيمينك يا موسى قال: هي عصايَ) [طه: ١٧ ــ ١٨] و: (قلْ لمنْ الأرضُ ومَنْ فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله) [المؤمنون: ٨٤ ــ ٨٥] وكذا (سيقولون الله) بعد (قلْ مَنْ يرزُقُكم من السماءِ والأرضِ أمنّ يملكُ السمعَ والأبصارَ ومن يُخرِجُ الحيَّ مِنَ الميَّتَ ويخرجُ الميّتِ مِنَ الحيِّ ومَنْ يُدبِّرُ الأمرَ فسيقولون الله) [يونس: ٣١] وهي قراءة أبي عمرو.

ومن مطابقة المعنى وحده قوله تعالى: (سيقولون لله) بعد (من) الثانية والثالثة في قراءة غير أبي عمرو، وقوله: (قال بصرتُ بما لم يبصروا به) [طه: ٩٦] وقوله: (قال: ما منعك ألاّ تسجد إذْ أمرتُكَ، قال أنا خيرٌ منه) [الأعراف: ١٢].

المعنى ومعنى المعنى:

للكلام من حيث دلالته على المعنى اعتباران: من جهة دلالته على المعنى الأصلي، ومن جهة دلالته على المعنى التبعي الذي هو خادم للأصل.

فالمعنى: معرفةُ الكلامِ من ظاهر التراكيب والعبارات، وفهمه من ظاهر الألفاظ والذي تصل إليه بغير وساطة[١٨].

ومعنى المعنى: أن تعقلَ من اللفظ معنىً ثم يفضي باب ذلك المعنى إلى معنى آخر.. فيه تشبيه أو كناية أو استعارة يَقتضيه موضوعه في اللغة.

فإذا قلت: (هو كثير رماد القدر)، أو قلت: (طويلُ النجاد)، أو قلت في المرأة: (نؤوم الضحى)، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرّد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك، كمعرفتك من كثير رماد القِدْر: أنّه مضياف، ومن طويل النِّجاد: أنه طويلُ القامة.. ومن نؤوم

الضحى في المرأة: أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها.

وإذا عرفت هذه الجملة عرفت أنّ قول الخنساء في رثاء صخر:

يُذكِّرني طُلُوعُ الشَّمسِ صخراً وأذكره لكلِّ غروب شمسِ

فيه المعنى الظاهر من الإشراق والغروب، وفيه معنى المعنى: أن دلنا طلوع الشمس على بسالته وشجاعته وخروجه في هذا الوقت للحرب والغارة على الأعداء.. وبالمقابل دلّنا الغروب أنه كناية عن كرمه وجوده وأنه مضياف.

وكذلك تعلم من قوله: (بلغني أنكَ تقدّم رِجلاً وتؤخر أخرى) أنه أراد: التردُّد في أمرٍ ما، واختلاف العزم في الفعل وتركه.

قال الجرجاني: فالمعاني الأولى المفهومة من أنفس الألفاظ هي المعارض والوشي والزينة والحلي مما فيه تفخيم أمر اللفظ؛ ليجعل المعنى ينبل ويشرف.

والمعاني الثواني التي يُوْمَأُ إليها بتلك المعاني هي التي تكسي تلك المعارض وتزيَّن بذلك الوشي والحلي، على أن صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يُشار بمعانيها إلى معانٍ أخر(١٩).

ومن بلاغة العربية ما يسمَّى: مجازَ المجاز، وهو أن يُجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر، فيتجوز بالمجاز الأوّل عن الثاني لعلاقةٍ بينهما، كقوله تعالى: (ولكن لا تواعدوهنَّ سرًّا) [البقرة: ٢٣٥] فإنه مجاز عن مجاز، فإن الوطء تجوّز عنه بالسرّ، لكونه لا يقع غالباً إلاَّ في السرّ وتجوّز به عن العقد، لأنه مسبّبٌ عنه، فالمصحِّح للمجاز الأوّل الملازمة، والثاني السببيّة، والمعنى: لا تواعدوهنَّ عقد نكاح.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (ومن يكفرْ بالإيمان فقد حبط عمله) [المائدة: ٥] فإن قوله (لا إله إلا الله) مجاز عن تصديق القلب، بمدلول هذا اللفظ، والعلاقة

السببيّة؛ لأنّ توحيد اللسان مسبَّبٌ عن توحيد الجنان، والتعبير بـ(لا إله إلا الله) عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه.

ومنه قوله تعالى: (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوأتكم وريشاً) [الأعراف: ٢٦] فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس، بل الماء المنبت للزرع، المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس[٢٠].

ويُحكى أن سعيد بن جبير لمّا سأله الحجاج بن يوسف: ما تقول فيّ؟ فقال: أقول «إنك قاسط عادل» فلم يَفْطِن له إلّا هو، فقال: إنه جعلني جائراً كافراً، وتلا قوله تعالى: (وأمّا القاسطون فكانوا لجهنم حَطَباً) [الجن: ١٥] و: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) [الأنعام: ١][٢١].

قال الراغب:

القِسْطُ: هو أن يأخذ قِسْطَ غيره، وذلك جَوْرٌ، والإقساط: أن يُعطي قسطَ غيره، وذلك إنصاف، وكذلك قيل: قَسَطَ الرجلُ إذا جَارَ، وأقسط إذا عَدَل، قال تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) [الجن: ١٥] وقال: (وأقسِطوا إن الله يحب المقسطين) [الحجرات: ٩][٢٢].

وقوله تعالى: (بربهم يعدلون) [الأنعام: ١] أي: يجعلون له عديلاً، فصار كقوله: (هم به مشركون). [النحل: ١٠٠] وقيل: يعدلون بأفعاله عنه، وينسبونها إلى غيره. وقولهم: عَدَل عن الحق إذا جَار..[٢٣]

ومن ذلك ما روي عن التي شكت زوجها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فقد قالت له: يا أمير المؤمنين، إنّ زوجي يصوم النّهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله عزّ وجل، فقال لها: نِعْمَ الزوجُ زوجك، فجعلت تكرِّرُ عليه القول ويكرر عليها الجواب، فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إيّاها عن فراشه، فقال عمر: كما فهمتَ فاقضِ بينهما.

ورُوِيَ هذا الخبر على النحو الآتي:

«هو من خيار أهل الدنيا، يقوم الليل حتى الصباح، ويصوم النهار حتى

يمسي» ثم أدركها الحياء، فقالت: «جزاك الله خيراً فقد أحسنت إلينا»، فلمّا ولّتْ قال كعب بن سُور الأسدي: «يا أمير المؤمنين، لقد أبلغتْ في الشكوى إليك، فقال: وما اشتكت؟ قال: زوجها، قال: عليٌّ بهما، فقال لكعب: اقضِ بينهما. قال: أقضي وأنت شاهد؟ قال: إنّك قد فطنت إلى ما لم أفطن له..[٢٤].

الحواشي:

١ ــ مغني اللبيب ٥٧.

٢ ــ دلائل الإعجاز ١١٢.

٣ ــ الخصائص ٢/٣٦٠ ــ ٤٤١.

٤ ــ أمالي ابن الشجري ١/ ٥٥.

٥ ــ مغني اللبيب ٨٥٢.

٦ ــ إعراب القرآن المنسوب للزّجاج ١/ ١٩ ــ ٤٠.

٧ ــ مقدمة تفسير ابن النقيب ١٤٨ ــ ١٥٠.

٨ ــ البلاغة العربية ٢/ ٦٠.

٩ ــ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٦٣ ــ ٦٤.

١٠ ــ مقدمة ابن النقيب ص: ٢٣، ونهاية الإيجاز للرازي ١٧٣.

١١ ــ المطوّل للتفتازاني ٢١.

١٢ ــ سر الفصاحة ٢٢٩، البيان والتبيين ٢/ ٥٢.

١٣ ــ دلائل الإعجاز ٣٨.

١٤ ــ المطوّل ٣٨٤.

١٥ ــ دلائل الإعجاز ٤٥.

١٦ ــ انظر القرآن إعجازه وبلاغته د. عبد القادر حسين ١١٢ ــ ١١٤.

١٧ ــ شواهد التوضيح لابن مالك ٣٨.

١٨ ــ الموافقات للشاطبي ٢/ ٧٢.

١٩ ــ دلال الإعجاز ٢٠٣ ــ ٢٠٤.

٢٠ ــ الإتقان ٢/ ٤١ ــ ٤٢.

٢١ ــ الدر المصون ٢/ ٦٧٠.

٢٢ ــ المفردات (قسط) ٤٠٣.

٢٣ ــ المفردات (عدل) ٣٢٦.

٢٤ ــ انظر الطرق الحكمية لابن القيّم ٢٥.، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ص١٢٥.

الخاتمة

لقد سعيتُ في هذه الدراسة ما وسعني الجُهْدُ إلى إبراز المبادئ الأساسية في الجملة العربية مستمدّاً مادة الدراسة من مظانّ كتب علم اللغة والنحو وعلم المعاني.

أقبلتُ على هذه الدراسة برغبةٍ صادقة ولم آلُ جهداً في جمع كلِّ جزئيةٍ تتعلّق بهذا البحث، ثم ترتيبها مع ماياسبها في أفكار البحث، وما يتلاءم وطبيعة هذه الدراسة، لتخرج للناس كتاباً منهجيًّاً فيه نواة الجملة العربية المشرقة، تُعرض ميسَّرة مقرَّبةً إلى أذهان الدارسين، فتوفّر كثيراً من الطاقات والجهود الضائعة، وتعرض المادة النحويّة بأسلوبٍ متطوّر، لم يُعهد في كتب السابقين، وإنْ قصَّر عمّا يتوقّع منه فلا أقلَّ من أن أنبّه الأذهان إلى استئناف الجهود في هذا الحقل الغني بالحديث عن مبادئ الجملة العربية.

أرجو من القُرَّاء الكرام أن يفيدوا ويستمتعوا بما قدّمته من مباحث لغوية أصيلة، هدفُها إبراز خصائص العربية في وجهٍ من وجوه أساليبها البيانية هو: الجملة العربية.

ولعلَّ الدارس المنصف يجدُ في هذا الكتاب ما يشوّقه إلى استكمال فكرةٍ أو مناقشتها، أو يجد إمكان الزيادة على ما فيها بشرحٍ أو تعليقٍ أو اقتناص شاردةٍ، أو إبداء الرأي؛ فإنه بحثٌ ما يزال في حاجةٍ إلى المتابعة بالعناية والتسديد، وهو خطوة أُولى لدرس معالم الجملة العربية وقفت موقف من وضَّحَ طريقها فعزم وصَمَّمَ ومضى..

أرجو أن يكون فيه توجيهٌ نافع لخير اللغة العربية، لغة القرآن:

كلٌّ يجود بما لديه فما النّدى ... وقْفاً على مَنْ يجزلون عطاءَ

لا تنهضُ الأوطانُ من كَبْواتها ... إلَّا على أيدٍ تفيض سخاءَ

وأسأل الله عزَّ وجل أن يكون هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن يُسدّدَ الجهد، ويهدي الخُطا، وأن يتقبّله بالرضا، عن صواب ما أصبْتُ، وبالصّفح عن خطأ ما أخطأت وهو ــ سبحانه ــ وليُّ التوفيق، وما شاء الله ــ جلَّ جلاله ــ أن يصحَّ فهو صحيح، وأما الزبد فيذهب جُفَاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

دمشق في ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

الدكتور

أيمن الشوا

مَسْرَدُ الأبحاث

البحث الأول: أهمية دراسة الجملة العربيّة. ٥

البحث الثاني: معنى التأليف والتركيب في العربية. ١٩

البحث الثالث: دلالة الجملة في سياق الكلام. ٢٤

البحث الرابع: دراسة الجملة في التراث النحوي. ٤٥

البحث الخامس: أقسام الجملة عند النحويين. ٥٨

البحث السادس: ملامح إعراب الجمل عند سيبويه والمبرّد. ٨٥

البحث السابع: ارتباط حروف المعاني بالجمل. ١٢٤

البحث الثامن: الحديث عن أقسام الجمل نظماً. ١٦٩

البحث التاسع: الجملة بين عِلْمَي النحو والمعاني. ١٧٩

البحث العاشر: من بلاغة الجملة العربية. ٢٠٢

تصوير أبو عبدالرحمن الكردي

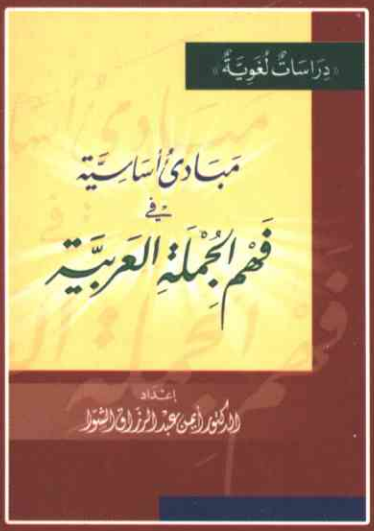

هذا الكتاب

مبادئ أساسية لفهم الجملة العربية ، في رحاب علم اللغة والنحو والمعاني والتفسير.

قال الإمام الفيروز أبادي وهو يتحدث عن الجمال : وأعتبر من هذه المادة معنى الكثرة، فقيل لكل جماعة غير منفصلة : **جُملة** ، فالجملة من الجمال وحديث الجمال يطول ، وكلما طال ازداد حسناً كالجمال نفسه .

ومن الأمور المؤكدة في الدراسة اللغوية البنيوية اليوم تخصص النحو بدراسة الجملة، وذلك باعتبار هذا النحو أفضل نموذج نحوي في الوقت الراهن .

فجاء هذا الكتاب يلبي حاجة الباحثين لفهم الجملة وتدبر أسرارها ، ابتداءً من علم النحو وانتهاءً بعلم البلاغة ، وهو ذخيرة ثمينة للمكتبة العربية .

الناشر

اقرأ
دمشق - سوريا - حلبوني
شارع مسلم البارودي - بناء فندق سلطان
تلفاكس:٢٢٣٩٠٣١ - ص.ب.٥٩٥٧
E-mail: iqraa@scs-net.org